



# روايات احلام



## أميرة رغماً عنها

صوفي ويستون



[www.rivaya.com](http://www.rivaya.com)

مكتبة رواية

# أميرة رغما عنها

صوفي ويستون

العدد 281

روايات احلام

العنوان الأصلي

## The Prince's proposal

## الملخص

تساءلت فرانسيسكا قبل أن تري كونراد:

"هل هو رجل أم فأرة؟".

لكن كونراد لم يكن فأرة أو رجلاً عادياً.... إنه

أمير حقيقي. وهذا الأمير يريد عروسا

لإمارته.

وفرانسيسكا هي الأصلح لتملاً هذا

الدور....

والسبب: أموال أبيها الطائلة!

ستكون فرانسيسكا هي الفأرة إذا قبلت هذا

الدور.

ولكن كيف تستطيع مقاومة إغراء كونراد

الرائع، رغم أنها تعرف أن الدور لا يتعدى

الخداع؟



## الفصل الأول : كيف أري

قالت فرانسيسكا بانفعال: ( كان هذا النهار

أسوأ نهار في حياتي).

وكانت شاحبة بعض الشيء. فقالت "جاز"

توقفها: ( لا تجعلي "باري دي لاتوش"

يهزمك، ما هو أفضل من أن تخرجي

وتستمتعي؟).

نظرت إليها فرانسيسكا غير مصدقة: (لا  
يمكن أن تتوقعي مني أن أذهب إلي حفلة بعد  
ذلك).

هزت "جاز" رأسها وقالت رافضة التنازل عن  
رأيها: ( نعم، فأنت بائعة كتب ممتهنة الآن.  
أذهبي إلي حفلة الناشرين ولو قتلك ذلك).

حملت فرانسيسكا فيها. جاز " طويلة سوداء  
رائعة لكن حلقة فرانسيسكا كانت تقص  
الفولاذ إذا وضعت إرادتها فيها.  
لم تكن "فرانسيسكا هيلير" طويلة، بل نحيفة  
صغيرة الجسم ذات شعر بني عادي ووجه  
عادي يسر الناظرين. إنها، كما تقول أمها  
الرشيقة الأنيقة، ليس فيها ما يميزها بين  
مجموعة من الفتيات.



لكن الاثنتين كانتا تبخسان من تأثير عينيها.  
كانتا كبيرتين بلون بني ذهبي، أهدابهما طويلة  
سوداء. وكانتا تعبران عن كل ما تقوله  
فرانسييسكا أو تشعر به، رغم وجود نظارتين  
كبيرتين عليهما.

فرانسييسكا حاليا تشعر بنفسها مخدوعة.  
لكن "جاز ألن" كانت شريكها في أحدث  
مكتبة مستقلة في لندن، مكتبة باز وكانت  
جاز تعرف ما تتحدث عنه.

قالت فرانسيسكا : ( أنت غير جادة).

أجابت جاز : ( بل أنا كذلك).

وكانت تتحدث وهي تهبط درجات سلم.

قالت لها فرانسيسكا بقنوط : ( لكنك كنت

هنا، ورأيت بنفسك).

فضحكت جاز : ( لقد ثار طبع أبيك عليه،

وهكذا؟).

حدقت إليها فرانسيسكا ، كانت جاز

معروفة بالغلظة ، لكنها هنا من فولاذ.

فقال: (مرحبا؟ لقد رأيت بنفسك أبي  
يدخل ويدمر الرجل الذي أفكر بالزواج به).

قالت جاز بهدوء: ( لقد رأيت أباك يضع

بعض المفرقات ولكنك ما كنت أبدا

لتتزوجي ذلك الرجل).

هزت فرانسيسكا رأسها. لم تكن قد أخبرت

جاز ، لكنها عندما غادرت البيت هذا

الصباح كانت قد قررت قبول عرض الزواج

بباري.

قالت بأسي : ( كنت أنوي ذلك).

كان المفروض أن يخرجوا للعشاء في أحد المطاعم في المساء. وكانت فرانسيسكا تتصور

مشهد المائدة المضائة بالشموع ، بسرور

بالغ.

ولكن هذه كانت تصورات هذا الصباح. ثم

دخل أبوها ، بيتر هيلير ، يواجه الأعزل من

كل قوة الذي هرب من "مونتاسورو" مقاولا

منذ خمسة عشر عاماً وانتعشت أحواله

وأصبح ملياردير ، لأنه يكتشف مواطن  
الضعف في خصومه ثم يقضي عليهم ، أما  
باري فلم تحصل له فرصة.

وجه له أبوها سلسلة من التجريبات  
والإدانات الجرمية ، وأشار إلي أن باري لم  
يبدأ بإظهار حبه لأبنته إلا بعد أن علم  
بثرائها.

في البداية لم تصدقه فرانسيكا لكن بيتر  
هيلير أعلن أنه لن يورثها ، وبهذا تلاشي

تقرب باري العاطفي منها ، آخذا معه كل  
أحلام فرانسيسكا ومعظم احترامها لنفسها.  
قالت جاز متشجعة: ( عليك التفكير بطريقة  
حكيمة ، في النهاية. وبعد ، لاشيء يميز  
باري).

بعد ذلك المشهد الذي قذف فيها أبوها  
اتهاماته في وجه باري ، لم تستطع فرانسيسكا  
أن تناقش حقا هذا الأمر. بل عضت شفتها  
وقالت : ( لماذا لم أفهم أنا هذا؟ )

أجابت جاز مواسية: ( بل فهمت ، في الواقع. قد يكون أبوك هو الذي قام بالتحريات ، لكن التدمير هو من عمل يديك).

اتسعت عينا فرانسيسكا المعبرتين ، ثم جلست بشيء من الصعوبة.

وعادت جاز تنصحها: ( فكري في الأمر).

أخذت فرانسيسكا تحقق ، بعينين لا تريان ، في المجموعة الكاملة لحدث كتب الأطفال.

كانت قد واجهت أباها متحدية ، متأبطة  
ذراع باري متهمة والدها بالمناورة والنهم إلى  
المال ، نافية عن باري كل الصفات التي نعته  
بها.

قال لها برقة فائقة: ( يا عصفورتي ، لا يمكن  
أن أفعل هذا بك).

ومد يده يرفع النظارات عن عينيها ويضعها  
في جيبه ، وهي إحدى حركاته الصغيرة



الظرفية. والواقع أن هذه النظارات جديدة

وقد كلفتها مبلغاً كبيراً من المال.

كانت فرانسيسكا ترى الأشياء ، دون

نظاراتها الطبية ، غائمة. ومع ذلك قالت له:

( نحن الاثنين، شابان صحيحا الجسم، فلماذا

نحتاج أموال أبي؟ يمكننا أن نعمل).

عند ذلك تحول باري إليها وقد محي كل ما

علي وجهه من ظرف. لم تستطع أن تراه

جيذا دون نظارات ، لكنها شعرت بذلك من

سماعها حركته الخشنة وهو يقول: ( لا . لا . لا  
يمكننا ذلك).

تملك أباهما السرور ، ورفع أصابعه: ( آهة).

لكنها تجاهلته ، وقالت لباري: ( لست بحاجة  
إلي مال... )

فصرخ فيها بألم: ( أما أنا فبحاجة غلي

ذلك... لقد أمضيت زمناً أتساءل من أين

سأحصل علي وجبة طعامي التالية ، ولا أريد

العودة إلي ذلك أبداً).

لم تقل فرانسيسكا شيئاً بينما قال أبوها: (

الوداع ، يا سيد هارب).

وكان ذلك أسم باري الحقيقي. وليس (دي

لاتوش).

تجاهلت فرانسيسكا أبها وقالت لباري

بصوت غريب: ( أتظن أنه ليس بإمكانني أن

أنفق عليك؟).

فقال أبوها: ( لقد تأكد ذلك النغل من

ذلك لتوه).

عند ذلك استسلمت. وكان ذلك اليوم أسوأ

أيام حياتها.

أطلقت ضحكة صغيرة ، ومدت يدها بأدب  
باتجاهه وهي تقول: ( نعم ، فعل ذلك. وداعاً

يا باري).

لكنها كانت مع أبيها أقل تَهذياً.

ثم ذهبت إلى غرفة المخزن حيث أخذت  
تبحث عن آخر نظارات للطوارئ تحتفظ بها  
، ووجدتها في صندوق الإسعاف الأولي.  
ولكن أحد طرفي النظارة كان ممدداً وكانت  
قد شدته يوماً بشريط طبي استحال لونه  
رمادياً في صندوق الإسعاف هذا. وهكذا  
غالبت فرانسيسكا دموعها بشدة ، وقالت:  
( ماذا تعنين بقولك إن التدمير كان من عمل  
يدي؟).

نظرت إليها جاز بعطف: ( لأنك لم تخبري  
باري بأنك غنية...).

قفزت فرانسيسكا: ( ماذا تعنين؟)

أجابتها المرأة: ( هل نسيت أن أباك وضع في  
البنك مقدارا كبيرا من المال باسمك عندما

كنت مراهقة. وهو ملكك ويمكنك أن تفعلني

به ما تريدني).

ابتلعت فرانسيكا ريقها : ( نعم صحيح

.... فهمت).

قالت جاز: ( كان الأمر صحيحا عندما قلت  
إن أباك لا يمكنه أن يحرملك من ميراثك، لأنه  
سلمك ميراثك ذاك ، لماذا لم تقولي هذا  
لباري؟)

قالت: ( لقد ... لقد حاولت).

قالت جاز بدهاء: ( لا . لم تفعلي هذا ،  
لأنك أردت أن تعلمي، أليس كذلك؟).



فسألتها: ( أعلم؟ أعلم ماذا؟ )

أجابتها: ( ما إذا كان المال مهما بالنسبة إليه

أم لا).

أجفت فرانسيسكا ، لكنها كانت امرأة

قادرة علي مواجهة الحقيقة مهما كانت سيئة.

(نعم. أظن هذا).

فقال المرأة: ( أرايت؟ لم تكوني مخدوعة تماما

، بل كان لديك شكوك كأية امرأة عاقلة

مثلك).

تمت فرنسيكا تقول : ( امرأة عاقلة وغير

جميلة).

فقال جاز: ( ما كنت لتتزوجي ذلك

المعتوه).

ثم انتبهت فجأة لما قالت فرنسيكا .

– ماذا قلت؟

قالت فرانسيسكا بإشارة خشنة : ( كل من  
أبدى اهتماما بي كان السبب إما لقب أمي ،  
أما ملايين أبي. لأنهم عندما كانوا يرونني جيدا  
، يتراجعون).

الإستسلام الذي لمستَه جاز في صوتها  
صدمها. فقالت: ( كلام فارغ).

ولكن كلامها هذا تأخر عشر ثواني ،  
فابتسمت فرانسيسكا بضعف : ( أنت لا  
تعرفين المصائب التي عرفتَها ، يا جاز).

فقلت جاز: ( ألسنا جميعا كذلك؟ هذا

يسمي سن الرشد) .

قالت فرانسيسكا : ( عندما يتعلق الأمر

بالناس أجدني عاجزة).

وقفت فرانسيسكا منتصبة القامة، حتى إنها

استطاعت أن تبسم وهي تقول : ( وهكذا،

هذا يعني أن أركز عقلي في مهنة. صح؟

خذيني إذا إلي تلك الحفلة اللعينة).

\*\*\*\*\*

هز كونراد دوميتيو رأسه أمام كل هذا الحشد  
، ثم صرخ بمساعدته: ( إلي متى سيستم  
هذا؟ )

تقدمت خطوة إلي الرجل الأسمر الرائع  
أمامها... كان طويل عسلي العينين ، ذا  
جسم رياضي وجبهة فيلسوف. كونراد

دوميتيو يملك كل شيء : جاذبية ورجولة  
ووسامة وهذه الصفات كانت تجعلها ترتجف  
وليست هي وحدها في ذلك بل كل امرأة في  
دار ناشريه ( غافرون وبليك).

ردت عليه بصرخة : ( بعد ساعة أخرى).  
كانت تعلم طبعاً أن الحفلة ستمتد أكثر من  
ذلك ، ولكن كونراد دوميتيو كان عديم  
الصبر مع الدعاية والإعلان مع أنه لم يكن

وسيما وبطلاً فقط . بل كان أيضا أميراً ،

أميراً...

دائرة الدعاية لم تكذ تصدق عندما عرفوا  
حقيقته ، فهو أمير إضافة إلي كونه كاتباً  
ممتازاً . وكتاب ( رماد تذرره الرياح ) سيحوز  
علي الرقم القياسي في المبيع .  
قال كونراد وهو ينظر إلي ساعته : ( بعد  
ساعة؟ لا بأس).

بإمكانه احتمال ساعة أخرى ، ما كان الأمر  
ليبدو له بهذا السوء لو لم تكن الجدران  
مغطاة بصوره الفوتوغرافية وكأنه نجم سينمائي  
فهو لم يشأ قط أن تؤخذ له تلك الصور. وفي  
الواقع ، لم يكن يريد أن يكتب ذلك الكتاب  
علي الإطلاق. ولكن مصور البعثة تقدم  
مسافة مذهلة من البركان المتفجر وأخذ مزيدا  
من الصور للفريق الهارب من فوهة البركان ،



وهذا جعل كونراد يقر بأنهم يستحقون كتاباً.  
لكنه لم يكن مستعداً لهذا العرض.  
وكان هذا هو السبب في أن الرجال الستة  
الذين أخرجوا إلي خارج ظلام بركان هائج  
واقفون هنا تحيط بهم صور فوتوغرافية تبلغ  
الست أقدام علواً لجبال يتصاعد منها  
الدخان. وعلي مناظرة هناك أكوام من كتب  
لامعة بينها كتابه ( رماد تدرره الرياح ).

وعاد ينظر إلي ساعة فلم يكذب يراها في  
الضوء الخافت. وسأل مساعدته في مجال  
الإعلان : ( ماذا تريدان أن أفعل؟).

أشارت بيدها إلي الجموع الحاشدة التي كانت  
تتحرك وتثرثر ، وهي تقول : (   
الدعاية...الدعاية....)

التوى فم كونراد وقد بدت له في تلك  
اللحظة أشبه بجده الملك "فليكس" ملك

مونتاسورو السابق. لم يقل هذا ، وإنما هنر  
كتفيه كالعادة بشكل ذي معنى: ( بإمكانني  
حالما نلقي الكلمة إن أعود إلي حياتي  
الطبيعية. أذهب أنتي من تلك الناحية ،  
وسأذهب أنا من هذه).

أدار كل منهما ظهره للآخر ، وعاد هو  
ليؤدي واجبه.

شعرت فرانسيسكا بصدمة. وقالت وهي  
تنظر إلى امرأة ترتدي ثوباً فضياً ذا شرائط  
علي الكتفين: ( كان علي أن أغير ملابسني).  
ضحكت جاز وهي تنظر في إثر المرأة: ( إنها  
منظمة حفلات ، لا تهتمى لذلك ، نصف

الناس هنا جاءوا مباشرة من أعمالهم مثلنا.

والباقون هم المؤلفون المحررون).

ثم شملت فرانسيكا بنظرة فاحصة هتفت

بعدها: ( آه ، لا ، إنها ليست النظارات

الموجودة في صندوق الإسعاف! )

فقلت فرانسيكا متحدية: ( لم أجد غيرها )

مدت جاز يدها إليها: ( هاآها).

قالت فرانسيسكا : ( لكنني من دونها أشبه  
بالوطواط الأعمى).

قالت جاز دون عطف: ( سأقرأ لك  
التعليمات. حاولي أن تحضري شرابا دون أن  
تصطدمي بالأثاث. هذا كل ما عليك عمله).  
قالت محتجة: ( ولكن...).

قالت جاز: ( ليس هناك سيدة أعمال جادة  
تقوم بالعمل في قاعة كهذه واضعة علي  
عينيها نظارات مضمدة برباط).

وعندما رأَت فرانسيسكا تتمتم متمرّدة ،  
عادت تقول: ( لا تنسي أنك كرسّت نفسك  
للمهنة).

أجابت: ( لكنني ما زلت أفضل أن أري  
بعيني).

قالت جاز بلهجة باّة: ( لا . فأنت تمثّلين  
مكتبة باز الليلة. وينبغي أن نكون محترّمات  
هادئات ، وهذا لا يمكن بنظارات مربوطة  
برباط)

أذعنت فرانسيسكا وسلمتها النظارات ،  
فتناولت جاز كيساً لامعاً؛ (خذي هذه  
بيانات الدعاية وهدية الحفلة).

قالت فرانسيسكا بأسي: ( علي أن أتعلم  
الكثير).

وكانت جاز قد بدأت تبحث في محتويات  
الكيس.

قالت \*\*\*\*ة: ( هذا شوكولا..... خديه.  
برنامج الحفلة ، نحن بحاجة إليه الآن. أي



كتب لدينا الآن؟ ( عين موضع الحوت) لا. )  
خمسة آلاف سنة من الرفض) قصة تافهة  
حتما تأليف البروفيسور لا أدري ماذا ، لا. )  
رماد تذرره الرياح) و ( مؤلفان) لا أحب  
هذا... ومع ذلك ، يبدو أن الاثنین ممتعان  
تماماً. فلنر...)

علمت فرانسييسكا أن لا جدوى من أن  
تحاول قراءة شيء من دون نظاراتها. وفي مثل  
هذه القاعة المظلمة ستكون محظوظة جداً إن

هي لم تصطدم بشيء ، قالت بجفاء: (

سأكون مصدر خطر الليلة).

لكن جاز لم تكن منتبهة إليها وهي تدس في

يدها ورقة لامعة وتقول بحماسة وهي تنظر

إلي المدخل بلهفة: ( انظري إلي هذا).

نظرت فرانسيسكا... يبدو أن هناك وجهها في

مكان ما.

قالت: ( آسفة).

قالت جاز وهي تمسك بالنشرة بنفاذ صبر: ( )  
إنه بالغ الجاذبية بل أكثر من ذلك بكثير ،  
السمعي).

وقرأت النشرة بصوت مرتفع: ( كونراد  
دوميتيو هو أحد أهم علماء الزلازل في  
عصرنا ، لكنه ليس خبيراً في البراكين.  
وعندما ذهب في بعثة البروفيسور "روي  
بلاكلاندا" إلى "سلامان كاو" ، كانت هي  
مغامرته الأولى إلى فوهة البركان).

قالت فرانسيسكا: ( آه ، أرجو ألا يكون  
كتابا آخر<sup>٤</sup> ن البراكين).

فقلت جاز وهي تطالع النشرة: ( اسمعي.  
هذا هو الجزء الجيد: أما كونراد دوميتيو ،  
فهو أيضا معروف بأنه كونراد ولي عهد  
مونتاسورو. فهو وريث جده ، الملك السابق  
فليكس البالغ من العمر خمسة وسبعين عاماً  
، وفليكس نفسه هرب إلى لندن عن طريق  
إيطاليا بعد أن أمضى سنوات مراهقته محارباً

الغزاة من قلعته دوميتيو الحصينة في الجبال.  
ويقول فيليكس ، الملك السابق دون تردد: (   
حفيدي خُلق قائداً). أما جواب كونراد  
دوميتيو نفسه فهو بسيط ، إذ يقول: ( كنت  
أفعل كل شيء بإرشاد الكتاب لأني كنت  
جديداً ، أما الآخرون فقد كانوا معتادين علي  
الوضع تماماً. لأني كنت قد انتهيت لتوي من  
قراءة كتاب عن ثورة البراكين. ونتيجة لعمله

هذا ، هناك ستة رجال ما زالوا أحياء اليوم.

وهذه هي قصتهم .

ورفعت بصرها عابسة: ( مونتاسورو؟).

تجاهلت جاز قولها هذا ، وهي تقول: ( له  
جسد أبولو وهو إلي ذلك ينقذ حياة الناس

أيضاً... إنه هادئ... أليس كذلك؟).

هزت فرانسيسكا كتفيها: ( أظنه استلم

المسؤولية لأنه توقع الناس أن يقفروا حين

يقول لهم ، اقفزوا ، كيف عرفت أي نوع من  
الأجساد لديه؟)

فقلت جاز: ( بالنظر إليه. إنه هناك ، رجل  
طويل يرتدي قميصاً كحلياً. ربما أنت المرأة  
الوحيدة التي لم تنتبه إليه لحظة دخولها).

رفعت فرانسيسكا يديها باستسلام: ( حسنا  
، حسناً... أنا آسفة بشأن النظارات . ماذا  
أقول غير ذلك؟).

قالت جاز: ( ليس شكله فقط ، أريده ،  
أحضريه إلي).

هزت فرانسيسكا رأسها البني الشعر وقالت  
بحدة: ( أحضريه بنفسك. ماذا تضنيني؟  
كلب صيد؟).



فقلت جاز: ( أنت هي المسئولة عن دفتر  
الإمضاءات وإلقاء الكلمات المسائية. وهذا  
هو الموضوع الذي يخصك الآن. أذهبي  
وقدمي له عرضا لا يستطيع رفضه ، هذا  
الرجل غير عادي ، إنه طبق شهية).

قالت فرانسيسكا ضاحكة : ( قسم الأطباق  
الشهية هو القسم المسئولة أنت عنه ، أما أنا  
فمسئولة فقط عن كتب والعلوم المملة ،

والأهم أنني لا أستطيع رؤية الرجل دون  
نظارات).

قالت جاز بجفاء: ( هذا يعني إنك لن تضعي  
يدك عليه).

حاولت فرانسيسكا ألا تجفل وهي تقول  
بحزم: ( أنت تريدينه ، قومي إذن بإغوائه).

ضحكت جاز بصوت عال: ( الناشرون لن يهتموا بالجدد المستقلين أمثالنا ، لا شك أنهم سيركزون اهتمامهم علي المكتبات الكبرى).

سألها فرانسيسكا: ( حسناً ، ليس عليه أن ينفذ كل ما يقوله له ناشره أليس كذلك ، هل هو رجل أم فأرة؟).

قالت جاز: ( إنه كاتب يريد بيع كتابه ، فإذا طلب منه الناشر ، أو موظف العلاقات

العامة ، أن يدهن نفسه باللون الأخضر  
ويقوم بشعوذات أمام الأطفال ، فسيفعل.

لن ينظر إلينا! فلا رجاء في ذلك).

لم تكن فرانسيسكا تحب الإلحاح. لكنها ابنة  
أبيها وهي مثله لا تحب أن يطلب منها القيام

بشيء لا فائدة فيه.

أجابتها ساخطة: ( لن ينظر إلينا؟).

أخذت جاز تنظر إليها برضي وفرانسيسكا  
تلقي بنفسها بين الجموع متجه إلي حيث أمير

مونتاسورو. لقد تعلمت في الأشهر الثلاثة

التي عملتا فيها أن لا شيء يوقف

فرانسييسكا عن ملاحقتها هدفاً.

انطلقت فرانسييسكا في طريقها متفجرة

بالحماسة ، لكنها لم تكد تخطو ثلاث

خطوات حتى بدأت حماسها تخبو. كانت

أصغر حجماً من أن تخطو بين هذه الجموع

وحاولت أن تكبح حافزا كان يدفعها إلي

القفز طلباً للهواء.

شعرت بأن كل شيء بضعفي طولها ، أطول  
وأكثر ثقة بالنفس وأعلم منها بكثير. وكلهم  
كانوا يتحدثون من فوق رأسها.

أخذت تتمتم بصوت غير مسموع: وما  
الجديد في ذلك! ورسمت علي وجهها ابتسامة  
مشرقة. وتبددت الحماسة وحلت محلها قوة  
الإرادة...

ثم أخذت تبحث عنه وكأنها تبحث عن رجل  
خارج الكرة الأرضية والذين سمعوها تصيح  
تسأل عن كونراد دوميتيو لم يعرفوا أين هو  
رغم معرفتهم الاسم ، فقد كان كل منهم  
مشغولا بالاستمتاع بوقته.

وقفت لتأخذ بعض الكتب ، وإذا بها تسمع  
صوتا خلفها يسألها: ( هل قلت دوميتيو؟).

استدارت ، ثم كان عليها أن ترفع بصرها إلى  
أعلي. ثم أعلي ، كان المكان أكثر ظلمة من

أن تري جيداً حتى ولو كانت تضع نظاراتها.  
لكن حسا بالقوة تملكها...وقالت بشيء من  
الاضطراب: ( نعم أتعرفه؟).

تردد الرجل وحاولت هي عبثا ، أن تركز  
عينيها عليه ، ولكن كان شيء في الرجل  
جعلها تريد أن تراه جداً.

هزت رأسها قائلة بحزم: ( لأنني أريد أ،  
أتحدث إليه).



فانحني عليها يسألها: ( ماذا؟ ).

شمت رائحة برية مثل رائحة الغاية أو الشربين ،  
وكانت خفيفة أشبه بذكرى نصف منسية ،  
وفاجئها ذلك .

أمسك بمرفقها ، قائلاً: ( فلنذهب إلي مكان  
يمكننا فيه أن نسمع بعضنا ).

خرج بها إلي شرفة صغيرة حيث ابتعدا عن  
القاعة الخائقة. كان الجو ممطراً ، لكن مظلة

هناك أبعدت معظم المطر عنهما ، ثم أدارها  
إليه.

هل هو انطباع بالقوة تملكها؟ لا بد أنها  
جنت ، فلدي هذا الرجل أكثر من مجرد  
القوة. كان صخرة ، صخرة مغناطيسية دافئة  
ما جعلها تحبس أنفاسها لمجرد وجودها معه ،  
وأخذ شيء في أعماقها يهتز بشكل غير  
محسوس ، مستجيبا لتلك المغناطيسية. سألها:  
( أتشعرين بالبرد؟ )

هزت رأسها. لم تثق بنفسها في الكلام فقد  
جعل صوته أعصابها تتنبه. أخافها ذلك. إنها  
لا تستجيب عادة إلي رجل غريب بهذا  
الشكل. وحدثت نفسها بان هذه ردة فعل  
لرحيل باري.

أغلق الباب الزجاجي خلفهما ، فخفت  
ضجة القاعة نوعا ما.

استطاعت أن تلاحظ تحركاته حتى دون  
نظارتها ، كانت بطيئة لينة كسلي تقريبا.

ومع ذلك كانت هادفة. وقررت أنه رجل بري

بكل تأكيد ، ثم التفت إليها قائلاً:

- وهكذا ، لماذا تبحثين عن كونراد دوميتيو؟

شعرت وكأنها اصطدمت بجدار. رفعت

بصرها إليه.. متمنية لو أنها أطول... ولو أن

نظارتها علي عينيها.

اهتزت ابتسامتها المشرقة وهي تقول:

- أريد... أريد أن أدعوه إلي حفلة توقيع

كتاب.

فقال بتكاسل: ( توقع كتاب ).

كانت تشعر به متيقظا حذرا. بدا وكأنه كان

يراقب وينتقد ويستنتج ملاحظات بالغة

الدقة والذكاء هنا الآن ، إلا أنه لن يطلع

عليها أحداً.

تمنت لو تستطيع رؤية وجهه بشكل واضح ،

وصممت علي أن تشتري نظارات جديدة

غدا صباحا قبل أي شيء آخر.

حاولت أن تمتلك نفسها ، واستطاعت ذلك

باستثناء رنين خفيف في أذنيها. ثم قالت:

- نعم. فأنا بائعة كتب.

أدركت فجأة أنها المرة الأولى التي تقول فيها

ذلك.

- أنا جديدة في المهنة نوعاً ما. وقد اتخذت

مكتبة مستقلة منذ عدة أشهر.

فقال مفكراً:

- وهكذا تريدان أن تظهرني نشاطك.

– أظن ذلك.

فسأل باهتمام صادق:

– هل عملك ممتع؟

حملت فيه لكن حملقتها لم تجعلها تري  
بشكل أفضل ، مع أنه علي الأقل ، أخفي  
حقيقة أن نظرها ضعيف كالوطواط..  
وأجابت: ( حتى الآن هو ممتع).

– أنت حذرة جداً.

كان من القرب منها بحيث استطاعت أن  
تشعر في صوته أنه يتسم فرفعت إليه بصرها  
ضاحكة:

– لا بأس. حتى الآن هو بغيض. ما رأيك في  
هذا؟

ساد صمت غريب. وساورها إغراء ساحق  
بأن تغضن عينيها لتركز نظرها علي وجهه  
فتراه بشكل أفضل ، لكنها حدثت نفسها  
بعنف بأنها لن تفعل ذلك.



أجاب: ( أنه مشجع أكثر).

حاول شخص ما أن يفتح الباب خلفهما ،  
فتحرك وبذلك سد الطريق علي الخارج إلي  
الشرفة. وسمع صوت يعتذر ، ثم عاد الباب  
ينغلق.

لا يمكنها أن تكون واثقة تماماً ، خاصة وهي  
غير قادرة علي رؤية وجهه كما يجب .. لكنها  
شعرت أنه لا يريد أن يقتحم وحدتهما أحد.  
تأوهت فرانسيسكا داخليا ، لكنها ما لبثت  
أن تماكنت نفسها.

سألها: ( أين هي مكتبك؟).

- في شارع صغير جانبي قرب النهر في  
"فولهام". كانت مكتبتنا في الأصل كوخين من

طراز العهد الفيكتوري ، خلف مستودعات

الغاز ، خلف "كينغ رود".

أعطته هذه الإرشادات الدقيقة لأن هذه

عادتها في الدقة. فضحك وقال: ( لا أظنك

ترسمين الخرائط؟).

أجابت بشيء من الخجل: ( أحب أن أكون

واضحة في ما أقوله. آسفة).

- لا داعي للأسف ، فهذا نافع جدا. ليس

لديك فكرة عن عدد الناس الذين يدلونك

علي المناطق بشكل غير كافٍ ، ضانين أنهم  
علي صواب.

فكرت فرانسيسكا في صور الجبال  
والشلالات التي رأتها في المدخل وسألته: ( هل أنت عالم بالجغرافيا؟).

– نوعا ما.

أتراه بائع كتب منافسا يحاول أن يستخرج  
أسرارها بأسئلته هذه؟ ولكن ما هي الفائدة  
من ذلك؟

قالت: ( طبعا ، عندما أقول: توقيع كتاب ،  
فأنا أعني في الواقع أكثر من هذا. فنحن نقيم  
لاجتذاب الزبائن إلى مكتبتنا "باز" ،  
مناسبات مسائية ، قراءات ، أحاديث وما  
أشبهه. إن الناس يتصلون بنا ليسألونا عن  
المناسبة التالية ونوعها. وقد نقيم أحيانا  
مناسبة لعرض وترويج عدة كتب).

علمت أنها تثرثر... لكنها لم تعرف لماذا ، كان  
طويلا ولم يكن الطوال من الناس يرهبونها  
عادة.

لم يكن مرهبا بالضبط... إنما مسيطرا.. ثمة  
شيء ما فيه جعلها تتكلم بكثرة وبصوت  
مرتفع.. وكانت طوال الوقت تشعر به ينظر  
إليها.

تحنحت قائلة: ( وماذا تفعل أنت هنا؟).

أحست بأنه قرر شيئاً ما. وقال: ( آه ، طائر  
غريد).

ظنت أنها لم تسمعه جيداً . فسألته: ( ماذا؟).

فقال: ( أنا أغني لأحصل علي عشائي ، أو  
يحدث هذا عندما يستدعونني لمواجهة  
الصحافة بعد دقائق).

قال بارتياح: ( آه ، أنت كاتب إذن!).

قال الرجل بأسي: ( ليس هذا بالضبط. كل ما في الأمر أن مصورا لصا أدركني وكنت أنا أضعف من أن أقول له لا).

قالت بارتياح فهي لا تصدق أن من الممكن أن يكون هذا الرجل ضعيفاً: ( أحقاً؟).

فضحك: ( كان يجب أن تري الصور علي مدخل بركان ثائر يعلو عشر أقدام ، وذئب يقفز جعل كل شخص يتراجع خطوتين).

– لقد فاتتني رؤية الذئب.



– هذا أفضل ، أنه كالكابوس .

قالت بفضول: ( يبدو كأنك تستنكر

لذلك).

– أنا؟ وماذا لدي لكي أستنكره؟ لقد كتبت

شيئا وليس علي أن أقوم بالدعاية له .

فلم تصدق إنكاره فقالت: ( ولكن...؟).

ثم سكتت ، فقال: ( أنت حادة الطبع أليس

كذلك؟ لا بأس ، أعترف بأنني لست

متحمسا لكتب التسلية تلك ، ولم يسبق أن  
تصورت نفسي مساهما فيها).

- ولماذا فعلت ذلك إذن؟

ثم قرر أن يأخذ الأمر بهزل: ( لقد قدموا إلي  
مالا كثيرا حسناً؟ هل انتهت تساؤلاتك؟).

- نعم. انتهت.

لكنها لم تستطع أن تتخلص تماما من الشعور  
بخيبة الأمل ، إذ لم تتوقع أن يقدم رجل مثل

هذا علي عمل لا يجبه من أجل مبلغ وافر  
من المال.

قال بدهاء: ( والآن يبدو أنك أنت التي  
تستنكرين).

تحركت بضيق ، قائلة: ( من السهل أن  
تتعف عن المال عندما يكون لديك الكفاية  
منه).

قال بشيء من الانفعال: ( أنت ذات عقل  
راجح).

أسرعت تغير الموضوع: ( وأنا واثقة من أن  
كتابك سينجح. الناس يلتهمون هذه الكتب  
المصورة حالياً ، خاصة إذا كان المؤلف امرأة  
شعراء أو أميراً ملكياً كما أظن).

فقال: ( أمير؟).

فأجابت: ( نعم. لهذا أردت أن أتحدث إلي  
كونراد دوميتيو فقد رأيت من النشرة التي

وزعوها للدعاية أنهم استطاعوا أن يجعلوه أن  
يقوم ببعض مغامرات الغلمان).

ساد صمت طويل... طويل ، ثم قال بصوت  
يحوى أكثر من مجرد الاستنكار: ( آه ، إذن  
لهذا كنت تبحثين عنه؟).

تملكها الشك لحظة ، لكنها نبذت ذلك  
حالا. لا يمكن أن يكون هذا الشخص أميراً!  
هذا الرجل الطويل الممشوق. فكل من تعرف  
من المونتاسوريين هم سمر صغار الأجسام  
كأبيها.

فقال: ( حسناً ، أنه في الحقيقة أمير سابق ،  
ولكن يبدو أن بعض الناس يتأثرون به).

- بعض الناس ، ولكن ليس أنت .

قالت ضاحكة: (لا ، ليس أنا ، لكنني علي كل حال ، حالة استثنائية).



– أحقاً؟ ألا يستحق الأمراء اهتمامك؟

فضحكت بصوت مرتفع: ( لست ضد  
الحكم الملكي إذا كان هذا ما تعنيه. ولكنني  
أعرف قليلا عن هذه الأسرة المالكة  
بالذات).

فقال ببطء أكثر من المعتاد وشيء من

الارتباب: ( أحقاً؟ )

انتصبت تقول وقد أصاب ذلك منها وترا  
حساساً: ( ولي عهد مونتاسور يطالب بعرش  
بقعة حقيرة في البلقان مؤلفة من جبلين

وساقتين يسمونهما نهرين ، إنها أشبه بمزرعة  
عائلية منها بمملكة).

ساد الصمت. لقد استحوذت الآن علي  
اهتمامه بكل تأكيد ، ثم قال رجل الغابات  
بتكاسل: ( أنت ذات اطلاع كبير).

فقال: ( بكل تأكيد ، محصولها الرئيسي  
القمح والعنب ، وسكانها بمعظمهم قطاع  
طرق).

انفجر يقول بحدة: ( قطاع طرق؟ لقد  
أكملت بحثك حقاً).

– المونتاسوريون في المنفي حسني السيرة ،  
لكنهم كانوا ، في الأصل ، قطاع طرق في

الجبال ، ثم استقروا في محطات الطرق ، في  
العصور الوسطى ، ثم شرعوا يأخذون  
الإتاوات من المسافرين).

فقال: ( هذا ليس قطع طرق).

– لقد طوروا هذا فيما بعد ، وقد اغتنوا من وراء الخطف والابتزاز والاعتصاب قرابة العشرة قرون. ثم ارتبطوا بعلاقات عامة كبرى ومن ثم تحولوا إلى مرتزقة أحرار.



ساد صمت صاعق. ثم قال ببطء: ( يبدو  
أنك خبيرة. هل تخصصت في دراسة تاريخ  
البلقان؟)

ضحكت ساخرة: ( بشكل ما. أبي من  
مونتاسورو فنشأت علي ما كان يقصه علي).

صمت آخر أطول ، وشعرت به يفكر...  
مزال الموقف مربكاً رغم خصامهما ، كان  
الجو يضحج بذبذبات الإعجاب... تباً لذلك!

قال: ( إنها قصص لا تبعث علي الزهو)

فقلت: ( حسناً ، أبي هو ضد الملكية).

فقال وكأن هذا فسر كل شيء: ( وأنت  
ورثت عنه التحامل والتحيز).

فتصلب جسدها: ( لا ، أبدا لا يهمني أمر  
الملكية بأي شكل. أما ما لا أستطيع احتمالته  
، فهو أن كثير من الناس مازالوا يعيشون في

الماضي ، ملوك سابقون؟... يا للسخافة! لا  
يمكنك أن تمضي حياتك بصفتك شيئاً سابقاً.  
عليك أن ترسم لنفسك خطأ تسير عليه).

– أنت.... حقود جداً.

نظرت إليه بارتباك: ( لماذا؟ هل لأنني أكره  
الحنين الزائف إلى الوطن؟ ) .

كان ينظر إليها بتلك الطريقة مرة أخرى ، لم  
تكن تستطيع رؤيته بوضوح ، لكن التحفظ  
كان يفارقه شيئاً فشيئاً.



وكان يقول ببطء: ( لأنك رسمت لنفسك  
خطأ ترفضين الترحيح عنه. كم عمرك؟).

ففتحت عينيها بحدة: ( ثلاثة وعشرون ،  
وأنت؟

ضحك برقة: ( اثنان وثلاثون صاعدا نحو  
المائة في هذه الدقيقة فقط. )

فسألته: ( ولماذا في هذه الدقيقة؟ ).

لكن الحظ لم يسمح له بأن يجيب ، إذ انفتح  
الباب الزجاجي بعنف لتنساب منه أصوات  
الموسيقى. فتنحى جانبا لكي يمر بعض

المحتفلين واغتتم الفرصة لكي ينظر في ساعته  
قائلاً: ( المفروض أن أكون الآن في غرفة  
الصحافة أؤدي واجبي).

فهمت بغضب وخيبة أمل ، وهي تمد يدها:  
( آه ، أتمني لك حظاً سعيداً).

وسألها وهو يصفها: ( هل سأراك فيما  
بعد؟).

فهزت رأسها: ( حاملما أعرثر علي الأمير ،  
سأذهب إلي البيت).

ابتسم بفتور: ( تقصدين الأمير السابق).

وبقي ممسكا بيدها فقالت بذهن شارد: ( أيا  
كان لقبه).

– أنت تحبين أن تكوني دقيقة .



– نعم. أظن ذلك. وكانت ترتجف بشكل

غريب فقال: ( هذا واضح. حسنا إذن.

الأفضل أن نقول وداعاً).

وجذبها بيدها يديها منه خطوة ثم انحنى عليها

، وقبلها علي وجنتها بخفة.

شهمت فرانسيسكا. وشعرت لحظة بموجة من  
الهواء البارد النقي تغمرها... لكنها ما لبثت  
أن عادت إلي واقعها علي الشرفة المزدهمة.  
وقالت لاهثة قليلاً: ( ال.. الوداع).

فانتصب واقفاً: ( حظاً سعيداً لك أيضاً ،  
أرجو أن تعثري علي أميرك السابق).

فرانسيكا ، التي لم يسبق أن أقرت قط  
بعجزها عن أداء مهمة باشرت بها ، فكرت ،  
بأن تتخلي عن مهمتها هذه. لم تشعر برغبة  
في القيام بأي عمل هذا المساء سوى العودة  
إلى البيت واستعادة أنفاسها.

لن تفقد تركيز ذهنها علي عملها فقط لأن  
باري دي لاتوش تركها ، ولأن رجلاً غريباً  
قبلها علي وجنتها... لا ، لن تفعل! وقالت  
تحدث نفسها: أنا أحصل دوما علي الرجل  
الذي أريده.

\* \* \*

# نهاية الفصل الأول

## الفصل الثاني : أشواك بلا ورود

قال كونراد بحزم: ( أريد أن أعرف كل شيء  
عن مكتبة في شارع فولهام قرب مستودعات  
الغاز. لن أتحرك من هنا قبل أن أعرف اسم  
صاحبها).

كانت وكالة الدعاية تبحث عنه بلهفة  
متزايدة. قالت متعهدة: ( سأبحث لك عن  
ذلك. تعال فقط الآن وتحدث إلي  
الصحافيين).

سألها: ( وكيف ستعرفين ذلك؟).

- سأسأل. لا بد أن أحداً بين هذه الجموع  
يعلم.

- لكنني لا أعرف اسم المكتبة.



أخذت تحته علي السير نحو الغرفة حيث

اللقاء بالصحافيين ، وهي تسأل: ( ماهو

شكلها؟ وكم عمرها؟ بماذا تهتم؟).

– إنها سمراء صغيرة الحجم ذات عيني

كبيرتين بنيتين تتسعان أحياناً وتدمعان وكأنك

أعظم شيء رأته في حياتها. إنها في الثالثة

والعشرين ، وهي عنيفة).

فقلت موظفة الدعاية مجفلة بعض الشيء: (

آه ، هذا يكفي لكي يجعلنا نعثر عليها ، هل

قلت شارع فولهام؟).

وعندما أنهى حديثه عن كتابه ( رماد تدر وه

الرياح) كانت قد عادت: ( يبدو أن اسم

صاحبه هو "جاز إين" ، اسم المكتبة "باز".

لكن طول جاز حوالي ست أقدام ، سوداء

رائعة اللون ورائعة الجمال).

- ليست هي ابنتي مرة أخرى ، اسمعي...

هي تعرف الكثير عن مونتاسورو ، أو تظن

نفسها تعلم ، فقد كان أبوها لاجئاً.

أحد الصحافيين الذي تسلل خارجاً من

الغرفة أملاً في أن يظفر بحديث خاص مع

الأمير السابق ، سمع هذا الكلام ، ففس

نفسه بينهما: ( أتعني ابنة بيتر هيلير؟).

قطب كونراد حاجبيه وقال باشمئزاز: ( هيلير؟

ذلك المحتمل؟).

ضحك الصحافي: ( أيمكنني أن أنقل عنك  
هذا الكلام؟ إنه مليونير عالمي محترم هذه  
الأيام. )

لكن كونراد لم يتسم بل بدا منزعجا كل  
الانزعاج وقال له: ( أتريد أن تقول أن ابنة  
بيتر هيلير تضيع وقتها في مكتبة صغيرة في  
ظل مستودعات الغاز؟ لا أصدق هذا ).

قال الصحافي: ( المكتبة ليست صغيرة.

لديها أيضا زاوية خاصة في الإنترنت وضعتها

، كما سمعت ، ابنة هيلير بنفسها).

فقال شخص آخر انضم إليهم: ( أتعني

شركة "جاز إلين" الجديدة؟ سمعت أنها فتاة

غير عادية).

قال الصحافي موافقاً: ( نعم. كل شخص

يعتقد أن المكتبة ستثير فضول الناس في وقت

قصير ، حسناً ، إنها غنية إلى حد تتمكن معه  
من إدارة عمل صغير كهذا دون أن تخسر).  
فقال شخص آخر متأثراً: ( معك حق ،  
فرانسيسكا هيلير ليست شريكة غافلة. إنها  
امرأة مخيفة دائمة التحدي ، و"جاز" تراها  
رائعة).

وقال الصحافي بنظرة جانبية: ( وهكذا يراها  
الأمير كونراد كما يبدو).

لكنه لم يحصل علي الجواب الذي رجاه ، لأن  
الرجل الطويل نظر إليه لحظة صامتاً ، وعيناه  
غير مقروءتين ، ثم أشاح بوجهه هازاً كتفيه ،  
وقال يحدث موظفة الدعاية دون اكتراث: ( هل لك أن تحصلي علي العنوان لأجلي؟ فقد  
وعدتها بأن ألقى لديهم حديثاً في إحدى  
الأمسيات).

لم يعد إلي سيرة فرانسيسكا هيلير بقية  
المساء. وبدلاً من ذلك ، وزع اهتمامه علي

كل الموجودين ، كما أنه بقي إلي نهاية  
الحفلة. لكنه لم ير أثراً لفرانسيكا هيلير.  
أخيراً ترك الحفلة بخطوات واسعة غير سريعة  
حتى غاب عن النظر قبل أن يتسني لأحد  
التفكير في مناداته للعودة.

\* \* \*

فرانسيكا ، ياله من اسم غريب لفتاة  
نصف انكليزية ونصف مونتاسورية! شعر  
وجبين واسع وملامح بشبه ابتسامة غامضة.



طبعاً ، لم تكن فرانسيكا هيلير هادئة هذا  
المساء لكنها لم تصادفه بصفتها من الجيل  
الثاني المونتاسوري لكي تخدعه وتستولي علي  
ثقتة.

هذا لا يعني أنها تعتبر نفسها مونتاسورية.  
فكل ذلك الهراء الذي قالته عن قطاع  
الطرق! كان عليه أن يتحداها بالنسبة إلي  
ذلك علي الفور. ولم يعرف لماذا سكت.  
رباه! بل يعرف. يعرف بالضبط لماذا ، فقد

كانت تنظر إليه بتينك العينين الواسعتين ،  
وكأنها موجودة في حلم ، وكل ما كان يريد  
هو أن يدعيها تنظر إليه بهذا الشكل إلي  
الأبد.

نعت نفسه بالحماقة. والغباء! كل ما كان  
يهمها هو أن تحصل علي أمير لأحدى  
مناسبات مكتبتها ، وكل ما استطاع أن يعرفه  
هو أنها في العمل بمهارة أبيها ، وابنة بيتر  
هيلير هي آخر شخص قد يتورط معها.

نعم. ذلك أفضل. سيتمشي قليلاً ليفكر في

كل شيء يعرفه عن أبيها.

ذكر كونراد نفسه بأنه يعلم كل شيء عن بيتر

هيلير ومعاملاته التجارية ، وكل الجالية

المونتاسورية تعرف ذلك ، فهم يعرفون أن

هيلير رجل عديم الرحمة مولع بالملكاسب وغير

شريف أبداً... وقد سخر عدة أشخاص من

الجالية المونتاسورية لمصلحته بشكل قاس

أناني دون أي جرم اقترفه أولئك سوى

الترحيب به عند مجيئه إلى لندن.

سيضع فرانسيسكا هيلير الغامضة ذات

العينين النديتين في مكانها الصحيح لأنها ابنة

بيتر هيلير.

ولكن هذا لم يحدث ، فقد نفذت فرانسيسكا

تحت جلده كشوكة الوردية. أسرع كونراد في

سيره دون أن يلاحظ برودة الليل أو المطر

المتقطع وكان يحاول أن يقنع نفسه بأنها غلطة  
آنية ، وأنه لا يريد في حياته امرأة يخجل من  
تقديمها إلي جده أو شعبه ... وأنه لا يريد  
أيضا في حياته فتاة بريئة غامضة العينين . ثم  
تذكر كيف رفعت رأسها مجفلة عندما ظنته  
يسخر منها . وكيف انحبست أنفاسها عندما  
لمسها . وتذكر العينين الكبيرتين المتسائلتين  
اللتين شعر بهما تنظران في أعماق روحه .

حدث نفسه بأن فرانسيسكا هيلير إما ورثت  
عن أبيها معاملاته الماكرة، وفي هذه الحالة لا  
تصلح له. وإما هي فعلا كما بدت له هذه  
الليلة.... ولكن ليس هناك فتاة في الثالثة  
والعشرين بهذا الوضوح والغفلة والضعف....  
وإذا كانت كذلك حقاً....

آه، إذا كانت كذلك حقاً ، فإن كونراد  
دوميتيو ليس بالرجل الذي يصلح لها....

\* \* \*

تخلت فرانسيسكا عن بحثها حالما تركها  
الرجل الطويل. كان الزحام شديداً ، ولم  
تستطع العثور علي جاز. ولأنها لن تعثر أبدا  
علي الأمير الذي لا تعرفه ، ارتدت معطفها  
وخرجت إلي حيث الظلام والمطر.  
لم يكن سهلاً أن تجد تكسي دون نظاراتها.  
أشارت بالوقوف إلي سيارة "رانج روفر" ، ثم

إلى شاحنة ، وأصبح ضوء إشارة السير  
برتقالياً قبل أن تجد تاكسي. أعطت السائق  
العنوان ، ثم استندت إلى الخلف في مقعدها  
وأغمضت عينيها ، صباح غد ستشتري  
ثلاث نظارات. واحدة للبيت وواحدة  
للمكتبة وواحدة تبقى في حقيبة يدها ،  
الكابوس الذي حدث هذا المساء لن تسمح  
بحدوثه مرة أخرى أبداً.



لكنه لم يكن كابوساً من كل النواحي ، كما  
همس لها صمت غامض. ذلك أن الرجل  
الطويل في الشرفة لم يكن كابوساً.... بل  
كان.... ساحراً جداً.

أدركت أن ثمة فرقا بين التوقع والحقيقة....  
لقد كانت تتوقع أن تنتهي هذه الليلة بعودتها  
مع باري حيث يخططان لمستقبلهما. ولكن ،  
بدلاً من ذلك ، انتهى بها الأمر في هذه  
التاكسي التي كانت تخترق بها شوارع لا تكاد

تراها أو تميزها ، وتحلم برجل لا تستطيع  
تمييزه إذا رآته مرة أخرى.

حسناً ، قد لا يكون هذا صحيحاً. لأن جو  
السلطة الذي يحيط به كان بالغ التأثير. ربما  
سيعود ذلك التأثير عندما تستعيد نظاراتها  
وتتمكن من رؤية وجه الرجل ، وتلك الهالة  
من الطاقة الفيضة ورائحة البراري ، تلك  
الرائحة ستذكرها من مسافة خمسين خطوة.

لم تكن ليلتها مريحة. حاولت أن تأوي إلي  
سريرها لكنها بقيت تفكر في باري ، وفي  
الرجل الغريب ، ثم باري مرة أخرى.  
وكانت لحظة تدعو إلي السخط عندما  
وجدت نظاراتها الجيدة خلف وسادة الأريكة  
، وتذكرت عندما رفعها باري عن عينيها.  
عليها أن تنسي رجل الشرفة ذاك وتفكر في  
باري. فهي تعرفه علي الأقل... أو تظن أنها  
تعرفه.

الآن وهي وحدها ، أخذت تتذكر أن باري  
كان دوما يبدو وكأنه يصاحب فتاة أخرى ،  
وبعد أن تعرف إليها أنتحل لذلك عذراً بكل  
سهولة ، والآن وهي تفكر في ذلك ، أدركت  
أنه لا بد كان يصاحبهما هما الاثنتين ، رباه ،  
ما أفضع حكمها عليه!

تخلت عن النوم وأخذت تجول في أنحاء شقتها  
الفارغة في معطفها المنزلي القرمزي اللون.

تسربت الدموع من عينيها فمسحتها بغضب  
لكنها لم تبك قط ، فماذا حل بها؟  
إنها لا تفتقده. إنها لم تعرفه قط فكيف  
تفتقده؟ كانت تفتقد الحنان فقط. حسناً ،  
ليس هناك رجل حقاً يشعر بالحنان نحو امرأة  
تجد أسهل عليها أن تعد وتحسب من أن تدع  
مخيلتها تنطلق. هي التي ورثت شكلها عن  
أبيها الذي يشبه سكان الكهوف الأوائل.

والتي تضع نظارات مربوطة إلي بعضها البعض  
بشريط لاصق.

حتى ذلك الغريب لم يكن ليتحدث إليها لو  
أن الظلام لم يستر وجهها عنه.

لا ، لا ، لم يكن مكان لها في مجال الإشباع  
العاطفي. وقد أثبتت ذلك حوالي عشر مرات  
خلال سن الرشد وحدثت نفسها بأن عليها  
أن تعتاد علي ذلك وتكتفي بمهنتها. وبهذا ،  
علي الأقل ، يكون لها حظ في النجاح.

وهكذا ، كانت في الصباح التالي قد أنهت  
تنظيم مناظرة الكتب عندما وصلت جاز ،  
فبادرتها فرانسيسكا قائلة: ( آسفة لأنني لم  
أستطع أن أعر علي الأمير لأجلك).

أخرجت جاز "ترموس" من كيس ورقي  
وأزاحت غطاءه البلاستيكي ثم ناولتها إياه.  
ثم قالت متفلسفة: ( هذا لا يدهشني لقد  
نجحت في أن أتبادل الحديث مع "موريس  
ديلون" الذي سيقم حلقات دراسية حرة

للمؤلفين الجدد في مكتبتنا ، وذلك في الشهر  
القادم ، ماذا عنك؟).

هزت فرانسيسكا رأسها: ( التقيت فقط  
برجل أراد أن نخرج إلي الشرفة ونتحدث  
تحت المطر).

رفعت جاز حاجبيها الأنيقين: ( هذا مثير).  
ودهشت حين احمرت وجنتا فرانسيسكا  
قليلاً ، وقالت متأملة: ( لا أراك فعلت شيئاً



كنت أنا سأفعله لو كنت مكانك ، أليس  
كذلك؟).

فقلت فرانسيكا مضطربة بشكل عادي: )  
طبعاً لا).

ضحكت جاز بصوت مرتفع ، فقلت  
فرانسيكا:

- لم أقصد ذلك. حسناً ، كفى ضحكا  
علي. رباه! وكيف أعرف ما كنت ستفعلينه.

رشتت جاز قهوتهما: ( في الحقيقة ، ما كنت  
لأستطيع القيام بالكثير علي شرفة تحت  
المطر).

ونظرت إلي فرانسيسكا متأملة: ( لا بد أن  
الجو كان باردا جدا).

أجابت: ( آه... نعم ، ربما. أنا لم ألاحظ في  
الحقيقة).

رشتت جاز مزيدا من القهوة: ( آه... كم  
لبثما في الشرفة؟).

فأجابت فرانسيسكا بشيء من التمرد: ( لا أتذكر).

فقلت جاز: ( آه ، هذا مثير للخيال كما أرى).

لم تستطع فرانسيسكا من الشعور برجفة خفيفة لا إرادية. وأدركت أن جاز لاحظت ذلك. وقالت دون وعي: ( وماذا كان بإمكانني أن أري منه؟ هذا يذكرني... هل

لك أن تعطيني نظاراتي الاحتياطية من فضلك  
(.

لم تقل جاز شيئاً. فقالت فرانسيسكا: ( )  
السمعي ، لا يمكنك أن تظني أنني انجذبت إليه  
بشكل جاد. فأنا لم أره سوى مرة واحدة).  
فقالت جاز: ( التجاذب عادة يحصل علي  
الفور ، ولا يمكنك أن تفعل شيئاً تجاهه.  
حسناً ، بإمكانك أن تختاري بين الاستمرار

فيه أو الهرب منه... فالتجاذب قد صعقكما  
لتوه).

ارتجفت فرانسيسكا مرة أخرى. حتى شعورها  
نحو باري لم يكن صاعقا تماماً ، ليس بالشكل  
الذي تعنيه جاز. فقالت بعنف:

( اسمعي. كنت أظن ، حتى أمس ، أنني أحب  
باري ، لذا لست مستعدة الآن لتلقي  
صعقات الانجذاب).

بدت ابتسامة واسعة علي شفتي جاز ،  
فكادت فرانسيسكا تجن ، فصاحت بها  
بقنوط: ( ماذا؟ ماذا؟).

محت جاز الابتسامة عن فمها ، وقالت: ( )  
كما تقولين).

قالت فرانسيسكا بكبرياء: ( أعطيني نظاراتي.  
لدي عملاً أريد القيام به).

أعطتها جاز ما طلبت ، ثم ذهبت  
فرانسيسكا إلي غرفة المخزن وهي نهمهم.

تبعثها جاز أخيراً وقالت لها: ( أنا أعرف أنك  
لم تعثري الليلة الماضية علي الأمير ، لكنني  
أظن أن بإمكاننا أن نقيم محاورة مثيرة ذات  
مساء ، إذا استطعنا أن ندعوه).  
لم تكن فرانسيسكا قد صفحت عنها بعد ،  
فرفعت نظاراتها فوق أنفها وقالت: ( إنه  
اللاجوء الرخيص إلي معالجة الموضوعات  
المثيرة).

فقلت جاز: ( نعم ، هذا ما ظننته. لكنني  
نظرت في كتابه الليلة الماضية. هل قرأته؟).  
رفعت فرانسيسكا أنفها في الهواء فقالت  
جاز: ( لا أظنك قرأته ، إنها قصة جهنمية  
بقدر ما هي علمية).

فقلت فرانسيسكا: ( أهكذا؟).

أجابت جاز: ( ولهذا ، ادعيه... تحدثي إليه  
، أخبريه بمبلغ أهمية زبائنا).



نسيت فرانسيسكا أنها أخبرت ذلك الغريب

الليلة الماضية بهذا الشيء نفسه ، فسألتها: (

ولماذا أفعل ذلك؟).

كانت جاز مستعدة لهذا السؤال ، فأبرزت

لها من وراء ظهرها ورقة لامعة ، وهي تقول:

( انظري إلي هذه).

نظرت فرانسيسكا ، فاستطاعت هذه المرة

أن تري الصورة الفوتوغرافية ، كانت رائعة

الجمال بالأبيض والأسود.

كان وجهها مؤثراً مثيراً للإعجاب. لم يكن  
وسيماً بالشكل المتعارف عليه ، فقد كان  
أكثر قوة من أن يكون جميلاً بوجنتيه  
العاليتين وأنفه البارز المنحني وعينييه  
اللامعتين. لكنه كان وجهها لا يمكن نسيانه  
بسهولة.

وارتجفت فرانسيسكا لسبب يتعذر تفسيره.  
قلبت الصفحة. بالإضافة إلى التعريف  
بالكتاب ، كانت هناك صورة أخرى ، من

الكتاب هذه المرة ، وبألوان رائعة أظهرت  
لونه الذي لوحته الشمس بشكل بديع. كان  
قميصه قد فقد معظم أزراره يشكّل واضح.  
بينما هو يلوح بفأس فوق رأسه ، ضاحكاً.  
كان مفروضاً أن تجعله الجبال المكلفة بالثلج  
خلفه يبدو صغير الحجم ، لكن هذا لم  
يحصل.

لم يكن ذلك لأن كونراد دوميتيو كان طويلاً  
بشكل غير متوقع ، بل لأنه كان هناك تلك  
الثقة المتكاسلة بالنفس ، والفم المرن. وتلك  
الضحكة في عينيه الثابتتين.

وفكرت فرانسيسكا فجأة في أنها لا تستطيع  
التعامل مع رجل له مثل هاتين العينين.

لكن جاز لم تشاركها تحفظها وهي تقول: ( )  
إنه حلم النساء. كل الرجال سيرغبون في أن

يكونوا مثله ويبدو أنه أنزل المجموعة من  
البركان بمفرده).

وقرأت بصوت مرتفع: ( لماذا يستلم الصبي  
الجديد المسؤولية بين المجموعة؟ هل لأن

كونراد في الثانية والثلاثين وهو متسلق  
صخور أم لأنه مبرمج بالوراثة للحكم!).

هذا مضحك! إنه مجرد رجل متسلط اعتاد  
أن يرمي بثقله هنا وهناك.

فقال جاز: ( بهذا العمل أنقذ أرواحا كثيرة.  
والكتاب من السهل الحصول عليه).



أعادت فرانسيسكا قلب الورقة ونظرت إلي  
الصورة ، قائلة: ( وهكذا المؤلف ، كما  
يبدو).

كبحت جاز ابتسامة وقالت بنبرة استعطاف:  
( آه ، أرجو ذلك).

ضاقت عينا فرانسيسكا: ( لا تمنحي الأمراء  
أي قدر من الاعتبار ولا مقالة جذابة كهذه  
حتى).

فقلت جاز تملقها: ( علينا أن نستغل  
أمسية مع الأمير الجميل ، يا فرانسيسكا).

تنهدت فرانسيسكا: ( حسناً ، سأتصل  
بالناشر).

فقلت: ( سبق أن أخبرتك بأنهم لن يهتموا

بنا. نحن أقل أهمية من ذلك. عليك أن

تتصلي به مباشرة ، هاجميه بسحرك).

قلت فرانسيسكا بسخرية: ( سحري؟ أنا؟

هذا حلم).

وفكرت قليلاً ثم عادت تقول: ( لا بأس. إذا  
لم يتصل بنا الناشر ، فسأتصل بالجمالية  
المونتاسورية سائلة كم سيكلفنا).

فقال جاز مجفلة: ( يكلفنا).

قالت فرانسيسكا ساخرة: ( أن نستأجر أميراً

، كيف تظنين أن هؤلاء الأمراء السابقين

يحصلون علي خبزهم؟ إنهم يؤجرون ميزتهم

الوحيدة).



نظرت جاز إلي ذلك الوجه القوي في الصورة  
، وتمتت تقول بمكر: ( هل قلت ميزته  
الوحيدة؟).

قالت فرانسيسكا شامخة: ( ما أسهل أن  
تعجبين برجل).

فقلت جاز: ( أنا؟ هذا هراء. كل شخص  
يعلم أنني صعبة الإرضاء. أنت هي الشاذة  
لأنك تركت نفسك مشوشة مرتبكة مع باري  
دي لا توش).

أجفلت فرانسيسكا: ( استمري . قولي كل  
شيء . لماذا سكت؟ ) .

فأجابت جاز: ( لا أصدق أنك فكرت حقا  
في الزواج بباري).

كانت فرانسيسكا قد أمضت ليلة سيئة ،  
مفكرة في ذلك الموضوع فقط.

قالت بعنف: ( كل ذلك يظهر أنني لا أميز  
جيداً وأنا أني أتجاوب مع الحنان بشكل زائد  
عن الحد).

هزت جاز رأسها: ( ولماذا لم تقولي شيئاً؟ كان  
بإمكاني أن أخبرك عن كذبه وزيفه).

لم تكن فرانسيكا مسرورة لسماعها هذا ،  
فسألتها: ( هل كان يمكنك ذلك؟ باعتبار أن  
كل من ينجذب لي غشاش؟).

ردت جاز بحدة: ( لقد زعم باري أنه كاتب  
مسرحي ، مع أنه لم يسبق أن خط قلمًا علي

ورق. والواقع أنني لم أعلم قط أنه كان يدعي  
الانجذاب إليك ، لقد أبقيتما الأمر سراً).

حولت فرانسييسكا نظراتها بعيدا وقالت: ( )  
كانت فكرة باري أن من غير المناسب أبدا



أن يخرج الرجل مع المرأة التي يعمل معها ...  
وهكذا صدقته).

شتمت جاز بصوت منخفض ، بينما عادت  
فرانسيسكا تقول بحزم ، مشرقة الوجه: )  
بإمكاني أن أعتبر هذا درساً مفيداً).

سألها جاز وهي تتفحصها بدقة: ( هل  
أحبته حقاً؟).

ساد صمت قصير قالت فرانسيسكا بعده  
بصوت خافت: ( هذا ما ظننته ).

رفست جاز ، وهي الهادئة عادة ، سلة  
المهملات بقدمها بحقد: ( يا له من ضفدع  
سام! ).

قالت فرانسيسكا متأثرة: ( هيه... سأنسي  
ذلك ، يكفي أنني تعلمت درساً كهذا ،  
وسأعود طبيعية).

وكما قالت جاز. لم يساعدها الناشرون بشيء  
فقد قالت السكرتيرة: ( صدقيني ليس في  
مذكرة سموه مكاناً لمزيد من الظهور شخصياً  
في مكان عام).

وهكذا فشلت خطة فرانسيسكا ، ولم تكن  
مسرورة لذلك ، طبعاً ، بعد أن أقحم أبوها  
نفسه في حياتها العاطفية. كانت رفضت أن  
تراه.

كانت ، في الواقع ، متمسكة بكرامتها إلي  
أن قال لها ( لكنني كنت علي صواب ، وأنا  
دوماً كذلك ) ، عند ذلك فقدت أعصابها  
وأخبرته بأن يعود إلي نيويورك.

وهكذا ، أن تتصل به الآن وتطلب منه  
العون للاتصال بأسرة مونتاسورو المالكة ،  
هو مذلة حقيقية لها. لكنها عادت تقنع  
نفسها بالقيام بذلك بعد أن تذكرت أنه طالما  
أعلن أنه لا وقت لديه للأسرة المالكة ،  
وهكذا لن يقدمهما للأسرة المالكة بنفسه ،  
وإنما سيوجهها إلي صديق صديقه ليقوم  
بذلك عنه ، هذا إذا شاء أن يساعدها.  
وهكذا اتصلت به.



لم يكن بيتر هيلير قد عاد إلى نيويورك ،  
ولكنه كان يتناول الغداء في مكان ما فخم ،  
فقد سمعت أصوات أدوات المائدة تفرقع.  
قالت وهي تحاول أن تنسى لقاءهما الأخير: (   
مرحبا يا أبي ، كيف حالك؟).  
فقال مسروراً: ( فرانسيسكا ، إذن فقد  
صفحت عني لأنني كنت علي حق؟).  
تخلت عن المقاومة ، قائلة: ( شكراً ، أنا بخير  
، أنا بحاجة إلى خدمة).

## بنوته عراقيه

- اطلبي. ولكن بسرعة لأن لدي ضيفاً.  
اختصرت طلبها بجملة واحدة. وتلا ذلك  
صمت قال أبوها بعده ببطء: ( أتريدين أن  
تقابلي الأمير كونراد؟)

أجابت: ( نعم).

ساد صمت آخر أطول. ثم قال أبوها فجأة:  
( يمكنني تدبير هذا الأمر. وسأتصل بك فيما  
بعد).

ثم قطع الاتصال حتى قبل أن تتمكن  
فرانسيسكا من شكره ، ربما كان هذا أفضل  
بالنسبة إلي الظروف.

وما كانت لتفلسف بهذا الشكل لو أنها رأت  
وجه أبيها بعد أن أقفل الخلوي ووضعه في  
جيبه. أسند ظهره إلي الخلف في كرسيه الوثير  
، وابتسم عبر المائدة. بدا لمضيفه العجوز ،  
أشبه بقط عثر علي صحن قشدة ، ولم يكن  
معتاداً علي هذا ، فشر بالضييق.

ومنحه مضيفه ابتسامه عريضة عريضة ، ثم  
انحنى إلي الأمام يقول: ( والآن ، لدي معاملة  
لأجلك... )

\* \* \*

قال كونراد دوميتيو بحزن: ( لا ، أبداً ).  
كان لديه موقف ضد مشاريع جده  
اللاعقلانية ، وقد علمته التجارب أن يقول  
"لا" باكراً ويبقي علي قوله هذا.  
فقال جده: ( لكنك لم تسمع فكري بعد ).

بدا علي وجهه الأثبه بوجه ضفدع مفضن ،  
مزيج من الأمل وجرح الكرامة. خفض  
حفيده الطويل بصره إليه بتفهم كبير ، كانت  
الريح التي تهب عبر الملعب تعبت بشعر  
فيليكس دوميتيو الخفيف ، فارتجف... أخرج  
كونراد قفازين من جيب معطفه وناوله إياهما  
، لكنه لم يلن وهو يقول: ( لست بحاجة إلي  
سماع ذلك. لقد خرجت من سريرك صباح

سبت ممطر وقبل الثامنة ، لكي تخبرني بهذا...  
وهذا يعني أنك تعلم أنني لن أوافق).  
فقال جده نائحاً: ( أنت كثير الشك).  
وأدخل يديه في القفازين ثم أخذ يضرب  
الأرض بقدميه للتدفئة. لم يكن حذاءه  
المصقول مصمماً للسير الذي تغطيه المياه  
القدرة والرمال ، وبدا الحذاء مبتلاً بالماء.  
وقال كونراد بجفاء: ( علمتني التجارب).

كان وجهه أسمر متحفظاً ، لكنه أثناء

جلسات السبت هذه ، كان يبدو دوماً وكأنه

علي وشك الضحك.

كان الجد يعلم أن التسلية ليست بشير خير

بالنسبة إلي خطته الكبرى ، فشك يديه

المكسوتين بالقفازين فوق صدرته القديمة

الطراز ، ثم قال : ( لكنه سبب جيد).

أجاب كونراد : ( هذا صحيح بكل تأكيد ،

وهذا هو السبب في أنني مسافر إلي

مونتاسورو حالما يجهر ذلك المستشفى

المتحرك).

فقال الجد بانتصار: ( حسناً ، إذن ، فكرتي  
صغيرة سهلة التنفيذ نسبياً ، كل ما عليك أن  
تقوم به هو أن تلبس بذلة ضابط في سلاح  
الفرسان وتكون مهذباً مع الناس).

تصلب الوجه الأسمر: ( أتعني أن أتبختر في  
الأنحاء ، مزيناً صدري بأوسمة لا أستحقها؟).



قال الجدد: ( بل أنت تستحقها ، فأنا أنعم بها  
علي من أريد).

فهز كونراد رأسه: ( لم تفهمني ، أليس  
كذلك؟ لا بأس يا جدي ، أنا لم أكتسب  
ميداليات. هل هذا واضح؟).

أحني الجدد كتفيه وقال بتكدر: ( يا لك من  
منرفع).

لكن كونراد عاد يضحك قائلاً: ( آسف يا  
جدي).

أحكم الجد معطفه حوله ، ثم عاد يضرب  
الأرض بقدميه. ثم قال بحيرة: ( خذ هذا  
المكان ، مثلاً ، أنت تعلم أن عمك قد  
قدمت لك الغرفة الكبيرة في المنزل القائم في  
"برينزغيت" بدل أن تجر نفسك إلى مساكن  
المزرعة التعيسة ، الموحشة).

ساد صمت. وأخيراً قال كونراد بإيجاز: ( )  
عليك أن تخرج أكثر من بيتك ، لأن في  
المزرعة مساكن ممتازة ، فهناك يلعب الأطفال

، وأنا أعلمهم لغة أجدادهم ، أنا أعرف  
سبب قيامي بذلك ، لكنني لست واثقاً أبداً  
سبب قيامهم بذلك ، فهم يفضلون أن  
يتفرجوا علي التلفزيون أو يقوموا بألعاب  
الكمبيوتر. وإذا أنا لم أذهب إليهم فقد يقلب  
هذا التوازن ، ولن يأتوا عندئذ).

فقال الجد بسرعة: ( الحق معك بالتأكيد فأنا  
لم أكن أفكر ، ربما بسبب هذا الصباح  
الممطر والقدمين المبتلتين. والآن ، لقد قدم

إلي بيتر هيلير عرضاً بأن يمول المستشفى

الجبلي لأول سنة....).

ساد صمت مريبك ، ورأي فيليكس كونراد

ينظر إليه بعدم تصديق ، وأخيراً قال : ( أنت

بحاجة فعلاً إلي الخروج بشكل أكثر ، هيلير

ماكر كالثعلب ، فهو لا يمنح شيئاً دون ثمن ،

علي الأقل المال).

لكن فيليكس كان يفكر في أن هذا ليس أول شيء كان ينوي قوله، فقال: ( حسناً ، ربما ، لكنه هذه المرة يريد بإخلاص أن يقدم عوناً).

فقال كونراد: ( لا . هذا غير صحيحاً . لم يحدث قط أن كان لبيتر هيلير حافظ خال من الغرض ، في حياته).

كان الأولاد قد بدؤوا في الوصول ، فاخذ كونراد يحييهم أثناء مرورهم.

تنهد فيليكس بحدة ، وهو يفكر باكتئاب ،  
أي ملك كان كونراد سيصبح ، وهو يمثل  
هذا الذكاء والفتنة. وتمالك نفسه. قد يعود  
ملكاً إذا تغيرت الأمور إلي ما يريه ، طبعاً  
إذا استطاع أن يقنع كونراد.

وكان كونراد يقول: ( لا يمكنك أن تثق  
بكلمة يقوها بيتر هيلير).

حول فيليكس عينيه بعيداً. ولحسن الحظ ،  
كان كونراد ينظر إلي ولدين وصلا لتوهما  
وأخذا يخططان أرض الملعب ، فلم يلحظ  
شروود جده وأكمل الحديث بيقظة الصقر: ( )  
إنه يريد بذلك أن يكسب مزيداً من المال. ما  
الذي يظن أن بإمكاننا أن نقدم إليه؟ أن  
نستخرج له رخصة؟).

أخذ فيليكس يتفحص السماء الغبراء ثم  
قال: ( لا!).

ثم قال مخاطباً الغيوم: ( ربما حباً بوطنه).

لكن كونراد لم يتأثر: ( يحب وطنه؟ بيتر

هيلير؟ لقد كان يتفقد أحوال محبي وطنهم من

المونتاسوريين في لندن منذ عشرين عاماً ،

فزاد أكثرهم فقراً ، إنه "مخلص معاملات".

فتمتم الملك السابق بأسى: ( مخلص

معاملات غني).



فهر كونراد كتفيه: ( كان فتى طموحاً عندما  
خرج من مونتاسورو منذ سنوات وما زال فتى  
طموحاً الآن. ليس علينا أن نتعامل معه).  
فقال بمكر: ( لهذا جئت إليك ، أنت تعلم  
أنني أقدر نصائحك حقاً ، عندما تعرف بقية  
فكرتي... )

لكن حفيده أحد الناس القلائل في العالم  
الذين لا يستطيع الملك السابق فيليكس  
أوف مونتاسورو أن يناوره ، فقاطعه كونراد

بجفاء: ( لا . مهما كانت فكرتك ، فالجواب

هو هو ، لا سبيل إلي ذلك . لا . والآن

اذهب ، لأن لدي عملاً).

ولكن هذا لم يثن فيليكس فقال: ( لا . ليس

لديك عمل ، فالأولاد مسرورون للغاية).

وأخذ يلوح بيده للأولاد المبكرين الذين كانوا

يلغظون بسرور.

قال كونراد: ( وهذا ما يقلقني).

وشمل ملعب المدرسة بنظراته بكل أقسامه  
وقد ضاقت عيناه ، مركزاً بشدة ، ليس فقط  
اهتماماً بل يقظة وسهراً كالصقر .

قال جده: ( فكر لحظة يا كونراد ، ماذا  
سيكلفك هذا؟ ما الذي سيكلفك حقاً أن  
تقوم بهذا الشيء البسيط لأجل بلادك).  
لم يحول كونراد نظراته عما يجري في الملعب  
وهو يرد عليه قائلاً: ( لا تتصرف معي

كلاجى عجوز يا فيليكس ، لا تنسى أبداً أن  
بإمكاني أن أفهم مقاصدك).

فقال جده: ( لا بأس ، لكنني أريد فقط  
عطلة أسبوعية من حياتك. هل هذا كثير  
علي؟).

أجاب كونراد: ( نعم.. كثير جداً إذا كان  
هذا يتطلب مني أن انسجم مع بيتر هيلير).  
بدرت من جده إشارة تنبئ بصدمة وخيبة  
أمل فخفض كونراد بصره لينظر إليه. كان قد

اجتاز جده طولا عندما أصبح في الرابعة  
عشرة ، وهو الآن يشرف بقامته علي الرجل  
العجوز. ولم يكن يختلف عنه بالطول فقط.  
بل بوجنتيه العاليتين وعينيه الثابتين التين  
كانتا سوداوين تقريبا ، كانتا عينين مرهبتين ،  
وكان يعتمد عليهما في حفظ النظام في  
الملعب ، بقدر ما يعتمد في سرعة التصرف ،  
الشخص الوحيد الذي فشل في إرهابه في  
الخمس سنوات الأخيرة كان جده.

قال كونراد متأثراً: ( إني أفرغ الآن كل صباح  
سبت ، لكي أستطيع تعليم الأولاد الذين لا  
يريدون تعلم لغتهم... هذه اللغة التي لن  
يستعملوها أبداً ، إلا إذا استطاعوا أن  
يتصلوا بأشباح أجدادهم).

وأضاف بمرارة: ( وأنا إلي ذلك غير ماهر مع  
الأولاد).

قال جده ضاحكاً : ( للمركز التزاماته. أنا لا

أمانع في أن أقايض مركزي ببقائي أحياناً

صباح السبت في فراشي).

فرفع كونراد حاجبه ساخراً: ( أحقاً؟ أظنك

تريد مني أن أؤجر نفسي للمشاركة في أعمال

بيتر هيلير؟).

وفجأة تحول انتباه كونراد وقال: ( يا إلهي ،

سيشئق ذلك الوحش الطفلة بضميرتها).

نظر كونراد إلى ذاك الصبي وصرخ به: (

غريغور ، اترك دوريتيا وشأنها).

وقف الصبي مكانه ولكن دون اقتناع كامل.

استدار كونراد ووجه إليه نظراته المسيطرة: (

إذا لم تفعل ذلك فسأقلع بنفسي كل سن في

فمك بالكلاب).

وبدا التفكير علي الصبي ذو العاشرة.

وتنهد جلاله الملك في كآبة: ( أي حاكم

عظيم ستكونه).



قال كونراد بخشونه: ( لا. لن أكون كذلك.

وإنما سأكون راصداً جيداً للزلازل ، ومعلم

أحياناً يثير الرثاء. أقنع بهذا).

قال الملك: ( لكنك وريثي أيضاً).

نظر إليه كونراد ، وساد صمت خطر. ولأول

مرة ، لم يبسط فيليكس يديه قائلاً أنه كان

مبالغاً في تصرفاته. بل قال برزانة: ( الحياة

غير جيدة في مونتاسورو. النظام القديم قد

انهار وليس هناك مكانه إلا المجرمين. والناس  
يموتون جوعاً يا كونراد).

قال كونراد بفضاظة: ( أعرف هذا ، ولكنك  
فعلت كل ما بوسعك. رباه! لا يبدو وكأن  
الأسرة عاشت هناك ستين عاماً...).

قال جده ببساطة: ( حكمت أسرة دوميتيو  
الجبال مدة ثمانمائة عام ، وكنت هناك بنفسني  
إلي أن...).

وسكت فجأة .

كان كونراد يعلم أن جده طاف بالجبال إلي  
أن أصبح في السابعة عشرة.. عندئذ استلم  
الشيوعيون الحكم أخيراً فهرب فيليكس عبر  
الجبال إلي إيطاليا.

وضع كونراد ذراعه حول جده ، وكانت هذه  
لفتة نادرة منه.

قال فيليكس بلهجة لا أثر فيها للتمثيل: ( )  
لدينا واجب).

وساد صمت حاد ، قال فيليكس بعده: ( لو  
كان أبوك حياً ، لما طلبت منك شيئاً).

تحرك كونراد بخشونة إذ لم يسبق لأي منهما  
أن أتى علي ذكر ابن فيليكس الوحيد. وما  
دام جده استطاع أن يحمل نفسه علي ذكر  
ابنه فهذا يعني أن مشروعه أهم من أي شيء  
آخر حدث منذ وقت طويل.

فقال بضعف: ( لا بأس أنت انتصرت. سآتي  
إلي الغداء وأكون لطيفاً مع بيتر هيلير.

وسأستمع حتى إلي ما سيقوله ، ولا تطلب  
مني شيئاً أكثر من ذلك. اتفقنا).

كان فيليكس أكثر خبرة ودبلوماسية من أن  
يشمت به متباهياً بانتصاره ، فقد قال برزانه:  
( هذا شيء حسن منك ، يا كونراد. جدتك  
ستطلع شوقاً إلي ذلك).

نظر كونراد إليه بحدة وقال منبهاً: ( هذا كل  
ما سأفعله ، يا فيليكس. سأستمع فقط ،  
ليس هناك وعود أبداً).

وافق جدّه: ( حسنا ، لا وعود ، ولكنك

ستستمع. هذا كل ما أطلبه منك).

بدأت ساعة الكنيسة القريبة تدق ساعة

واحدة ، ولم يهتم الأولاد. فرفع كونراد رأسه

وأطلق تلك الصرخة التي كان آل دوميتيو قد

اختصوا بها حين كانوا ينادون بعضهم بعضاً

من رؤوس الجبال المكسوة بالغيابات.

توقف أكثر الأولاد عن اللعب ، وشكلوا

صفا أمام باب المدرسة علي كره منهم.

\* \* \*

نهاية الفصل الثاني

## الفصل الثالث : اهانات بالجملة

قالت فرانسيسكا: ( والآن أخبرني إلي أين  
نحن ذاهبان بالضبط؟)

كانت جالسة مع أبيها في سيارة أجرة  
سوداء. وكان قد أخبرها أنه سيأخذها إلي  
الغداء مع صديق قديم للأسرة. لكنها عادت



وتذكرت أن لدي أمها فقط أصدقاء ، أما

أصدقائه فهم مثله ، أشبه برعاة البقر .

ما كان أي من أصدقاء أبيها المقربين ليستحق

أن ترتدي لأجله هذا الثوب الحريري المجلوب

من باريس ، والحذاء العالي الكعب . كان

الثوب بلون القشدة والعسل والذهب ويلزمه

تنظيف علي البخار كلما خرجت به مرة

واحدة ، أما الحذاء فقد كان يسبب لها العرج

، وكان أبوها قد طلب إرسال كل ذلك إلي

مكتبتها في صناديق بيضاء مذهبة ، قائلاً: (

أريد منك أن تظهري بشكل جيد).

ارتدت الملابس الجديدة هذه ، وجعلت بقية

اليوم عطلة. وها هي ذي الآن تبدو حسنة

المظهر ولكنها لا ما زالت لا تدري لماذا كل

هذا.

كما أن شيئاً من تصرفات أبيها أشعرها

بالضيق. نظر من النافذة إلى شرفة الفندق

الأرضية الواسعة الأنيقة وتردد. وازداد

فضول فرانسيسكا فليس من عادة أبيها أن

يتردد.

استدارت إليه في التاكسي ونظرت إليه بعينين

ضيقتين لامعتين: ( من هو؟ اعترف يا أبي).

وبعد لحظة قال: ( آل دوميتيو).

لم تفهم: ( من؟).

فأجاب: ( الملك والملكة السابقان فيليكس

وانجليكا).

قطبت فرانسيسكا جبينها ، مما تعرفه أن  
علاقة أبيها مع الأسرة المونتاسورية المالكة في  
المنفي علاقة يشوبها التوتر....

قالت وهي تراقبه بدقة: ( لم أكن أعرف أنهم  
من أصدقاء الأسرة).

فقال: ( لم يكونا كذلك حتى الآن. إنما أرجو  
أن تصبح أصدقاء حميمين في المستقبل).

كان سريعاً دوماً في تصرفاته ، وشعرت  
فرانسيسكا بالتسلية رغماً عنها.

قالت: ( لا بأس. ولكن لماذا أحضرتني

معك؟).

بدأت الحيرة علي بيتر هيلير وهو يقول: (

لكنك طلبت مني ذلك).

فقالت: ( ماذا؟).

– قلت أنك تريد أن تقابلي الأمير

كونراد.

فقلت وقد فهمت أخيراً: ( آه. لم أقصد ،

في الواقع ، غداءً رسمياً بكل المظاهر الملكية.

كنت أفكر في تناول شراب في مقهى ذات  
أمسية).

لكن أباهما لم يقتنع.

– لقد أزلت كل المعوقات لكي أرتب أمر  
هذا الاجتماع.

قالت: ( حسناً ، أظن أنه كان بإمكانني أن  
أحاول لقاءه لتناول كوب شاي).

لم يكن لديها كثير من الخبرة بمقابلة الأمراء ،  
وسألته: ( هل سيكون علي الانحناء لأحد؟).

أجفل قائلاً: ( لا ).

اعتدلت فرانسيسكا في مقعدها وهي تخفي  
ابتسامتها. لا بأس. فهذا أبوها الذي تعرفه.

وقالت: ( أردت أن أتأكد ).

فقال متضايقاً: ( أرجو أن تتصرفي بأدب ).

– أراهن علي أنك ستكون كذلك.

فقال عاتباً: ( فرانسيسكا.. ).

لكنهما كانا قد وصلا ، فقد وصلت سيارة  
الأجرة أمام مبني فخم. نسيت فرانسيسكا ما  
كان يريد أبوها أن يقول وهي تهبط من العربة  
بجدر ، ثم انتصبت واقفة علي كعبيها العالين  
النحيفين.

سوت موضع نظارتها الجديدة الحديثة الطراز  
والمؤطرة بالذهب علي أنفها ، ثم استندت  
علي ذراع أبيها وهو يقودها إلي الداخل.



كثيراً ما كانت فرانسيسكا تذهب إلي

غداءات رسمية. لكنها لم تذهب قط إلي حفلة

غداء رسمية في فيلا فخمة الأثاث ، ديكورها

هو شيء بين قاعة العرش وبين حانوت أثاث

قديم.

هتفت الملكة السابقة انجليكا عندما أشار

زوجها للضيفين للدخول إلي الغرفة

المشمسة: ( آه).

كانت تضع حول عنقها قلادة تنتهي بياقوتة  
رائعة ، وعلي وجهها إمارات ضيق. وفكرت  
فرانسيسكا في أنه كان عليها أن تنحني ،  
وقالت الملكة: ( ما أجمل أن أراك أخيراً يا  
آنسة هيلير! فقد سمعت الكثير عنك).

نظرت فرانسيسكا إلى أبيها بعنف: ما الذي

كان يقوله عنها؟

لكنه كان مشغول عنها بمصافحة الملك

السابق ، متعمداً ذلك نوعاً ما.

وهكذا قالت بمرح: ( هذا يبعث دوما علي

شيء من الخوف. فهو أشبه بإعلان علي

الجدار عن "المطلوبين" للشرطة).

ابتسمت مضيفتها. لكنها لم تكن ابتسامة

البتة بل مجرد انفراجة لشفتيها المصبوغتين

بحمرة متألقة.

لكنها قالت في لطف: ( ليس ثمة شيء من

السوء بحيث يتطلب وضع ثمن لرأسك).

أقلت علي أبيها نظرة لوم حارقة. كان عليه  
أن ينبهها إلي أنهما جاءا لترميم الجسور ،  
علي الأقل بالنسبة إلي الملكة السابقة. أما  
بالنسبة للملك. الذي كان أشبه بالضفدع ،  
فقد بدا سعيدا للغاية بالترحيب بفرانسيسكا.  
وهو أيضا لم يبد أنه يريد منها أن تنحني له ،  
بل صافحها بحماسة.

قالت الملكة السابقة انجليكا بعدوبة

مصطنعة: ( حسناً ، أنت لم تلتزمي أي عمل

بشكل ثابت ، أليس كذلك يا عزيزتي؟).

آه... وانتصبت فرانسيسكا في جلستها.

فهي غير مستعدة لتلقي النقد من وطواط

عجوز قابلتها للتو ، فقالت بابتسامة متألقة:

( أظن من الخطأ الكبير أن يلزم الإنسان

نفسه بشكل مبكر. وهكذا أغتتم الفرصة

لكي أري العالم وأكتسب خبرة في مختلف  
الأمور).

واشتبكت أعينهما.

رأت فرانسيسكا أن المعركة قد جاءت.  
وأومأت الملكة السابقة كأنها أدركت ذلك  
هي أيضاً. لانت فرانسيسكا ، ثم أشارت إلي  
المائدة نصف الجاهزة وقالت: ( أيمكنني أن  
أساعدك؟).

مضت لحظة قصيرة جداً قبل أن تقبل الملكة  
السابقة هذا العرض بلطف بالغ. قد لا يكون  
الرجلان لاحظا ذلك ، كما ظنت فرانسيسكا  
، لكن مضيفتها حرصت علي أن تلاحظ  
فرانسيسكا هذا.

قالت الملكة السابقة وهي تشير إلي زوجها  
ومضيفه بالذهاب إلي غرفة الجلوس: ( هذا  
لطف بالغ منك. يمكننا الآن أن نتسلى  
بالحديث بحرية ، امرأة لامرأة).

نتسلى بالحديث؟ وساور الشك فرانسيسكا.

سارت أمامها الملكة السابقة إلى المطبخ

وكأنها داخلة إلى قاعة وخلفها وصيفتها ،

وازداد هبوط قلب فرانسيسكا. سوت

نظاراتها علي عينيها متحدية ، حامدة الله

علي أنها استطاعت شراء نظارات جديدة.

حمدت الله الذي أنقذها من تأنيب الملكة ،

عندما قالت هذه: ( فهمت أنك "مهمة"

بحفيدي).



وجعلت هذا يبدو شائنا بعض الشيء.

احمر وجه فرانسيسكا وقالت: ( من ناحية

العمل تماماً).

تصلب جسم الملكة السابقة: ( أنت

صریحة).

أجابت فرانسيسكا: ( من السهل علي دوما

أن أقول ما أريده مقدماً).

وتساءلت عما قالته لتبدو هذه الوطواط  
العجوز علي هذا الشكل ، وتابعت تقول: ( هذا  
يعد سوء التفاهم).

قالت الملكة السابقة وقد أصبح فمها  
كالفخ: ( تماماً ، هذا ينطبق جدا علي  
مفاهيم القرن الواحد والعشرين. لا تظاهر ،  
لا تهذيب ولا سمح الله "لا غرام").

حدقت فرانسيسكا إليها قائلة: ( غرام؟).

فقلت الملكة: ( لكنني واثقة أن الحق معك.

أنتم الشباب عموماً كذلك ، إذا كان

اهتمامك الوحيد به هو جعله شريكاً في

أهداف عملية فقط ، فمن الصواب إذن أن

تقولي ذلك).

لوت شفيتها. لم يبد عليها أنها تظن أن كل ما

تقوله فرانسيسكا أو تفكر فيه هو صواب.

أخذت غرفة الطعام المكتظة بالأثاث تهتز

أمام عيني فرانسيسكا ، وضعت يدها علي

الجدار تثبت نفسها ، ثم قالت بصوت

أجش: ( شريك؟).

أجابت الملكة السابقة: ( ما دمنا نتجنب

سوء التفاهم ، فلن أخفي عليك بأنني لا

أوافق زوجي علي ذلك).

وألقت ببعض الشوك والملاعق علي المائدة

المصقولة بحدة ، وفكرت فرانسيسكا في أن

هذا كابوس حقاً. فتحنحت قائلة: ( أي

شراكة؟).

وكانت مضيفتها تنظم أدوات المائدة مكانها  
بغضب فقالت: ( قد يكون هذا شيئاً عصرياً  
جداً وعقلانياً. ولكن علينا أن نتبع أيضاً  
بعض العادات القديمة من الحنان والمودة.  
حتى ولو لم تؤمنا بالحب ، عليكما ، علي  
الأقل ، أن نشعرا ببعض المودة والاحترام نحو  
بعضكما البعض. أنا لا أريد أن تصيب  
حفيدي كارثة أخرى....).

وسكتت فجأة. ثم سألتها باستياء: (إلي أين تذهبن؟).

أجابت فرانسيسكا عابسة: (أريد أن أتحدث إلي أبي).

لا عجب في أن أباهما بدا متضايقا في التاكسي. نسيت حذرهما من كعبها العالي ، فقد كانت ملهوفة إلي اتخاذ موقف من أبيها. وهتفت: (أبي...) وإذا بجرس الباب يرن. وكانت قد أصبحت بجانبه ، ودون وعي منها

فتحت الباب وهي تقول: ( هالو. الأسرة

في...).

سكتت وهي تطرف بعينيها.

فأول ما فكرت فيه أن الصور لم تظهر نصف

الأمر. وما افتقدته الصورة هو النظرات

الثاقبة التي كانت تجتاحها حتى العظم.

أمسكت بالباب تستند إليه. في مكان ما في

ذهنها ، كان هناك إحساس غامض بالألفة

التامة ، وكأنها عرفت الأمير كونراد منذ

الأزل.

هاتان العينان الثابتتان ، بتجردهما الهادئ

وتلك اللمحة الضاحكة فيها رائعتان... إنها

تعرف أيضا كيف تبدوان ، ولكنها لم تتوقع

أن تطبق نظرة التسلية تلك من مسافة ستة

انشات.

ابتلعت ريقها بصعوبة ، ورفعت بصرها ، لم

تستطع أن تفكر في شيء تقوله.



وقف كونراد جامداً.

فأول ما خطر في ذهنه فكرة غير منطقية  
وهي أن فيليكس قد قرأ أفكاره! ولكن ، لا.  
كان أول ما خطر له فكرة أبعد عن المنطق ،

فكرة بدائية للغاية ، وهي أن يحمل هذه المرأة  
معه ويهرب بعيداً.

كان متلهفا إلي رؤيتها. لقد أدرك مبلغ ذلك  
وهو يراها هنا ، وكان ذلك يشغل باله منذ  
أيام.

ففي كل وقت كان يرفع فيه بصره عن عمله  
، وفي كل مرة يقف في الصف في السوبر  
ماركت أو ينتظر أن يغلي أبريق الشاي.....  
كان خيالها يتسلل إليه من الظلال مرة أخرى

، ودوما بنفس السؤال: هل أنا فتاة بريئة  
واسعة العينين ، أم عجوز أنانية مشاكسة؟  
ولكن ما كان يجعل فكه يتوتر إلي حد يؤلم  
أسنانه: هل أنت مفتون بي بحيث لا تهتم؟  
الورقة المدون عليها رقم التلفون وعنوان  
البريد التي أحضرتها له السكرتيرة في دار نشر  
"غفرون وبليك" كادت تبلي لكثرة  
الاستعمال ، لكثرة ما كان يخرجها من جيبه  
ثم يعيدها إليها.

حتى الآن بقي متماسكاً أمام إغراء ابنة بيتر هيلير. لكنه كان يعلم أن ذلك شيء فاشل. في الأيام التي تلت تلك الحفلة السخيفة ، لم يستطع أن يعد المرات التي نظر فيها إلى جدول مواعيده وهو يتساءل كم من الوقت تستغرق الرحلة إلى تلك المكتبة عند خزانات الغاز. ثم يقرر أن ذلك ليس استغلالاً جيداً لوقته ثم يهنئ نفسه لهذا القرار العقلاني.

كان في قراره يراهن فيها علي طول المدة التي  
سيثبت فيها علي مبدئه ويبقي بعيدا عن ابنة  
بيتر هيلير.. حتى هذا النهار كان قد وضع  
خطة للذهاب للمكتبة بعد الصف ، ثم ، بعد  
أن طلب منه فيليكس الحضور للغداء ، أجل  
ذلك إلي العصر.

والآن ها هي ذي...هنا!

ولكن كيف عرف فيليكس ذلك بحق الله؟  
وكيف كتم الأمر؟ أمضي الصباح ، وهو يقنع

كونراد بأن يتحدث إلي ذلك المحتال عن  
منحه منة لفقراء الجالية المونتاسورية ، لكنه لم  
يأت علي ذكر فرانسيسكا قط. لقد فكر  
فيها كونراد ، طبعاً. فكر فيها؟ يا الله! كان  
عليه أن يكافح موجة الشوق التي يشعر بها  
تجاهها. موجة الشوق التي تشبه مد  
البحر....

ففي اللحظة التي ذكر فيليكس فيها اسم  
بيتر هيلير ، أصبح كونراد وجها لوجه مع

غموض ابنته. وعادات تحتل أحلامه ، وأصبح  
لا يعرف ، ما إذا كانت ساحرة أم أميرة من  
الجن. أم أن تلك مشكلته هو وليست

مشكلتها؟

لكن فيليكس لم يذكر حتى اسمها ، ولم يذكر  
أيضاً أنها مدعوة إلى ذلك الغداء ، وكان  
ذلك منتهي التفوق في المناورة حتى بالنسبة  
إلى مستوى فيليكس ، ما الذي يهدف إليه

يا ترى؟

حسناً ، إذا كان يظن أن كونراد سيدعن  
ويفعل ما يريد هيلير لأنه انبهر بابنته ،  
فإنه مخطئ كثيراً. لم ير كونراد اليوم من تلك  
العينين البريئتين الغامضتين أية لمحة.. بل بدتا  
مركزتين حادثين وراء نظارات مؤطرة حديثة  
الطراز ، وكانت أطول بانشين تقريباً ، وأكثر  
أناقة بعدة سنوات ضوئية.

شعر بغضب متعذر تفسيره وهو يتأملها ،  
كان ثوبها التني ، المذهب من تفصيل خبير



، وكان شعرها ممشطا بنعومة شعر راقصة باليه ،  
، وشم رائحة عطر هو أكثر ندرة وثمنا من أن  
يعرف نوعه.

لا شك في أنها ليست أبداً تلك الفتاة البريئة  
صاحبة المكتبة ، فهذه امرأة عاملة واضحة  
العينين ، كانت بالضبط المرأة التي كان  
يتوقعها ابنة لبيتر هيلير ، بالغة الأناقة  
والحنكة ، مستقلة بحياتها تماماً.

لكنه ما زال يريد لها.

وسألها فجأة ، رغم غضبه من نفسه: ( ماذا

تفعلين هنا؟).

\* \* \*

لم تظهر أي من الصورتين جوهر هذا الرجل ،  
ولا عرض كتفيه ، ولا رشاقتة أو طاقته. لكنه  
كان ينظر إليها وكأنه يكرهها.

تراجعت خطوة إلى الخلف بشكل لا إرادي  
وكأنها قريبة من النار أكثر مما يجب ، وفكرت  
بارتباك فيما تراها فعلت .

لكنها قالت بحيوية: ( أنا مدعوة إلى الغداء  
وقد فتحت الباب لأني كنت مارة بجانبه ،  
آسفة إذا كنت توقعت رئيس الخدم).

وأخذا يحملقان في بعضهما بعضا. وعادا إلى  
نفسه أولاً فقال: ( لا بالطبع ، لم يستطع  
جداي قط أن يتحملا نفقات رئيس خدم.

لأتهما ليسا من الملوك الذين يهربون مع

جواهر التاج).

مد يده يقدم نفسه: ( كونراد دوميتيو).

صافحته قائلة: ( وأنا فرانسيسكا هيلير).

– أعلم هذا.

إنه يعلم. يعلم؟ هل هذا يعني أنه يعلم عن

شراكة العمل غير العاطفية؟ وهل وافق علي

ذلك؟

هل هي الوحيدة التي لم يعبأ أحد بإبلاغها  
ذلك؟ صعقتها هذه الفكرة بالفعل. وقالت  
بلهجة محاربة: ( آه ، أحقاً؟).

دخل وأغلق الباب خلفه ، ثم سأها: ( أين  
يجلس الباقون في غرفة الجلوس؟).

كان مهذباً الآن ، لكن عينيه كانتا حذرتين  
ويقضتين... ربما كان مثلها غارقاً في الظلام.  
وتبدد غضبها ليحل مكانه الشك.

سألته فجأة: ( هل تقابلنا من قبل؟).

كانت حتماً ستتذكر هاتين العينين الثقيلتي  
الجفنين بتكاسلهما الخداع وعنقهما المستتر.  
وكانت حتماً ستتذكر تلك الطاقة لو سبق  
لهما التعارف.

قالت: ( آسفة. لا أتذكر).

أوماً بخفة وكأنه كان يتوقع هذا ، وقال بنفس  
الصوت الهادئ: ( إذن نحن لم نتقابل).

ولكن لماذا لم تصدقه؟ وكادت تسأله عن  
ذلك. لكن أباهما والملك خرجا في تلك

اللحظة إلى الردهة ، ثم كانت الأفضلية لأمر  
أهم.

قالت وهي تعترض طريق أبيها وتحقق إليه: ( أبي. هل لي أن أحدثك لحظة علي انفراد؟).

تلمل ، لكن الطلب ناسب الملك السابق  
تماما فقال: ( طبعاً طبعاً ، استعملا مكتي ،  
ثم عودا وتناولوا شرابا قبل الغداء).

وأشار إلى غرفة صغيرة معتمة مزدحمة بالأثاث  
أكثر من سائر غرف الشقة.

نخست فرانسيسكا أباهما بصدره بإصبعها ،

وهي تقول: ( ما الذي كنت تصنعه

بالضبط؟).

جعله الحذر يتراجع إلي خلف مجسم لكرة

أرضية: ( والآن ، يا فرانسيسكا. لقد

وعدتني أن تحسني التصرف).

قالت بغضب: ( كان هذا قبل أن أعلم أنك

تمثل دور نابليون في ترتيب أمر زواج

المصلحة ، من تراني؟ ماري أنطوانيت؟).



فقال: ( أنت التي أردت أن تقابلي الأمير  
كونراد).

فقالت: ( أقابله ، نعم. ولكن هذا الزواج!  
إنه غير حقيقياً!).

فلم تقل شيئاً ، وعادت تقول: ( كان هذا  
يحدث في القرن التاسع عشر فكيف في القرن  
الواحد والعشرين?).

- هل تخرجين مع صديق حالياً؟.

– أنت تعلم أن هذا لا يحدث ، فقد

تخلصت أنت للتو من الرجل الوحيد في

حياتي.

قال بفروغ صبر: ( لقد ساعدتك فقط علي

رؤية الحقيقة).

لم تستطع أن تنكر ذلك. ولكن لم يكن عليها

أن تجيبه ، فأطبقت فمها ولم تقل شيئاً.

قال أبوها: ( لا أفهم النساء ، لقد كان

الرجل مخادعاً فانسيه).

فحملت فيه قائلة: ( أنا أحاول هذا).

- هذا جميل ، هذا اليوم إذن سيساعدك

علي السير في طريق النسيان.

ضاقت عينها ، بينما قال بسرعة: ( عليك

أن تكوني عملية. فترك شاب ليس نهاية العلم

، عليك فقط...).

فقاطعته: ( سأترك حفلة الغداء اللعينة هذه

الآن).

قالت هذا بشكل خطر ، فنظر إليها بامعان .  
وقرر أنها تعني ذلك فعلاً .. فجرب طريقة  
أخرى : ( لدي خبرة تفوق خبرتك .. صدقيني  
، يجب أن لا تشعرني بسبب خبرة سيئة  
بالمرة أو بالخوف من تكرار التجربة ، فهذا  
لا يعني أن كل شخص لا يستحق الثقة ) .  
نظرت إليه حانقة . ما أجدره بأن يأخذ من  
"بابا نويل" نصائح في الإحسان . وقالت  
ساخرة : ( كم هذا مؤثر ، ربما كان كلامك

أكثر إقناعاً لو تجاوز طردك لبارة مدة

أسبوع).

لم يتغير مظهره الأبوي وهو يقول: ( أنا

أعرفك حساسة أكثر مما ينبغي).

وكانت تهتز غضباً فكادت تقع من فوق

كعبي حذاءيها ، فاندفع إليها أبوها يساعدها

علي استعادة توازنها ، ودهشت وهي تراه

يمسك بيدها ، ويقول برزانة: ( أنت امتنعت

عن الخروج مع الشبان منذ وقت طويل بحيث

كان باري أول صديق استمر... حسناً ، لن  
نقول المدة. ولم يكن يستحق ذلك. وكل هذا  
ذنبى أنا).

– ليس ذنبك طبعاً ، فأنا فوق الحادية  
والعشرين. فإذا أخطأت فأنا المسئولة.

تنهد بعمق قائلاً: ( لكن صيادو الثروات  
هؤلاء).

وأطلق شتيمة باللغة المونتاسورية: ( ما كانوا

ليلاحقونك لولا أموالى).

قالت مداعبة: ( ما كان لك أن تكون ناجحاً

إلى هذا الحد).

هز رأسه: ( كنت أظنى على صواب. كنت

أتعب نفسى فى العمل كى أعيى أسرتى. فىلى

أين أوصلنى هذا؟ إلى الطلاق وابنة لا يمكنها

أن تجعل حياتها الخاصة ملكاً لها).

فقال مجفلة: ( ليس الأمر بهذا السوء).

– بل هو كذلك ، لقد حدثني أمك بكل

شيء عنه.

نظرت بعيداً شاعرة فجأة بالضيق: ( حسناً ،

أنت تعرف أمي... عندما لم يخطبني أحد وأنا

في الثامنة عشرة ، ظنت أنني أصبحت

عانساً).

– لو كانت لديك مهنة تحبها لما اهتمت

لذلك ، لكنها قالت قبل أن يكون لديك



المكتبة تلك مع صديقتك ، أخذت تفقدين

أعمالك بسبب المخبرين الصحافيين.

- حسناً ، هذا صحيح.

- كم عملاً أنجزت؟

أخذت تعد علي أصابعها: ( كان استمراري

في كل عمل بمعدل ثمانية أسابيع).

فقال أبوها وقد فوجئ: ( هذا فظيع).

– آه ، لا أدري ، تعلمت قليلاً من كل شيء ، وكان هذا أفضل من أن أعيش طوال الوقت فتاة غنية.

– لو كنا أغنياء طوال حياتك ، لكنت علمتك ماذا كيف تتصرفين بحياتك تلك .  
ولكنك سعيدة الآن ، ولا تهتمين بالعمل ،  
وكنت ستعرفين كيف تتعاملين مع صيادي الثروات وكاتبي مقالات الإشاعات .

فقلت : ( أتراهن؟ ) .

تجاهل ذلك وهو يتابع: ( ولو كنت فتاة غير

غنية الآن ، لما تعرضت لكل تلك

الصعوبات).

- لو كنت غير غنية لما كانت لي شقة علي

شاطئ وملابس من باريس. لا تدع الخيال

يجرفك.

نظر إليها أبوها بأسى: ( لكنك لا تريدين

ملابس من باريس. أنت تريدين زوجاً

وأولاداً).

ذعرت وهي تشعر بالغثيان ، حتى أمها لم  
تكن صريحة معها إلى حد الفظاظة: ( أبي..).  
تابع يقول: ( لقد أفسدت عليك ذلك ،  
الرجال الطيبون لا يقتربون منك لأنك  
ابنتي).

فقلت بحدة: ( ومن قال لك أن الرجال  
الطيبين لا يقتربون مني؟ إنها أمي أيضاً ،  
أليس كذلك؟).

فلم ينكر ذلك. فقالت: ( اسمع يا أبي ، لا بأس! السنتان الماضيتان كانتا حافلتين قليلاً. لكنني الآن تشاركت مع جاز ، وأنا بأحسن حال ، كانت المكتبة مهتزة قليلاً في البداية. لكنني الآن بدأت بإنشاء "نادي الكتاب" في الانترنت ، ومحاضرات للمؤلفين ، والنتيجة ممتازة ، إنها حياة عظيمة. فقد وجدت شيئاً أحسنه. سأمشي في أثرك وأصبح امرأة عاملة).

ساد صمت لحظة ، قال أبوها بعده: ( لا

تكذبي علي فأنت لست سعيدة).

كانت أصدق من أن تنكر ذلك فقالت: (

لا أحد يحصل علي كل ما يريد ، وصدقني ،

الخطبة الفورية لا تفعل شيئاً سوى جعل

الأمور أسوأ ، حتى ولو كان أنسب شخص

في العالم).

عاد يمسك بيدها: ( فرانسيسكا. دعيني

أفعل هذا لأجلك. أمك تقول...).

هتفت: ( إذا قالت لك أمي أن تشتري لي

زوجاً ، فهي قد جنت).

وبدا أنه تألم ، بل صعق ، فوخزها ضميرها: (

آه ، رباة! لم أقصد هذا).

أكملت فرانسيسكا بضيق: ( آه ، لا بأس

لن أخرج قبل الغداء ، لكنني لن أتابع

عملكم الجنوني أكثر من ذلك. أفهمت؟).

قال بيتر هيلير: ( نعم ، فهمت. شكرا لك).

وعادا إلي غرفة الجلوس.

توقف الملك السابق عن الحديث فجأة ،  
ونظر هو وحفيده حولهما ، كان العناد  
مرتسماً علي وجه كونراد ، أما الملك السابق  
فبدأ قلقاً: ( كونراد ، دعني أقدمكما إلي  
بعضكما البعض بشكل صحيح ، بيتر هيلير  
الذي تكرم بالتبرع بمبلغ وافر لتمويل  
مستشفيات المونتاسوريين).

أوما الرجلان بالتحية لبعضهما البعض بحذر  
ثم قال كونراد بابتسامة كلمعان الخنجر: (



حسناً ، لا تنس أن علينا أن نتحدث بهذا

الشان ، يا فيليكس).

وقال الجدد: ( وابنته فرانسيسكا).

قال كونراد وكأنه يتذوق الاسم: (

فرانسيسكا).

يبدو أنه قرر شيئاً إذ اختفت ابتسامته

الشبيهة بالخنجر ومعها كل دلائل العداة.

وكانت النظرة التي ألقاها

عليها.. كانت... تفيض بالعاطفة. منحها

ابتسامة دافئة في أعماق عينيها. وقال الملك  
السابق وقد بدا عليه القلق: ( وهذا حفيدي  
ولي العهد كونراد).

أخذت فرانسيسكا تفكر إن كان يعرف شيئاً  
، فربما هو مثلها ، أحضروه همنا دون أن  
يعلم شيئاً ، وهي ترجح أن الملك الضفدع  
قد خبأ عنه الأمر ولكن ماذا لو قبل الزواج  
المدبر منذ البداية؟

حدقت إليه ولكن العينين الباسمتين بقيتا غير  
مقروءتين. أتراه يظن أنها وأباها هنا للحديث  
عن تبرعه لتمويل المستشفيات؟ وكادت  
تسأله. كانت علي وشك أن تسأله ،  
ولكن...

حسناً ، لقد أمسك بيدها ، وإذا بكل تفكير  
في عقلها يتوقف. وبدا ووكأن الأمير كونراد  
يناقش الأمر في ذهنه. وفي الواقع ، بدا لها

وكأنه علي وشك أن ينحني بشكل ملكي

ويقبل أطراف أصابعها.

لم تعرف ما إذا كان يفكر في أن ذلك

سيجعلها تقبل الزواج به ، أم يجعلها تتجنب

ذلك نهائياً ، لم تهتم بذلك.

حملت فيه متحديّة: ( حسناً ، أترانا تقابلنا

من قبل؟).

منحها أكبر ابتساماته فتنة ، وقال : ( يا  
لحماقتي . لا ، وكيف يمكنني أن أنسي؟  
سامحيني).

فقال بغلظة دون أن تتأثر : ( لا بأس).  
وسحبت يدها من يده ، وساد صمت حاد  
يكاد المرء يقرأ فيه أفكار الآخرين . وبدأ  
الضيق علي فيليكس ، والتحدي الواضح  
علي بيتر هيلير ، أما هي نفسها فبدأت في  
مرآة الردهة المواجهة كئيبه كتلميذة مدرسة.

بدا علي كونراد وحده التسلية. فقال

ضاحكاً: ( ما رأيكم في شراب تقليدي؟).

سألت الملكة السابقة بيتر هيلير: ( هل

تشرب مشروباً وطنياً في بيتك ، يا سيد

هيلير؟)

فأجاب: ( لا. منذ تركت مونتاسورو لم أفكر

في أخذ أي من الوصفات القديمة معي. كنت

في الرابعة عشرة فقط من عمري ، ولم أكن

أفكر في العادات التراثية ، بل في سيارة

"الفيرواري" التي ستكون لي ذات يوم).

وضحك ، وضحك الآخرون أيضاً... بدت

هذه الضحكات فارغة في أذني فرانسيسكا.

وسأل كونراد ببراءة مصطنعة: ( وكم فيرواري

لديك الآن؟).

هز بيتر هيلير رأسه وأجاب بلهجة واقعية: (

عندما أصبحت غنياً بما يكفي لأشتري

واحدة ، كل ما كنت أريده من السيارة أن

تكون خالية من الارتجاج بينما شخص آخر

يقودها ، أنا أركب هذه الأيام في المقعد

الخلفي فقط وأتحدث في التليفون).

فقال كونراد متفجعاً: ( آه ، إنها ضريبة

الثراء).

نظرت إليه فرانيسكا بغضب ، لكن كونراد

لم يرها لانشغاله بتحضير الشراب لكن جده

خف إلي تصحيح الموقف ، وقال: ( إذن



فقد استغرق منك بناء إمبراطوريتك هذه  
وقتاً؟).

أوما بيتر الذي يشعر دوماً بالراحة وهو  
يتحدث عن الأعمال. وقال بأسف: ( )  
مضت مدة طويلة قبل أن أبني هذه  
الإمبراطورية. وعشت أنا في كل أنحاء العالم ،  
أتاجر بشيء من هذا وشيء من ذلك ،  
وأتعلم طوال الوقت ، طبعاً لم أنظر إلي

الخلف قط ، ولكن كان ذلك فقط... ماذا  
تقولين يا فرانسيسكا.. منذ ست سنوات؟).  
فقلت فرانسيسكا بهدوء: ( بل سبع سنوات  
ونصف).

قال أبوها موزعاً بين الضيق والتسليّة: ( آه ،  
يا لدقتك هذه).

وقال للآخرين: ( كان عليها أن تعمل  
بالمحاسبة فهي دقيقة جداً).

هزت فرانسيسكا كتفيها وقالت: ( لدي

ذاكرة قوية).

لديها طبعاً سبب جيد لتتذكر فيه التاريخ

الذي ذهب فيه أبوها حول العالم ، فقد

كانت في السادسة عشرة تقريباً ، تجيد

اللغات ، وتريد أن تكون معلمة ، وإذا بها

فجأة لا تصلح لشيء. فهي لا تمكث في

مدرسة أكثر من أسابيع معدودة.

لم تحاول فرانسيسكا أن تعلق علي كل هذا.  
فقد كانت واعية أكثر من اللازم إلي الأمير  
كونراد ، لو لم يكن جنوناً ، لقاتل...  
ولكنه جنون طبعاً. المشكلة هي أنها لم تكن  
تستطيع أن تخرج رجل الشرفه ذاك من  
ذهنها.

نعم كان الأمير كونراد في حفلة الناشر تلك ،  
ولكن رجل الشرفه كان مختلفاً عنه وعندما  
سألته إن كان يعرف الأمير كونراد نفي ذلك.

حسناً ، لقد ظنت أنه نفي ذلك ، وقطبت  
جبينها محاولة أن تتذكر .

وظهرت كأس أمامها فجأة ، فرفعت بصرها  
مجفلة .

فقال كونراد ووجهه يكسو بلطف ماكر : ( )  
جربي عصير التفاح هذا).

أخذت ترتشف الشراب بجذر بالغ. وسرها  
أن تركز علي مذاق غريب ، وسألته : ( هل  
هو عسل حقاً؟ لا يبدو بهذا المذاق).

ورشفت مرة أخرى. لم يكن مذاقه يشبه  
السكر كما توقعت. أدهشها أن يبدو كونراد  
مسروراً ، مسروراً حقا هذه المرة قال لها: ( )  
إنه ممزوج بروح الورد ، هل أعجبك؟).  
عادت فرانسيسكا إلي رشفه ، وقالت: ( لا  
أدري ما هي روح الأشياء؟).  
فأجاب: ( أنه تقطير الورد ، أنه نادر جداً ،  
وثمين للغاية).  
وساد صمت مفعم بالمشاعر.

نظر إليها كونراد ، وهي متأكدة من أنه كان  
يستمتع بذلك تماماً.

وكأنه كان يعلم ما يحدث بينما هي لا تعلم.  
ثم تذكرت فتي الشرفة. آه ، رباه. فتي  
الشرفة ذاك قد ترك تأثيره حقاً فيها فهي تراه  
في كل مكان!

ابتسم كونراد ببطء. وتساءلت إن كان ذلك  
لأنه يظن أنها تريده أن يخطبها ، أم أنه واثق  
من أنها لا تريد! وفكرت في أن هذا الغداء

لن ينتهي ، ولكن ، علي الأقل ، لا يمكن أن  
يكون أسوأ مما هو الآن ، لكنها كانت مخطئة  
في هذا.

حسناً ، لم تكن مخطئة كلياً ، إذ كان الطعام  
لذيذاً ، وعندما جلسوا ، دب شيء من  
الحيوية في الحديث. لم تكن قد سمعت قط من  
قبل أبها وهو يتحدث عن وطنه. وأثار هذا  
فضولها.



لم يتدخل ولي العهد الأمير كثيراً في الحديث ،  
طبعاً ، والواقع أن الأمير بدأ معظم الوقت  
وكأنه يتفرج علي مهزلة. ولو أبقّت  
فرانسيسكا نظرها علي مضيفيها أو علي  
غطاء المائدة ، لما كان عليها أن تقاوم ذلك  
الدافع الذي كان يحثها أن تضربه ، ولما  
استحال الغداء إلي ما يقرب من الألم.  
مساهمة فرانسيسكا في الحديث تطورت من  
مجرد كلمات إلي الصمت التام ، وعبر المائدة

كان ولي العهد كونراد يتألق بظرف وبراعة

معطياً إياها سبباً آخر لأن تكرهه.

وكانت تدعو الله أن يوفقها إلى الخروج دون

تحقير لنفسها ، وكادت تفلح في ذلك ،

كادت....

ثم ، إذا بها تسمعه عرضاً...

كانت أمها تقول دوماً أن مسترقي السمع لا

يسمعون أبداً عن أنفسهم ما يرضيهم ، لكن

فرانسيسكا لم تقصد قط أن تسترق السمع.

فهذا آخر ما تريده في العالم ، ولكن فيما  
كانت خارجة من الحمام وجدت نفسها  
تدخل من الباب الخاطئ الذي ينفذ إلي  
المطبخ.

كان هناك شخصان يتحدثان ، رجل صوته  
غامض مألوف كاد يجعلها تستدير حول  
الزاوية لتري من هو.

ثم أدركت أنهما كانا يتجادلان ، ومن لهجتها  
أدركت ، وهي الحساسة بالنسبة للهجات ،

بأن ذلك كان جداولاً حتى قبل أن تسمع  
الكلمات ، حتى قبل أن تدرك من كان  
يتحدث.

كانت الجملة هي ( كانت ضيفتي وكنت أنت  
فضاً) وهكذا عرفت شخصية المتكلمة فهي  
الملكة السابقة انجليكا ، كان الاستياء  
والغضب في صوتها وهي تقول: ( أنت لم  
تترك لها فرصة).

– فرصة؟ وهل تظنين أنني أجري لها مقابلة

لوظيفة هنا؟

– كن عاقلاً يا كونراد.

إذن ذاك كان صاحب الصوت الآخر ،  
ودهشت فرانسيسكا التي لم تلاحظ مبلغ  
عمق صوته عندما كان يسخر منها.

ومرة أخرى ، تحركت ذاكرتها ، أنها تعرف  
ذلك الصوت بكل تأكيد. وهي لم تربطه بولي  
العهد الساخر الأمير كونراد بل بشخص  
آخر.. بشخص تعتبره رجلاً بكل معني  
الكلمة وليس مشعوذاً ساخراً كالذي كان  
يغيبها مداعبا طوال فترة الغداء الفظيعة  
هذه.

ترددت فرانسيسكا ويدها علي مقبض  
الباب. كانت تعلم أن من الخطأ أن تستمع

دون أن تعلمهم بوجودها ، لكن صوته كان  
مختلفاً بشكل فاجأها.

وقال بجفاء: ( أنا عاقل يا جدتي ، لقد  
أمضيت حياتي كلها عاقلاً ، أقوم بعلمي ،  
وأدفع ضرائبي ، وأساند جاليتي).  
وسمعت خبطة يد علي المنضدة وصوت يردد:  
( أنا لا أريد أن أكون قرباناً بشرياً).

– لكن جدك يظن أن... .

فقال ببرودة: ( جدي يظن نفسه نابليون.  
حسناً ، لن أجعله يعقد اتحاداً سياسياً علي  
حساب حياتي الخاصة).

جمدت يد فرانسييسكا علي قبضة الباب ،  
ورأت نفسها ترتجف. حسنا ، هذا هو جواب  
اللفز ، عرف كونراد ما هي الخطة ، وكان  
جالساً طوال الغداء يحاول تجنب ذلك ، ولا



بد أنه ظن أنها موافقة علي ذلك وأنها جاءت  
إلي هنا خصيصاً لكي تجتذبه.

استولي عليها فجأة الشحوب والحرارة  
والغضب والإحراج... لم تكن تدري أي  
شعور هو الأقوى.

بدت الملكة السابقة أكثر إنسانية وكانت  
تقول: ( إنه يحاول أن يقوم بما يعتقد  
الأفضل).

رق الصوت المخملي العميق: ( اعرف هذا  
يا جدتي ، لكنه لا يستطيع أن يجعل كل  
شخص يرقص علي أنغامه. وهذه الفكرة عن  
الزواج هي... غير واقعية).

فقلت الجدة وكأنها علي وشك البكاء: ( آه  
، رباه ، أما زالت سيلفيا...؟).

ارتفعت خبطة أخري عنيفة علي المائدة اهتز  
لها كل ما يعلوها من أكواب وأوان: ( آه...  
لا علاقة لهذا بما إذا كنت سأتزوج أم لا).

لم يعد الصوت العميق ناعماً الآن ، كان  
فولاذياً ناطقاً بالسخط: ( فلنوضح ذلك  
الآن. أنا لن أتزوج أبداً فرانسيسكا هيلير ،  
أبداً. أنا فقير جداً. وهي معدومة الجمال  
تماماً وبالغة الحساسية وقارصة اللسان جداً.  
هل فهمت؟).

\* \* \*

# نهاية الفصل الثالث

## الفصل الرابع : الانتقام

رفع كونراد رأسه بحدة: ( ما هذه الضجة؟ ).

هناك شخص أغلق الباب بلطف لتوه.

شخص لم يشأ أن يلفت الانتباه إلى الباب

الذي انفتح. ولكن أي باب؟ ثم تذكر أن

مطبخ أمه كان يشكل حرف "أل"! ولهذا

يمكن أن يدخل شخص ما من الطرف الآخر

من المطبخ دون أن يراه أحد... شخص  
يمكن أن يكون وقف هناك مدة طويلة...

شخص سمع كل كلمة!

سألته جدته وهي ترى التغير في وجهه: ( أي  
ضجة؟).

فأجاب: ( هناك شخص كان يستمع...).

سار إلي الطرف الآخر في المطبخ بخطوات

واسعة ، كان خالياً. وهذا طبيعي فما كان

ليسمع الباب يغلق بذلك اللطف لو أن

المستمع ما يزال هناك ، وذلك الشخص لم  
يكن يريد أن يلحظه أحد.

ولم يكن علي كونراد أن يفكر كثيراً لكي  
يخمن من هو وتأوه. وقال جدته وهي تتبعه  
بارتباك: ( ليس هناك أحد).

- بالطبع لم تعد موجودة. لقد سمعت كل  
شيء ثم هربت.

سألته: ( من تعني؟).

– حسناً ، أراهن أنها المرأة التي قلت عنها

للتو بأنها قارصة اللسان معدومة الجمال .

غطت جدته وجهها بدعر: ( لكن ماذا كانت

تفعل هنا؟ ) .

هز كتفيه ، فقالت مارتا: ( ربما عادت مارتا

مبكرة) .

– آسف يا جدتي . ليس في المكان موسيقي

عالية ، ومارتا ليست هنا ، وأنت تعرفين هذا

كما أعرفه . لا ، لا بد أنها فرانسيسكا هيلير .



قالت جدته عابسة: ( ماذا بإمكاننا أن

نفعل؟ كان جدك يعتمد حقاً علي بيتر

هيلير).

شخر كونراد ضاحكاً: ( يا لقلبك الحنون يا

جدتي! لقد أهنت المرأة للتو بشكل شامل ،

وكل ما يهملك هو جدي؟).

هزت جدته كتفيها: ( ما كان لها أن تنصت

إلي حديث خاص).

فقال ببطء: ( أنت لا تحبينها ، أليس

كذلك؟).

فقالت: ( ولا أنت تحبها أيضاً ، لم يسبق لي

قط أن سمعتك تنعت امرأة بأنها معدومة

الجمال قارصة اللسان).

فقال: ( لقد جاءت أثناء شجار عنيف. ومع

ذلك ما كان لي أن أفقد أعصابي).

أخذت جدته تفكر: ( نعم. هذا صحيح).

لكن أفكار كونراد كانت في ناحية أخرى: ( ما كان لي أبداً أن أقول ذلك ، وعلي أن أعتذر).

كان منزعجاً من نفسه كثيراً فقالت له جدته: ( لا يمكنك ذلك ، فأنت لم تقله مباشرة ، فقد كانت تتنصت ، وعلي كل حال لا يمكنك أن تعتذر إذ لا يمكنك أن تعتذر لتفكيرك في شيء ، خصوصاً إذا كان ذلك صحيحاً).

رفع جفنيه الثقيلين: ( صحيحاً؟).

أجابت: ( حسناً ، هي غير جميلة).

– أتظنين ذلك؟.

فأجابت: ( طبعاً ، عليها أن تنتف حاجبيها.

ثم تلك النظارات الفضيعة! وذلك الشعر! لا

أحد يظن أن لديها كل ذلك المال ولا تنفق

منه علي حلاقي الشعر).

فقال كونراد بالرغم عنه: ( أظن ذلك).

فقال متلذذة: ( كما أنها قصيرة وممتلئة. لا  
بد أنها تعودت علي أن يقول عنها الناس ،  
أنها معدومة الجمال).  
قال: ( ولكن ليس أنا).  
قالت بدهاء: ( لا تهتم بذلك ، لأن قولك  
هذا لا يمكن أن يصددها. فأنا لا أظنها  
مغرمة بك. حتى قبل كلامك الفارغ ذاك  
عنها).

لم يستطع أن يتحدى هذا الكلام حقاً ، رغم  
أنه ضايقه في أعماقه.

سار في أنحاء المطبخ متضايقاً وهو يقول: ( )  
تباً لذلك ، لم أقصد أن أجرح مشاعر تلك  
المرأة).

فقالت الجدة: ( هذا يجعل الأمر أسوأ).  
ضاقت عيناه: ( يبدو أنك سررت لذلك).

ضحكت: ( حسنا ، كنت واثقاً أنك مسيطر  
دوماً علي كل شيء. لذا جميل أن نراك تخطئ  
أحياناً مثلنا).

فقال ساخرأ: ( بدأ الأمر يصبح عادة مع  
قرانسييسكا هيلير).

جفلت الجدة: ( ماذا؟ متى؟ وكيف؟).

تجاهل كونراد أسئلتها. وضرب قبضته في  
راحة يده الأخرى في قنوط: ( علي أن أفعل  
شيئاً).

فقلت بسرور خبيث: ( عليك أن تتظاهر

بأنك لم تقل شيئاً ، وسيكون عليها أن

تتظاهر بأنها لم تسمعه فهذا هو الأنسب

لكما معاً).

- هذا عظيم . سيجعل هذه الحفلة تهتز

حقاً.

قالت: ( سيذهبان بعد قليل ، وبعد ذلك لا

حاجة بك لرؤيتها مرة أخرى).



لم يجد كونراد في ذلك أي عزاء ، وازداد  
ضيقه ولم يحاول أن يخفي ذلك. وكبحت  
جدته ابتسامه وتركته يحمل صينية القهوة ألي  
غرفة الجلوس.

كانت علي حق. لأن الزائرين لم يطبلا  
مكوثهما ، وفي الواقع أفرغت فرانسيسكا  
قهوتها في حلقها ووقفت بحركة واحدة ،  
وعندما رأي أبوها ذلك أنبأه قلبه بالمتاعب.  
قالت بحزم: ( علينا أن نخرج).

نظر إلى قهوته البالغة السخونة. ثم قال  
محتجاً: ( من المؤكد أن لدينا وقتاً كافياً).  
لأجل ماذا؟ فكرت فرانسيسكا بذلك وهي  
علي شفا ثورة عصبية لكنها قالت كاذبة: ( )  
لقد وعدت جاز بأنني سأعود إلى المكتبة بعد  
الظهر).

– لقد أخبرتك أننا سنمضي النهار بطوله  
خارجاً.

– السبت هو يوم عمل كثير عندنا. وأنا

واثقة من أنكم ستعذروننا.

ووجهت جملتها الأخيرة إلي مضيفتهما

بابتسامة ضعيفة.

لم تكن الملكة السابقة قد عملت في مكتبة

طوال حياتها ، لكنها قالت بحرارة: ( طبعاً يا

عزيزتي).

وكانت تعني ذلك ، أما فرانسيسكا فأرادت  
أن تخرج من هنا بشكل مناسب ، رغم أنها  
كانت تهتز انفعالاً.

أن تقول لها أمها أنها أكثر بلادة وجفاء من  
أن تجذب رجلاً لديه امرأة أخرى ، هو شيء  
، وأن تسمع رجلاً يقول عنها أنها عديمة  
الجمال قارصة اللسان ، شيء آخر.

حسناً ، ستريه كيف يكون قرص اللسان.

عندما صافحها مودعاً قبل خروجها ،  
سحبت يدها من يده ، وبدت عليه المفاجأة  
، ثم بدا رزينا فجأة... ربما رأي الثروة تخرج  
من الباب ، كما ظنت فرانسيسكا بسرور  
وحشي.

مال نحوها متمتماً: ( اسمعي. هل يمكننا أن  
نتحدث؟ أعني علي انفراد).  
فأجابت: ( لا).

طرف بعينه ، وفكرت فرانسيسكا في أن  
آماله تحطمت لأن امرأة تقاومه...

لكن عزيمته لم تثبط ، فقال بنفس اللهجة  
الواثقة: ( حفلة الغداء هذه لم تكن فكرة  
جيدة. ولكن هناك أشياء أريد أن...

نناقشها).

جمدت فرانسيسكا مكانها. أتراه سيقول لها  
في وجهها إنها عديمة الجمال قارصة اللسان؟  
ووجدت نفسها ترتجف ، ونظرت إلي حيث

كان أبوها يودع مضيفه مبالغاً في إطرائها ،

فقال لكونراد ساخرة

- آه ، كل شيء واضح. ليس هناك تفسير

ضروري.

وفجأة بدت عليه العجلة: ( بل هناك ،

كنت مغتاضاً من... حسناً ، يمكننا أن

نتحدث عن ذلك فيما بعد ، لقد شعرت بأن

جدي يحرك أموري خفية ، لكن ذلك ليس

سبباً لأن.. أجرح مشاعرك...).

فنظرت إليه غاضبة: ( هل تعتذر لي؟ ).

فقال: ( نعم... لا ، يا الله! ).

ودس يده في شعره الكث: ( اسمعي ، أنا

آسف. هل هذا يكفي؟ ).

وبدا عليه فروغ الصبر ، حسنا هو الآن علي

الأقل لا يستعلي عليها.

وقالت: ( هذا لا يكفي ).

تأملها جزءاً من الثانية ، ثم قال بأسف: (

أنت لست متسامحة جداً ، أليس كذلك؟ ).



منحته ابتسامة واسعة غاضبة. وقالت: ( أنا

ابنة أبي. ونحن حقودان للغاية).

فقال وقد شابت صوته نبرة تسلية بغیضة: (

هذا ما أراه ، وأنا آسف. لم أقصد قط أن

أجرح مشاعرك... ألا يمكننا أن نجتمع في

مكان ما؟).

فقلت باختصار: ( أنت لم تجرح مشاعري.

أتصور أنك تنظر إلي كل إنسان باحتقار..

لذا لن أعتبر تلك الإهانة شخصية. ثم لا ،

لا يمكننا أن نجتمع مرة أخرى).

قال: ( أنظر باحتقار...؟).

قال ذلك مصعوقاً. ولأول مرة هذا النهار ،

بدأت فرانسيسكا تشعر بالمتعة ، فقالت

بمرح: ( ظننت أن الصدق قد أصبح شيئاً

رجعياً. فالناس لم تعد تعتبر أن الحق الإلهي

للملوك أمراً جاداً ، أليس كذلك؟).

ثم قالت بشكل أقل براءة بكثير: ( خصوصاً  
إذا كان الملوك الذين نتحدث عنهم هم  
عصابة من قطاع الطرق الجبليين).

أدهشتها ردة فعله لكلامها هذا. فقد توقعت  
الغضب والسخط ، وما إلي ذلك. ولكن ما  
رأته هو نظرات ثابتة. وساد صمت يثير  
الأعصاب.

ثم قال ببطء: ( هل تجدين المتعة والتسلية في  
ذلك الأمر؟).

أجابت: ( ماذا؟).

فقال: ( إنكار أن أسرة دوميتيو هي الأب

الروحي "لمونتاسورو").

فقلت بكبرياء: ( أتريد أن تقول أن هذا غير

صحيح؟).

أجاب: ( أنت تعلمين ذلك).

انفجرت تقول: ( دوما كان أبي يقول....).

فقاطعتها بلهجة ذات معني: ( أبوك ليس في

وضع يؤهله للحديث عن قطاع الطرق).

اشتبكت نظراتهما كالسيوف. وجذبت نفساً

كالفحيح: ( لا أراك أرجعت إليه نقوده).

فقال بتسليّة: ( لا دخل لذلك في هذا

الأمر. وأنت تعلمين ذلك).

وكان هذا صحيحاً ، فقد كانت تعرف جيداً

أن تبرع أبيها سيذهب ألي تمويل مستشفى

متنقل في مونتاسورو ، وطبعاً لن يعيد كونراد

هذا إلي أبيها مهما كان رأيه في أخلاقيات

أعماله.

كادت تحتق غضباً ، وقالت: ( قد لا تكون  
أسرة دوميتيو مافيا ، لكنكم دوماً كنتم من  
كبار المستغلين. أليس كذلك؟).

فقال: ( ماذا؟).

فأجابت بشماتة: ( بحثت عنك علي شاشة  
الانترنت).

ضاقت عيناه احتقاراً ، وسألها بشكل لاذع:  
( هل تفتشين دوماً عن الإشاعات التي  
تحدث عن مضيفك؟).

لو أن فرانسيسكا لم تكن غاضبة ، أو  
مجروحة المشاعر ، إذن لتراجعت في كلامها.  
لكنها لم تفعل ، بل قالت بمرارة مهلكة: ( )  
أريد أن أكون علي علم بكل شيء عندما  
أقابل غرباء. لأن كثيراً من الناس الذين  
يبدون محترمين يتضح فيما بعد أنهم رجال  
غشاشون).

ولم تدرك أنها تجاوزت الحد إلا بعد أن رأت  
عضلة في خده تنبض.

وقال: ( كان عليك أن تري الأنسة هيلير  
شجرة العائلة يا فيليكس ، لأنها تظنك فناناً  
في الغش).

كان صوته مرتفعاً رغم أن شفثيه لم تكادا  
تتحركان.

أدركت إلي أي حد ساقها سخطها ، وقالت  
بذعر: ( لا).

فاستدار الرجلان المسنان مصعوقين  
وتراجعت الملكة السابقة إلي مقعد بجانب



النافذة ، وهتف أبوها كثور غاضب: ( )

فرانسيسكا؟).

فقد الملك السابق ابتسامته المهدبة أخيراً: ( )

ماذا تظن الآنسة هيلير؟).

سرت في جسدها سخونة منهكة شعرت بها

في خديها ، ثم قالت: ( لم أقصد قط...).

الآن كانت هي المخطئة. تتخبط وتعتذر ،

فيما هذه الأسرة المتكبرة تنظر عبر أنوفها

المعقوفة إليها متعالية.

لقد انتصر عليها ، لقد وصفها بعدم الجمال  
وسلاطة اللسان ، ثم قذف بها إلي الذئاب ،  
وحملت فرانسيسكا في الأمير كونراد بكراهية  
حقيقية.

كانت الملكة تنظر مفكرة ، ثم قال الملك  
السابق ببرودة بالغة: ( السلالة واضحة جداً  
، لم يشك قط أحد بها ، ولا حتى الشيوعيون  
والفوضويون. ربما لا يريدون ملكاً ، لكن  
الشك لم يملكهم أن لأسرة دوميتيو الحق).

قالت وهي تصرف بأسنانها: ( لقد أساء

الأمير كونراد فهمي).

خفض الأمير كونراد بصره إليها باهتمام

زائف ثم قال برقة: ( آه؟ وكيف؟ لقد قلت

أنه غالباً ما يثبت أن الناس غشاشون في

النهاية).

قالت شاعرة نحوه بالكراهية: ( نعم. أعرف

هذا. لكنني كنت أتكلم بوجه عام ، وليس

بوجه خاص ، ليس عن...).

فقاطعها: ( ليس عني؟ ).

قال هذا برقة بالغة وتحد ظاهر. وقف شعر

فرانسيسكا وكأنها حيوان شعر بالخطر.

وقالت بيأس: ( ولا عن أي شخص هنا ).

ونظرت إلي أبيها ضارعة ، ولكن لم يكن

هناك عون من تلك الجهة ، لأنه كان

مصعوقاً.

ثم قالت الملكة السابقة بهدوء: ( لدي

فرانسيسكا وجهة نظر ).

استدارت لها الأعين بدرجات مختلفة تتراوح

بين الدهول والتحدي. فابتسمت قائلة: (

ربما ليس بالنسبة إلي شجرة العائلة ، بل

بالنسبة للوثوق بأي إنسان هذا منطقي للغاية

، كان بإمكاننا ، أنا وأنت ، أن يكون عملنا

أفضل ، يا فيليكس ، لو كنا أكثر حذراً من

الناس).

وجاء دور بيتر لكي يتصلب جسده ، مشتماً

رائحة إهانة ، وكبح كونراد ابتسامة ثم أشاح

بوجهه ، ولكن ليس بالسرعة الكافية ، فقد  
رأتها فرانسيسكا ، وقررت أن الكراهية هي  
أحسن من أن يستحقها.

الهزيمة ، هذا ما كان الأمير كونراد يستحق.  
أرادت أن تمحو تلك الابتسامة عن وجهه ،  
وترغمه علي الاعتراف بالخطأ والشعور  
بالمذلة.

فجأة تنهد الملك السابق قائلاً: ( معك حق

طبعاً يا عزيزتي ، هذا الجيل الشاب أكثر

دنيوية مما كنا نحن عليه).

بدا أنه لم يكن يقصد المديح. وقال الملكة

السابقة بنعومة: ( ربما إذن تريد الأنسة هيلير

أن تري شيئاً من العادات القديمة ، تقيم

الجمالية المونتاسورية حفلة كل عام في عيد

ميلاد كونراد الأسود بطل مونتاسيرو وهذا

العام يذهب إيراد الحفلة إلي متطلبات

المستشفيات. وسنكون مسرورين جداً لو  
حضرت الحفلة بصفتك ضيفتنا يا عزيزتي).  
الصمت المتوتر الذي تلا هذا القول كان  
دليلاً واضحاً علي أنها تكذب ، ذلك أن  
الملك السابق لن يكون مسروراً أبداً ، كما  
أن الذعر بدا واضحاً علي الأمير كونراد.  
كان هذا ما جعلها تقرر الخط من قدره.  
ولكن الإذلال ينبغي أن يؤجل. وحالياً



ستكتفي بإذعانه المدعور. وأجابت بسرور: (

ما أطف هذا منك!).

كبت كونراد غضبه بجهد واضح ، واتسعت

ابتسامة فرانسيسكا وهي تقول: ( سأنتظر

ذلك بشوق).

كانوا مسرورين لتركها تذهب. وكان الملك

السابق فيليكس يكاد يرقص تلهفاً إلي

خروجها من بيته.

قال كونراد: ( سأنزل وأوقف لكما تاكسي).

تابعت فرانسيسكا سيرها وكأنها لم تسمعه ،

ولكنه وضع يده علي ذراعها.

مرة أخرى ، تملك فرانسيسكا شعور غريب

بأنها عرفتة من قبل. التفتت إليه وشمّت رائحة

الغابات والبراري المقفرة.... لا بد أن هذا من

تأثير تبك الصورة اللعينة خصوصاً تلك التي

يبدو فيها علي الجبل.

تمتم في أذنها: ( علينا حقاً أن نتحدث ، وفي

مكان محايد).

قالت بعنف: ( ليس هناك مكان محايد بما  
يكفي).

بدأت سيارة أجرة من بعيد فرفع كونراد مظلته  
وهو يسير نحو الرصيف قائلاً: ( لا بد من  
ذلك ، سأتصل بك).

فاستدارت إليه بعنف: ( لا أريد أن أراك أبداً  
مرة أخرى).

وقفت سيارة الأجرة فانحنى أبوها يحدث  
السائق.

– كان عليك أن تفكري في ذلك قبل أن

تقبلي دعوة جدتي إلى الحفلة الراقصة.

كانت قد نسيت ذلك ، فعضت شفتها ، ثم

هزت كتفيها وقالت: ( يمكنني أن أتقرب منها

، إذا شئت ، بحجة الصداع أو نوبة تسمم

غذائي ، سأخترع عذراً مناسباً).

– وكأنك أمضيت سنوات في التدريب علي

التملص من المواعيد الاجتماعية.

– هذا صحيح.

– جبانة.

فقلت غاضبة دون إن تنظر إليه: ( لا بأس!

إذن سأقول فقط أنني غيرت رأيي).

فضحك: ( أنت لا تعرفين جدتي ، لقد

قبلت الدعوة وليس هناك طريقة للتخلص

منها أقل من إصابتك بمرض معد).

كانت من الغضب بحيث أوشكت تبكي.

فقلت بصوت كالفحيح: ( لن يرغمني أحد

علي الذهاب إلي الحفلة ، فأنا امرأة مستقلة  
لا يستطيع أحد أن يجعلني أفعل ما لا أريده).

– أتراهنين؟

التفت إليه بسرعة الحية: ( لا تخلط بيني  
وبين جماعة من الطفيليين اعتدت عليها علي  
ما يبدو).

فطرف بعينه: ( طفيليون؟ ما الذي تتحدثين  
عنه؟).

قالت هائجة بصوت مختنق: ( أتحدث عن  
أناس يريدون أن يقلبوا الأوضاع ليعيدوا  
الوضع الرجعي فقط ليمثلوا دور الملك  
والملكة ، وأنا لست واحدة منهم ، فأغرب  
عن وجهي).

وكادت تدفع أباهما عن طريقها وهي تصعد  
إلى السيارة.

\* \* \*

قال له جده: ( يا لها من امرأة فظيعة! أنا  
آسف يا كونراد).

كان الرجلان مستندين إلى خزائن المطبخ  
بينما الملكة تكوم الأواني في ماكينة غسل  
الأواني.

قال كونراد بضيق: ( حسنا ، لم أكن أيضاً  
لطيفاً معها).

فقال جده: ( هذا ما كنت أتوقعه فلم أر فتاة  
أقل منها جاذبية).



ولوح بسيجاره يبعده عن أوان المطبخ المعلقة

علي الجدار.

– أشك في أن بإمكان كازانوفاً نفسه أن

ينتزع منها ابتسامة.

ونظر إلي كونراد نادماً.

– أنسَ أموال أبيها ، لأنه سيدفع مرغماً ما

تبرع به للمستشفى لكننا لن نعود إلي طلب

تبرعات أخرى منه.

قال كونراد: ( حسناً ، هذا شيء حسن ،

علي الأقل).

ثم سأله محاولاً التركيز علي شؤون جده: (

تبرعات أخرى؟ تبرعات لأجل ماذا؟).

بدا المكر علي الجد وهو يجيب: ( لدي فكرة

عن الانتخابات).

قال كونراد دون أن يفهم: ( انتخابات؟).

أجاب ببشاشة: ( في مونتاسورو ، لقد طلبوا  
مني الترشح لانتخابات الرئاسة ، علي لائحة  
غير سياسية بالطبع).

فقال كونراد : ( ماذا؟).

– وهكذا بدأت حملة للتمويل.

انتصب كونراد في وقفته وقال عابساً: ( ليس  
بأموال بيتر هيلير).

فقال الجد موافقاً وقد فقد شيئاً من بشاشته:  
( لا . رغم أنها كانت ستفيدنا ، ولكن كان

علي أن أدرك أن هناك عيباً في الفتاة حين  
أقترح ذلك. ما كان علي أن أجمعكما معاً.

تلك الفتاة تعض).

تجاهل كونراد معظم هذا الكلام وقال بصوت

غريب: ( هل أقترح هو هذا؟).

فأجاب: ( نعم ، كنا نتناول الغداء معاً ،

فتلقي مكالمة تلفونية منها. وبعد ذلك

قال... ما هذا؟).

قال الجملة الأخيرة فجأة وهو يري

كونراد.... كونراد المنطقي الهادئ يقبض يديه

وكأنه يريد أن يضرب شخصاً ما.

ثم قال بصوت هادئ لم يسمعه منه من قبل:

( دعني أستوضح هذا. هل طلبت

فرانسيسكا من أبيها أن يطلب يدي

للزواج؟).

رفعت جدته حاجبها ، بينما قال الجدد: )

حسناً ، فهمت أن هناك شاباً كان قد...).

ولوح بيده بارتباك ، فقال كونراد بنفس

الهدوء: ( نبذها؟).

- هذا ما حدث . نعم.

فقال: ( إذن كنت أنا مجرد منحة للتسرية

عنها).

فقال الجرد: ( الآن ، يا كونراد..).

فقاطعه كونراد: ( وقد اختارت المنحة بنفسها

، ما تريده فرانسيسكا تحصل عليه

فرانسيسكا).

فقال الجد بارتباك أنما متعاطفاً معه: ( إنها

فتاة وقحة).

تجاهله كونراد وهو يتابع: ( بابا سيشتريني

لها).

قال فيليكس بعظمة: ( وعرش مونتاسورو

وتقاليدها ليست للبيع ولو مقابل كل

التبرعات في العالم).

صفقت الملكة السابقة ماكينة غسيل الأطباق

بعنف لا يستلزمه الأمر. وقالت لزوجها: (

كفي هراء ، يا فيليكس ، ليس لتبرع أبيها  
صلة بالأمر. وكونراد سيحكم علي الأمر  
بنفسه كعادته دوماً).

انتبه كونراد من غضبه غير العادي ، وما زال  
فكه يهتز متوتراً ، ويبدو أنه لم يستطع  
السيطرة عليه. لكنه عندما تكلم ، تكلم  
ببطء كالعادة: ( نعم. سأفعل ذلك ).



تبادل جداه النظرات ، كانا يعرفان معنى تغير

ملاحظه هذا ، ولم يكن يبشر بالخير إلي

فرانسييسكا هيلير.

قال الجد متوتر الأعصاب: ( هذا يعني أنه لا

حاجة بك إلي رؤية تلك الفتاة مرة أخرى ،

أليس كذلك؟).

ابتسم كونراد. كانت ابتسامة بطيئة للغاية ولم

تصل إلي عينيه البتة. وقال: ( آه ، بل هناك

حاجة لذلك).

وكانت جملة ناعمة رقيقة لكنها مهلكة.

\* \* \*

كان غاضباً جداً عندما استدار بالسيارة

داخلاً إلى الشارع العام.

لا بأس. ما كان له أن ينعتها بأنها قارصة

اللسان عديمة الجمال. كما أنه ما كان له أن

يدعها تسمعه ، وكان عليه أن يتحداها في

اللحظة التي وصل فيها إلى البيت ، ولا

يسمح لها بأن تدعي بأنهما لم يتقابلا من قبل

، كان عليه أن يعتبرها مخادعة كأبيها ، ويقول

لها هذا في وجهها.

اندفع بسيارته الرانج روفر الكبيرة في

الشوارع المزدهمة عصر يوم السبت.

لم يكن ، في العادة ، يسوق سيارته في هذا

الشارع في مثل هذه الساعة.

بعد تعليم الصباح. كان عادة يقضي وقته مع

الأصدقاء ، وغالباً ما كان يمضي الأمسية مع

فتاة صديقة ، لكنه منذ عرف فرانسيسكا

هيلير ، كره بشكل غريب أن يتصل بأي من  
أولئك النساء الماهرات المحنكات الموجودة  
أسماءهن في دفتر عناوينه.

ولأمر ما ، زاد ذلك في غضبه. وهو يفكر في  
أن ما يلزم فرانسيسكا هيلير ، صدمة بعد  
صدمة ، انفجار يهزها هزاً ، ويجعلها تتساءل  
عن تلك الثقة بأن بإمكانها أن تجعل العالم  
اللعين كله يرقص علي أنغامها ، وأخذ يفكر  
في ما يمكن أن يهز فرانسيسكا هيلير.

سألها جاز: ( حسناً ، هل حصلت عليه؟).  
حملت فرانسيكا فيها: ( إذا كنت تعنين  
ولي العهد كونراد ، فأنا صرفته من ذهني).  
وصرفت موظفة يوم السبت من مكتب  
الاستعلامات ، وثبتت نظاراتها علي عينيها  
ونادت: ( التالي).

لكن جاز قررت أن الوقت قد حان لكي  
تتصرف. فقالت لها: ( تعالي إلي هنا قبل أن  
تصبي زبونا بنوبة قلبية من الخوف).

وتركت آلة تسجيل النقود لموظفة يوم السبت  
وسارت مع فرانسيكا إلى غرفة الموظفين  
الصغيرة ، ثم سألتها: ( ماذا حدث بحق  
الله؟).

حولت فرانسيكا إليها عينين ملتهبتين. منذ  
تركت أباهما عند شقته ، لم تفعل شيئاً سوى

التفكير فيما حدث في حفلة الغداء الفظيعة

تلك.

قال بصراحة: ( أنا قارصة اللسان عديمة

الجمال وهو لا يريد أن يتزوجني).

فسألتها: ( ماذا؟).

– يبدو أن أبي عقد اتفاقية معهم لكي

يتزوجني.

نظرت جاز إليها وهي ترمش بجفنيها... ثم

أقلت بيديها في الهواء: ( هل كل

المونتاسوريين مجانين؟).

وافقته فرانسيسكا بكآبة: ( نعم ، ألا ترين

ذلك؟).

وقالت جاز: ( لقد طلبت منك أن تدعيه إلي

إلقاء حديث عن كتابه وليس إلي الزواج).



تملك فرانسيسكا الغيظ: ( لست المسئولة

لأن أبي هو المجنون ، وعلي كل حال ، بقية

تلك الأسرة البغيضة أسوأ منه).

قال جاز حانقة: ( كم مرة قلت لك أن

تركزي اهتمامك علي عملك ، وألا تمزجي

العمل بالمتعة).

قالت فرانسيسكا: ( المتعة؟).

– كان المفروض أن تصطاديه لكي تحضره  
إلى مكتبنا الباز ، لا أن تبدأي عداءاً إجرامياً  
معه.

وزفرت من شدة الغيظ.

0 أتظنين أن هناك أي أمل في أن يأتي إلينا

بعد كل هذا؟

تملك فرانسيسكا الهدوء فجأة: ( ليس لدي

فكرة ، ولكن إذا أردت مني أن أتابع إقامة

الندوات الأدبية المسائية ، فأبعدي ذلك

الرجل عني).

ونسيت جاز ضيقها: ( آه!).

وهكذا لم تدهش كلياً عندما دخل كونراد  
دوميتيو مكتبة الباز في اللحظة التي فتحوها

صباح الاثنين.

كانت وحدها عند المكتب. أنصفق الباب  
واندفعت هبة من هواء الربيع عبثت بأوراق

دفتر التسجيل.

رفعت جاز بصرها فعرفت من يكون علي  
الفور. كانت تنضح منه طاقة كافية لإشعال  
العالم ، وسألها دون تمهيد: ( أين هي؟).  
حتى في المكتبة المزدهمة ، كان يسير بخطوات  
واسعة وكأنه في البراري ، خطوات واسعة  
مسيطرة.

بدأت جاز تبسم: ( صورتك لا تنصفك.  
مرحباً. أنا جاز).

فقال دونما اهتمام: ( مرحباً. أين فرانسيسكا

هيلير؟).

أجابت بعدوبة مصطنعة: ( أتعني شريكتي

القارصة اللسان العديمة الجمال؟).

بدا لجاز وكأنه رآها فجأة فخدمت بعض

ناره.

سألها: ( هي أخبرتك بذلك ، أليس

كذلك؟).

فأجابت: ( نعم).

– لا بد أنها كانت متكدرّة.

فأجابت متأملة: ( متكدرّة؟ إنها مجرد طريقة  
لوصف حالتها. لكنني لم أسمعها قط تطلب  
مني أن أبعد رجلاً عنها).

أمضي كونراد وقتاً استوعب فيه هذا الكلام.  
ولهذا كانت من سوء الحظ أن فرانسيسكا من  
رحلتها وجمدت عند العتبة ، ثم ألقّت علي  
جاز نظرة محرقة: ( ما الذي يفعله هنا؟ لقد  
أخبرتكم.... أخبرتكم...).

ثم خرجت عائدة إلى الشارع.

ونظر إليها بجمود: ( أي مصيبة

تجعلها...؟).

فقاطعته جاز بلطف: ( لن تعود إلا بعد

خروجك ، كانت تعني ما تقوله).

فقال وهو يخرج من المكتبة: ( آه... هذا

شيء مضحك).

ولكنه أدركها عند شارع كنغز رود.

قال: ( لا بأس. تريدني مني أن أعتذر؟ أنا  
أعتذر).

كانت فرانسيسكا مندفة كالعاصفة لا تكاد  
تلاحظ أي طريق تسلك.. كانت تفكر في أن  
عليه أن يركع ، نعم ، هذا ما تريده ، أن  
يركع عند قدميها ، أما الاعتذار فهو لا يفيد  
، وصاحت به: ( لا أريدك أن تفعل أي شيء  
إلا أن تدعني وشأني).

فقال: ( لا تكوني حمقاء).



صرخت نائحة: ( لا تعاملني باستعلاء).

فقال: ( توقي إذن عن الخداع).

تملكها من الغضب ما لم تكد تستطيع معه أن

تتكلم: ( أنا لا أخدع).

– لا؟ لماذا إذن تتظاهرين بأننا لم نتقابل من

قبل؟ هل كان ذلك لمصلحة بابا هيلير أم

لمصلحتي؟

فقالت: ( ماذا؟).

كان غضبه يعادل غضبها ، لكنه كان أكثر

منها سيطرة عليه.

وقال: ( هل المفروض أن أتجاهل حقيقة أنك

في أول مرة اجتمعنا فيها ، شوهت سمعة

بلادتي وأسررتي؟ لم أسمعك تعتذرين عن

ذلك..).

فقلت: ( أول..).

وسكتت.

جمدت مكانها... دخان الخشب والصنوبر.  
والشعور المثير بأنها علي حافة شيء خطير.  
وغضبه علي جديه. وسؤاله ( هل تقابلنا من  
قبل؟) وجوابه ( لا أدري. أخبريني هل  
تقابلنا؟).

قالت بصوت ثقيل كالرصاصة: ( أنت رجل  
الشرفة).

– لقد تأخرت في الاعتراف بذلك.

– لماذا لم تخبرني؟

لم يكن صوته هو نفسه. وكانت ترتجف في  
داخلها ، فواجهها قائلاً: ( ولماذا لم تفعل  
أنت؟ ) .

كان صوته طبيعياً تماماً... غاضباً لكنه طبيعي  
، وهو حتماً لا يرتجف في داخله... ولا  
خارجة.

قالت محاولة أن تقنع نفسها: ( كان ذلك  
ثرثرة علي الشرفة فقط. لم تكن هامة... ) .

فقال مكشراً عن أسنانه: ( تعين ليس بأهمية  
ولي العهد الذي كان سيشتريه لك أبوك).  
كانت مخطئة عندما ظنت أنه لم يكن يرتجف.  
بل كان يهتز ، فكرامته انبرت ثائرة لأنه ليس  
شخصاً قد يعرض للبيع... أدركت  
فرانسيسكا ذلك ، في نفس الوقت الذي  
أدركت فيه أنها لم تر قط رجلاً بهذا الغضب  
في حياتها ، غضب يمثل عنف اندفاعه وهو  
يقول: ( أنت...إلي الجحيم..).

سكت ، فتصاعد الدم إلي رأسها. لو لم تكن  
تحمل بيديها فنجانى القهوة الورقيين ، لعادت  
ألي طفولتها وضربته. وهكذا لم يكن لديها  
أى شيء سريع من وسائل الدفاع عندما قربها  
كونراد منه وعانقها.

مضت لحظة ، لحظة واحدة فقط ، شعرت  
فيها وكأنها فى الفردوس ، شعرت وكأنها  
عادت إلي بيتها بعد رحلة فظيعة وشعرت بما  
يشبه الحب.

وإذا بها ترفسه ، ثم تلقي بالقهوة بعيدا ،  
وتهرب.

كانت صورا رائعة ، حسنا ، إنها سلسلة من  
الصور في الواقع... الصحافي المستقل ،  
الذي كاد ييأس من ولي العهد كونراد ، حمد  
الله ثم التقط صورا للدقيقتين العاصفتين....  
حتى أنه أدرك فرانسيسكا وهي تصفق باب  
مكتبها بعنف كما أظهرت الصور الدموع  
التي كانت تتألق خلف نظاراتها واضحة تماما.

وفي الصباح التالي ، ظهرت الصور في  
صحيفتين من الصحف الشعبية الملونة ، ثم  
في كل المجلات المعروفة في نهاية الأسبوع.  
ومع نهاية الشهر ، كانت قد نشرت في كل  
صحف أوروبا والولايات المتحدة.  
توقفت فرانسيسكا عن الإجابة علي تلفونها  
، ولم تعد تخرج قط دون وشاح حول رأسها ،  
لقد كلفها هذا مبلغاً كبيراً للبوابين المستمتعين  
بذلك في المبنى الذي تسكنه ولكنهم نفذوا



ما أرادت وسدوا الباب في وجوه مندوبي

الصحف الشهيرة.

ودخل مكتبة الباز من الزبائن في أسبوع أكثر

مما دخلها خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

وعقد بيتر هيلير مؤتمراً صحفياً تعهد فيه

بدفع مبلغ لا يستهان به لتمويل حملة الرئاسة

للملك السابق فيليكس ورفض أن ينجر إلي

ما إذا كانت لأبنته علاقة بولي العهد كونراد ،

وسرعان ما كانت أخبار الحملة تحتل أعمدة

صحف يوم الأحد الأوروبية. وانهاال عليها

مزید من التمويل.

أما كونراد... حسناً ، لم يتكلم كونراد مع أحد

، لا مع الصحافة ولا مع أسرته ولا مع بيتر

هيلير المتسلط... لقد أعلن كونراد أنه يريد

فقط أن يتحدث إلى شخص واحد ، وهو

فرانسيكا.

\* \* \* \*

نهاية الفصل



## الفصل الخامس : لن أراك أبداً امرأة جامحة

رفضت فرانسيسكا أن تتحدث إليه ، قائلة  
بغير صدق: ( لا يهمني ما تقوله الصحف).

قال أبوها أن اهتمامها هو بنفسها ، والملك

السابق فيليكس يقول أن ذلك ينبغي أن

يكون ببلادها ، والملكة السابقة تقول أنه

ينبغي أن يكون كونراد ، لكن فرانسيسكا

قاومتهم جميعاً.

ثم ، إذا بأمها تتدخل.

قالت اللإيدي آنا ، وهي تدخل إليها في

الشقة وكأنها في الشقة وكأنهما كانتا أمس معاً

وليس منذ أربعة أشهر: ( يا لك من ماهرة ،

يا عزيزتي! لم أظن قط أن لديك كل هذا ).

وكانت تبدو ، بالوشاح حول رأسها ، وكأنها  
قادمة من الحقول. فقالت فرانسيسكا بحذر:  
( لدي ماذا؟ ).

لديك القدرة علي إبقاء أمير معلق بخيط ،  
خصوصاً كونراد دوميتيو. جميع الفتيات كن  
يلاحقنه عندما كان فتياً ، طبعاً ، قبل أن  
يصبح عالماً كئيباً. وها أنت الآن قد  
استطعت أن تجعليه جذاباً مرة أخرى ، فيا  
لك من ماهرة!

فقلت فرانسيسكا غاضبة: ( جذا با؟ ).

كبحت أمها ابتسامة: ( بالتأكيد! كل

شخص يقول أنك تحطمين قلبك لأجله. لا

شيء يجعل رجلاً جذا با بهذا الشكل مثل

تحطيم القلوب من بعيد).

قلت فرانسيسكا بشبه صراخ: ( من بعيد؟ ).

سألت اللايدي آن ببراءة: ( أليس هذا ما

يسمون ذلك عندما تعرفين كل شيء عن

شخص دون أن تكوني قد خرجت معه).

قالت: ( أنا لا .. ).

قالت أمها متأملة: ( نعم. هذا يظهر كوكأنك

غارقة في حبه منذ سنوات. يظهر كوكأنك

تعرفين الكثير).

فقلت فرانسيكا بيرودة: ( إنهم الناشرون.

فأنا في وضع فريد).

قالت أمها: ( نعم ، هذا ما تقوله الصحف.

أتعلمين؟ لقد اتصل بي شخص وسألني عما



إذا كنت تضعين صورته علي جدار غرفتك  
عندما كنت طفلة؟).

أمسكت فرانسيسكا برأسها: ( أظنوني  
حمقاء إلي هذا الحد؟).

جلست أمها إلي مائدة المطبخ وأحاطت  
فنجان القهوة بيديها وقالت بصراحة: ( بل  
يضمنونك فتاة ثرية لا يمكنها الحصول علي  
رجل ، مهما اجتهدت. وأنت تساعدينهم  
علي التفكير في ذلك).

لم تستطع فرانسيسكا أن تتكلم.

قالت الأم وهي تعبت بفنجانها: ( لا أدري

إذا كان ينبغي لذلك الشخص أن يتحدث

إليهم).

عادت إلي فرانسيسكا روح النكتة: ( ويخبرهم

أنه قام بمراجعة ما لدي من أموال وممتلكات

قبل أن يطلب يدي؟ لا أظن ذلك).

هزت الأم رأسها إزاء ابنتها غير المادية: (

ليس عليه أن يخبرهم بالحقيقة ، فكل ما عليه

أن يخبرهم هبه هو إنكما كنتما تخرجان مع  
بعضكما البعض وانتهي ذلك الآن. المحرر  
المطلوب منه البحث في هذه الأمور التافهة  
قادر علي استغلال هذا الخبر إلي حد كبير  
ويجعلك تبدين في غاية اليأس والقنوط. لماذا  
تهتمين؟ أنت امرأة عاملة ولديك عمل  
ناجح).

لكن فرانسيسكا لم تجد في هذا عزاءً كبيراً.  
فتمتت تقول: ( كل هذا أكاذيب ملفقة).

فقلت الأم: ( الكاميرا لا تكذب. هل

جعلك كونراد تبكين أم لا؟).

كانت فرانسيسكا قد نظرت إلي تلك  
الصورة الكريهة مرات كثيرة حتى أصبح  
بإمكانها أن ترسمها من الذاكرة.

قالت تعتذر: ( جعلني أبكي من الغيظ).

فقلت الأم: ( مثل أي فتاة منبوذة تماماً).

ساد صمت طويل مشحون وقفت

فرانسيسكا بعده وقالت بحزم: ( لا يهمني ما

يظنه الناس. لكنني لا أريد أن يظن أصدقائي  
وأقاربي أنني أدور بحثاً عن رجل ، سأحدث  
إلي كونراد).

زمت اللإيدي آن شفيتها: ( لا بد أن اهتمام  
الصحف الشعبية تلك يقف في طريق عمله.  
ربما كل ما يريده هو أن ينتهي من كل هذا.  
وربما لن يكون في هذا أي فائدة أو رجاء).  
رفعت فرانسيكا ذقنها بعزم.

كبحت أمها ابتسامتها ، هذه هي ابنتها التي  
لا يمكن أن تعترف بأن هناك شيئاً لا رجاء  
فيه.

وقالت فرانسيسكا بحزم: ( سيتحدث إلي).

\* \* \*

كان كونراد قد تخلى عن الأمل في أن ترد  
فرانسيسكا علي اتصالاته ، وجلس إلي  
شاشة الكمبيوتر محاولاً ألا يفكر فيها ولكنه  
كان عاجزاً عن التركيز.

ما الذي يحدث له؟ حتى عندما تحطم زواجه  
من سيلفيا ، لم يحدث له أن أصبح عديم  
القدرة علي التركيز كما هو الآن.

رباه! لقد دفن نفسه في العمل بعد طلاقه من  
سيلفيا التي ذهبت إلي التزلج علي الثلج  
والقيام بالحمامات الشمسية ، والزواج أخيراً  
بمدرّبها الوسيم في لعبة التنس. ولم يحدث قط  
أن تذكر أحاديثهما كلمة كلمة ، كما هو

الحال مع فرانسيسكا كما أنه لم يعلم قط ما

فعلته به فرانسيسكا؟

لقد سكنت أحلامه ، بتلك العينين البنيتين  
الكبيرتين ، وتلك الذقن المتحدية! الشيء  
الذي لم يستطع أن ينبذه من تفكيره ، هو  
الطريقة التي ارتجفت فيها عندما لمسها علي  
تلك الشرفة المبتلة بالماء ، ومرة أخرى عندما  
عانقها.



لقد رفته. وبدا عليها أنها ستنفجر ،

وكادت المكتبة تنهار عندما صفقت بابها

بذاك العنف ، لكنها قبل ذلك ارتجفت ،

وعندما لمسها تغير صوتها.

تصلب جسده للذكري ، وتأوه بصوت عال.

ما كانت لتعترف بذلك ، طبعاً ، رباة! ربما لم

تدرك ذلك ، لكن كونراد كان خبيراً في ذلك.

وهو يعرف تلك النغمة في الصوت مهما كان

مصدرها.

تباً لأبيها وتدخله! وتباً لفيليكس والأسرة  
المالكة! وتباً لتجارة الكتب! وتباً لكل  
الأشياء التي تقف في الطريق! فما يريد هو  
أن يحملها بين ذراعيه ويأخذها إلى التلال ،  
حيث لا مال ولا أبهة ملوكية.. حيث  
يكونونان وحدهما فقط ، سيجعلها تقف  
وتحارب لأجل الحصول علي رجلها ، لا أن  
تجعل أباهما يشتري لها واحداً ، وعند ذلك  
يعتني هو بها. آه. نعم. سيفعل ذلك.

سيجعل تينك العينين البنيتين الناعمتين  
تتألقان كما تألقنا تلك الليلة التي لم يكن  
أيهما يعرف إلي من يتحدث...  
كان قلبه يتجاوب مع أفكاره بشكل ملحوظ  
، وضحك كونراد وقد انحبست أنفاسه ،  
يجب أن يكف عن هذا. قال بصوت عال: ( )  
ليس الآن ، عليها أن تتحدث إلي أولاً).  
وهي لن تتحدث إليه... بالتأكيد ما كان له  
أن ينعته بانعدام الجمال وبأن لسانها قارص

، ولم يكن يدري لماذا قال ذلك... ما عدا  
أنه اهتز عندما وجدها في منزل جديه تبحث  
عن زوج ذي لقب ، لقد جعله هذا في أسوأ  
طبع مر عليه في حياته.

الأمير كونراد الهادئ المتزن! والمسيطر علي  
نفسه! البالغ الثقة بنفسه وبتصرفاته ، لم  
يستطع السيطرة علي لسانه ، وبانسياقه مع  
أفكاره الحالية ، لم يكن مسيطراً أيضاً علي  
قلبه وكيانه.

خبط بقبضته علي مفاتيح الكمبيوتر بعنف  
جعل الجهاز يصفر ، وسمع صوتا من الشاشة  
يخاطبه: ( لقد أنجزت عملية غير قانونية).  
فكشر كونراد إزاء هذه الرسالة: ( ليتني  
فعلت ذلك).

حاول أن يعزي نفسه بأن الأوضاع ، أحيانا ،  
ينبغي أن تترك حتى تختمر ، وسيأتي الحل إليه  
، وكان كونراد يؤمن تماما بعدم استعجال  
الأمور.

المشكلة كانت أن جسده لم يوافقه علي ذلك

، لكن علي جسده أن يصبر.

ثم انكب علي التعليل الحذر للبروفيسور

الياباني لتغير الحرارة بشكل متنافر.

وهكذا ، عندما اتصلت به لم يكن

مستعداً.

قالت بجفاء: ( هنا فرانسيكا هيلير).

جف فمه ، ولم يستطع أن يفكر فيما يقوله.  
وبلهجة أقل جفاء تابعت: ( هالو هالو...هل  
هذا مكتب كونراد دوميتيو؟).  
أجاب بصوت مختنق: ( نعم).  
قالت وقد بدا وراء ذلك الجفاء شيء من  
الرجفة العصبية سمع مثلها من قبل: ( هل  
يمكنني التحدث إليه من فضلك؟).  
ميز جسده ذلك قبل عقله. تنفس بعمق ، ما  
الذي كانت تفعله به؟

وابتلع ريقه بصعوبة: ( كونراد دوميتيو

يتكلم).

بدأت البغته في صوتها: ( آه..).

كاد يري عينيها تتسعان. كانت قد أعدت حديثها مسبقاً لكنها لم تستطع الآن أن تفكر في كلمة واحدة منه ، وكان كونراد واثقاً من ذلك.



فكر في مبلغ قوة معرفته بها ، فهو يعرفها  
أكثر مما عرف سيلفيا بعد ثلاثة أعوام من

الزواج.

الزواج!

وفجأة انطبعت الصورة في رأسه ، ونسي  
غضبه... نسي كبرياءه. هو وفرانسيسكا قد  
خلقا لبعضهما البعض ، كان هناك حل واحد  
وممكن ، وسيكون من الصعب عليه إقناعها  
به... ولكنه سيقنعها بذلك... بإمكانه ذلك ،

إنه يعرفها... وهو يعرف نفسه أنه صبور

مصمم.

سيأخذ ذلك وقتاً ، وهي ستحاربه في كل  
خطوة من الطريق. لكنها ستتزوج في النهاية  
، ليس هناك حل آخر ، وعادات تقول وقد  
ازدادت شكوكها: ( هالو؟).

ابتلع ريقه ، من هنا البداية ، بداية الزواج  
بفرانسيسكا... قال بحذر ولطف: ( لقد  
فاجئتني. لم أتوقع اتصالاً منك).

فقلت: ( ليس صحيحاً إذن أنك أخبرت أبي

بأنك لن تتحدث إلي أي شخص سواي؟

أعني عما تكتبه الصحف).

قال منتقياً كلامه بعناية: ( بل هو صحيح.

لكنني لم أظن أنك... مستعدة للحديث).

فقلت بخشونة: ( أنا مستعدة).

قفز قلبه ، وشعر لحظة أنه يكاد يخنق: (

لماذا؟).

قالت: ( لأنهم يقولون بأني مغرمة بك من بعيد وأنا لا أريد أن يظن أصدقائي أنني أسعي لاصطيادك خفية).

قال: ( آه).

حسناً ، هذا هو السبب إذن! وكان مصدوما لعمق خيبة أمله عندما قالت بفروغ صبر: ( ألم تر الجرائد؟).

فأجاب: ( لا. أنا لا أقرأ أعمدة الصحف التي تتحدث عن المشاهير).

فقال: ( ولكن عندما تكون أنت موضوع  
تلك الأعمدة..).

فقال بجفاء: ( ليست المرة الأولى ولن تكون  
الأخيرة. لا أريد أن يخبروني عما أفعل وأشعر  
به ، فإذا كان ما يقولونه صحيحاً ، فأنا  
لست بحاجة إليه ، وإذا كان ما يقولونه كذباً  
، فسيثير ذلك طباعي).

ساد صمت قصير. لا بد أنها تستوعب قوله  
هذا.

ثم سأله بكآبة: ( هل تعتقد أن ثورة الطباع

هي أمر سيء؟).

- إنه تضييع للطاقة.

فقلت وكأن هذا لم يعجبها: ( ما أهدأ

أعصابك! ألا يقلقك هذا أبداً؟).

- الشيء الوحيد الذي يقلقني هو التفكير

في أنك قد تكونين منزعجة. والآن ، أين

سنتقابل؟).

حاولت أن تتراجع. كان عليه أن يراهن أنها  
ستراجع حالما يعين الوقت والمكان. لكنه  
فلح أخيراً في أن يقنعها ، دون وعي منها  
تقريباً ، حتى أنه تركها ضاحكاً عندما قطعت  
الاتصال فجأة.

وضع السماعة ، وجلس ينظر إليها خمس  
دقائق كاملة ثم أخذ يدور بمقعده الدوار ،  
وهو يلكم الهواء بقبضته. وعاد ليقذف  
بنفسه إلى العمل.

لم تسمح له فرانسيسكا بأن يأتي ليأخذها من  
المكتبة ، قالت هذا خوفاً من أن يلحقهما  
أحد رجال الصحافة لكن هذا لم يكن  
السبب الحقيقي لأنها في الواقع لم تشأ أن  
تراهما جاز معاً.

كان يسير متمهلاً في الممر الطويل ، طويلاً  
رشيقاً كلاعب رياضي في بنطلون جينز أسود  
، فبدا مدمراً ، حتى الموظفة خلف مكتب



الاستعلامات المنهكة أدركت ذلك ، أما  
فرانسيسكا ، التي أسرتها عيناه العميقتا  
الغور فقد رفرف قلبها بين جنبيها.

ربما... عليها أن تستدير ومن ثم تنطلق  
هاربة... الآن.

لكن الوقت كان فات علي ذلك. فقد رآها.  
وكان يتسم ، وفجأة ، بدا لها ذلك أقل  
خطورة.

تقدمت نحوه ، تضم "الكتالوج" إلي صدرها.

لم يحاول أن يعانقها ، ولم تعرف ما إذا كانت  
مسرورة أو آسفة لذلك. كما أنه لم يكن  
بإمكانه أن يصفحها دون أخذ الكتالوج  
منها. وهكذا أوماً كلاً منهما للآخر ، هو  
بشكل طبيعي وهي بضيق حاد.

كان بالغ التهذيب والاحترام ، وقال : ( )  
آسف لجعلك تنتظرين).

أثار الاعتذار اضطرابها: ( لا ، لا ، أنا التي  
جئت مبكرة... لا شيء يستلزم أسفك).

– إنها وجهة نظر.

ولمعت عيناه وهو يخفض بصره إليها وكأنه  
يدعوها إلي أن تشاركه النكتة. وابتلعت ريقها  
، لم تكن تريد الدخول حالياً في موضوع  
المزاح هذا.

فقلت بلهجة ملتوية: ( حسناً ، أتريد التفرج  
علي أي من الصور المعروضة؟ أم نذهب  
فقط إلي مكانا ما ونتحدث).

فقال: ( يمكننا أن نري لوحة أو اثنتين ما

دما هنا).

وكالعادة أيضاً ، كان يعرف ما يعرضه المعرض

فذهب مباشرة إلى لوحاته المفضلة ، ثم هو

يعرف كل شيء عن الرسم. هتف مسروراً: (

أنظري هناك "صورة رجل" لتيتيان).

نظرت فرانسيسكا ، وقالت بأدب: ( رائعة).

نظر إليها نظرة ملئها التسلية: ( ألم

تعجبك؟).

هزت رأسها: ( لا أعرف شيئاً من رسم "عهد  
النهضة الأوروبية").

لكن الحقيقة هي أن الصورة لم تعجبها...  
كانت صورة لرجل بثلاثة أرباع الوجه ، أسمر  
يميل رأسه بشكل عدائي.

ابتلعت ريقها ، ثم قالت: ( الكمان  
جميلتان).

القي كونراد برأسه إلي الخلف وانفجر ضاحكاً  
، ثم سأها: ( هل أخافك؟ ).

كان الوجه الأسمر المتحفظ مليئاً بالشر  
والمكر ، وأكمل كونراد قوله: ( والآن ،  
لماذا؟ ).

فقلت وهي تتأمل اللوحة: ( إنه لا يبدو  
لطيفاً للغاية).

طرف كونراد بعينه: ( لطيف؟ لا. ربما هو  
ليس كذلك. لكنه ملئ بالحياة).

وأخذ يسير أمام اللوحة بنشاط: ( انظري  
إليه. نظرياً ، ترينه متكئاً علي شيء ما. لكنه  
، في الواقع ، مستعداً للقفز والاشتراك مع

الآخرين عند حدوث أي مشكل. يمكنك أن  
تري ذلك).

هل بهذا يشبه كونراد أيضاً؟ ما أقل ما تعرفه  
عنه.

تحت جفني كونراد الكسولتين ، ووراء تلك  
المشيئة الهادئة والحذرة ، تكمن رجولة بعنف  
غابة تحترق.



نظرت مرة أخرى إلى اللوحة ، ثم اكتشفت شيئاً: ( إنه يتحدانا بالطريقة التي ينظر فيها إلينا ، إنه يتحدانا أن نجرؤ علي أخذه).  
رفع كونراد حاجبيه: ( ظننت هذا دوماً أيضاً ، لكن النساء لا يرين ذلك ، عادةً).  
فقلت بجفاء: ( التحدي هو ، تقريباً ، اللغة الجسدية الوحيدة التي أميزها ، حسب قول أمي).

قال كونراد: ( آه).

اختزن هذه المعلومة ليعود إليها في المستقبل ،  
ثم قال: ( هو بالتأكيد لا يقصد أن يتحدى  
المتفرجين بل يحاول أن يجلب انتباه الرسام).  
فقلت: ( ولماذا يجلس أمامه ليرسمه إذا لم  
يكن يحبه؟).

تنفس الصعداء. وقال: ( لا علاقة للمحبة  
بذلك ، إنها كيميائيات الجسم وتجاوبها).

نظرت فرانسيسكا إليه دون أن تفهم : ( )

آسفة . لقد ضيعتني).

فقال : ( الرجل حسن الوضع ، ناجح ، شابا

، ذو طاقة. ثم تعرف إلي الرسام ، والرسام

يمكنه أن يقوم بشيء لا يحسنه هو. يمكنه أن

يرسم. وعندما يأتي الناس يمكنهم أن يقولوا:

( يا لك من وسيم.... وما أجمل كميك! وإنما

سيقولون : ( الرسام تيتيان عظيم حقاً).

سألته: ( أتعني أنه غيور؟).

أجاب: ( لا لا . طبعاً لا ، بل هو يريد لأن  
يكون تيتيان العظيم... إنهما من نفس النوع  
، وكان الاثنان يهدفان إلي أن يكونا كأحسن  
ما يمكنهما ، لكن تيتيان هو الموهوب. هذا  
هو التحدي الذي تقولين أنك توسمته في  
الصورة).

فقلت ببطء: ( فكرت في هذا كثيراً ، أليس  
كذلك؟).

فأجاب: ( أنا أحب تلك الصورة. أحببتها

دوماً).

- لا ، ليس الصورة بل مسألة التحدي

تلك.

فأوماً ببطء: ( أظن أن هذا صحيح).

فقلت: ( أنت تتحدي الناس إذن؟).

انخفض جفناه فجأة.. أجاب بعد وقت طويل:

( أحياناً).

فقلت: ( إذن كنت تتحداني أثناء حفلة  
الغداء الفظيعة تلك بكل تلك المحاضرات  
عن شجرة أسرتكم؟ مجرد التحدي؟  
احتيال؟).  
وشعرت بالوحدة بشكل غريب.  
نظر إليها لامع العينين ، كيف ظننتهما  
سوداوين؟ إنها تراهما عن قرب الآن ، فهما  
مزيج غريب من الأخضر والعسلي وقال  
برقة: ( أنا لا أحتال ، وتحدياتي جادة كلياً).

قفزت فرانسيسكا وكأنها لمست سلكاً  
مكهرباً ثم قالت بتردد: ( إذن لم يكن ذلك  
تحدياً منك؟ عندما كنت... ).

فأكمل كلامها: ( كريهاً ).

أطلقت ضحكة قصيرة مجفلة: ( نعم ، هذه  
هي الصفة تقريباً ).

أمسك بذراعها يبعدها عن اللوحة: ( هذا  
يذكرني بأول شيء أردت أن أفعله ).

فسألته: ( وما هو؟ ).

أجاب: ( أن أعفر وجهي بالتراب).

قفزت فرانسيسكا في الهواء. أتراه استطاع أن  
يقرأ أفكارها؟.

قال: ( كنت مجنوناً لشدة الغضب ، ولم يكن  
مفروضاً أن تسمعي ، ولكن مع ذلك ما  
كنت لأقول عنك قارصة اللسان لو لم أكن  
ثائراً غاضباً).

قالت تذكره عابسة: ( قارصة اللسان معدومة  
الجمال).



لكنه لم يظهر التوبة ، كان سحره يغلفها أشبه  
بلوحة طبيعية تبدو فيها الشمس فوق تلال  
إيطاليا.

وقال: ( حسناً ، ها أنت ذي ، هذا يثبت أن  
الأمر كان مجرد غباء من وحي ذلك  
الغضب).

سارت خلفه لحظة بصمت ، وأفكارها تغلي  
، وتذكرت باري الذي كان ساحراً للغاية.

قالت: ( ليتني لم أكن بهذا السوء في قراءة  
الناس).

حمد كونراد في مكانه يحدق إليها ، وتحت  
عينيه الثقيلين كانت عيناه تلمعان اهتماماً.

وسألها: ( سيئة في قراءة الناس؟).

فابتسمت بجفاء: ( أنا ميئوس مني ، أُمي

تقول أن السبب شبهى الكبير بأبي).

فسألها: ( وهل أنت كذلك؟).

فأجابت: ( في بعض الأشياء).

تقدمت باتجاههما مجموعة من السياح ،  
وأثناء محاولاتهم البقاء بقرب دليلهم ، سدوا  
الطريق علي فرانسيسكا.

وضع كونراد ذراعه حولها وجرها إليه وكأنه  
كان يفعل ذلك طوال حياته ، وسقط منها  
الكتالوج.

كان تماسهما المكهرب هذه المرة أشبه بالبرق  
بلمعانه. كيف لم يشعر به؟ فكرت

فرانسييسكا في ذلك بينما كانت هي لا

تستطيع التنفس.

وكان هذا جنوناً. أن يغمي عليها كلما وضع

رجل إصبعه عليها. حتى عندما تركها تذهب

لتلتقط الكتالوج ظلت تشعر بلمسته وكأنها

وسمة اخترقت جلدها.

قال: ( لقد امتلأ المكان ، أليس كذلك؟

أتريدون أن نذهب إلي مكان أقل ازدحاماً؟).

فابتلعت ريقها: ( نعم ، أرجوك).

أخذها إلي مقهى صغير مشرق وأحضر لها  
قهوة.

بدا فجأة جاداً تماماً. قال: ( اسمعي.. أتظنين  
أن بإمكاننا أن نبدأ مرة أخرى).

لم تعرف ماذا تقول ، وهكذا لم تقل شيئاً.  
قال باسماء: ( أعلم أنني أطلب الكثير. ولو  
كنت مكانك لرفضت ، ولكن هذا الأمر  
ليس لأجلي فقط).

طعنها قوله في قلبها ، فهو ما كان ليرغب في  
أن يراها مرة أخرى لأنه يريد أن يراها.  
قالت: ( أظن من الأفضل أن توضح  
كلامك).

آه ، كم بدت هادئة متمالكة لمشاعرها ،  
وشعرت بالزهو لذلك.

وتردد: ( وعدت جدي...).

كان تقريباً يحدث نفسه: ( كما ترين ، جدي  
فيليكس ملتزم تماماً بعهوده لمونتاسورو لا

أدري إن كنت تفهمين ذلك ، رغم أنه كان  
في السابعة عشرة فقط ، وكان سيقتل لو بقي  
هناك ، ولكن لم يكن أحد يظن أن سقوط  
الحكم الشيوعي سيستغرق خمسين سنة  
تقريباً. ولأن الحياة كانت سيئة في مونتاسورو  
بالنسبة لأكثر الناس ، قام جدي بما  
يستطيعه.... أرسل معونات ، ساعد  
اللاجئين.... لكن الأمر الأساسي هو أنه كان

ينبغي أن يكون هناك ليشارك شعبه شظف

(العيش).

قطبت فرانسيكا جبينها: ( هكذا إذن؟).

فقال: ( حسناً.... يتصور الآن أن لديه

فرصة لذلك).

فقاطعته: ( أتعني أنه يريد أن يريح ضميره بأن

يمطر شعبه بالهدايا ، ويريد من أبي أن يدفع

له ثمن ذلك؟).



فقطب جبينه: ( الحق معك ، فأنت مثل  
أبيك. هذا بالضبط ما كان سيقوله هيلير).

فرفعت رأسها بكبرياء: ( أنا لا بالخزي  
لذلك).

تشابكت أعينهما ثم قالت: ( علي كل حال  
، هذا صحيح ، فهو سيشتري لك مستشفى  
متنقلاً ، أليس كذلك؟).

نظر إليها طويلاً بثبات ، ثم قال بلطف: ( إنه  
يشتري مستشفى متنقلاً لمونتاسورو).

فهزت كتفيها: ( لا فرق).

فقال: ( أنت مخطئة كثيراً).

قال ذلك برقة تبلغ حد الخطورة ، لكن  
فرانسيسكا تملكها شعور غريب بأنه غاضب  
من نفسه أكثر مما هو غاضب منها ، أو من  
أبيها.

استقام في جلسته ثم قال باقتضاب: ( منذ  
سقوط الحكم الشيوعي حكم مونتاسورو  
حفنة من مهربي الأسلحة ، ومن الانتفاعيين ،

ولا شك أن بإمكان أبيك أن يخبرك بكل  
شيء عن هذا ، والآن ستجرى انتخابات ،  
فيليكس سيترشح للرئاسة ، وهو يريد....).  
فقاطعته: ( حملة للتمويل. أعلم هذا ، فقد  
بدأ أبي يجمع تبرعات شعبية).  
فتنهد ساخطاً: ( ألا تفكرين بشيء آخر غير  
المال؟ إنه يريد التأيد من أبيك).

لم تقل فرانسيسكا شيئاً. لكنها استطاعت أن

تبدو متشككة إلى حد جعله يعقد جبينه

ويقول باختصار

– كان أبوك لاجئاً وفيليكس أيضاً كان لاجئاً

وهما الآن يظنان أن بإمكانهما أن يقوما بشيء

ما للمساعدة. هل من الصعب تصديق

ذلك؟).

ولم يكن لهذا جواب.

بل هناك جواب ، كما فكرت فرانسيسكا  
بتمرد ، لكنها لن تقول إن أبي يريد أن  
يشترى لي زوجاً ذا مركز. وهو يظن أن  
مستشفى متنقلاً لمونتاسورو هو الثمن. كيف  
تقول ذلك؟

وهكذا تمت تقول: ( لا أظن ذلك).  
ثم أخذت تحرك السكر في قهوتها دون حاجة  
لذلك ، قال بمزيد من اللطف: ( أعلم أننا  
بدأنا بخطوة خاطئة).

عند ذلك نظرت إليه: ( بدأنا؟).

فبسط يديه بحركة استسلام: ( لا بأس لقد فعلت ذلك وحدي. لم أكن أحب ما أعرفه عن معاملات أبيك في أعماله. كما أنني لم أحب فيليكس وهو يحاول أن يرغمني علي الزواج أيضاً. لقد قصدت أن أكون لئيماً في حفلة الغداء تلك ، لكنني لم أقصد قط أن أوذي شعورك بهذا الشكل).

جفلت فرانسيسكا في داخلها ، لكنها قالت  
بحيوية: ( أنا لا أحب أن يرغمني أحد علي  
الزواج).

فقال: ( نعم ، يمكنني أن أري ذلك الآن).  
ولم يبد عليه السرور لذلك.

وقالت: ( والآن ، بعد أن اعتذرت ، فقد  
تصافينا إذن. أنت تصفح عني وأنا أصفح  
عنك ، ولم يعد علينا أن نري بعضنا بعضاً  
بعد الآن).

لماذا تشعر بذلك وكأنه نهاية العالم؟ وعادت

تقول بصعوبة: ( يمكننا أن نخبر كبارنا في

السن أن ينسوا كل شيء عن سمسة الزواج

الغبية التي يقومون بها ، ونخبر الصحافة بأن

ذلك انتهى).

فتردد. ورفعت رأسها أشبه بحصان يتشمم

رائحة معركة وسألته: ( ألا يمكننا ذلك؟ أليس

هذا هو سبب اجتماعنا هذا؟).



منحها تلك الابتسامة البطيئة التي لو سمحت

هي بذلك ، لأحالت عظامها إلي ماء ،

وقال : ( ليس بالضبط).

جمدت في مكانها ، وقال هو بحذر : ( أريد

منك أن تقولي أنك ستتزوجيني).

بدت وكأنه أطلق عليها النار ، والواقع أنه ما

كان لخطته الماهرة أن تلاقي ردة الفعل هذه.

لقد ظن أنه استعد لكل شيء ، قد تثور ،

تغضب... قد تضحك علي أي غزل ييدر

منه.

ولكن لم يخطر له قط أنها ستجلس جامدة  
تحديق إليه وكأنها شاشة كومبيوتر ، وبقيت  
كذلك دقيقة كاملة دون أن تطرف عيناها.

ثم قالت: ( هل أنت مجنون؟ ).

أجاب: ( لا . أريد فقط أن أكون عملياً ).

فقالت: ( عملياً! ).

– هناك سببان رئيسيان. الأول ، هو شعور

فيليكس بأن ذلك يمنح حملته لتمويل

الانتخابات دفعة جيدة هو بحاجة إليها.

الثاني ، يخلصنا ذلك من ملاحظات

الصحافة.

فبدا العداء علي وجهها: ( ماذا تعني؟).

فقال بطلاقة: ( كل إنسان يحب العشاق.

فإذا كان أحد العاشقين أميراً ملكياً ، والثاني

ابنة أغني رجل في العالم ، فستكون لنا حكاية  
جن خرافية).

- أبي ليس أغني رجل في العالم.

- سيكون كذلك عندما ينتهي الكتاب من  
كتابة القصة.

وضحك لكنها لم تجد الأمر مضحكاً: ( حتى  
ولو حدث هذا ، ما علاقة ذلك ب...).

ولم تعرف ما تدعو فيليكس به. وكان كونراد يراقبها بإعجاب عميق عندما استقرت علي أن تقول: ( جدك ).

فهز كتفيه: ( هناك علاقة. فمند أن أصبحنا ، أنا وأنت ، نجمين في المجلات المشهورة ، ازداد إيراد حملته التمويلية. ويبدو أن الناس اخذوا أخيراً ينظرون إلي بيانه الذي أشاعه بشكل جدي ، غريب!).

قررت أمرها: ( حسناً ، سأقبل رأيك هذا  
بالنسبة إلي حملة التمويل. فلماذا تساعدني  
خطبتي لك علي أن أتخلص من ملاحقة  
الصحافة؟).

تمهل كونراد لحظات قبل أن يجيب. فهذا  
كان هو السؤال الأهم: ( هل سبق أن  
لاحقك مخبري كتاب الإشاعات في  
الصحف؟).

عضت شفتها: ( نعم. لكنه لم يكن بهذا الشكل قط).

أوما كونراد برأسه: ( أعرف. صدقيني أن القول أن ليس هناك قصة عبث ، فهذا يجعلهم أكثر حماسة ويقظة).

أخذ يراقبها من تحت أجفانه وهي تحاول أن تستوعب معلوماته غير المرغوب فيها هذه... كانت تعض شفتها وهي تفكر وأراد أن يضع

أصبعه علي فمها الورددي ويقول لها أن لا

تفعل هذا لأنه يؤذيها... أراد أن....

عيناها تصبحان قائمتين عندما تأخذ في

التفكير ، أتراهما يعودان إلي لوئهما إذا مال

إليها يعانقها؟ وهل ستبقي عينيها مفتوحتين

أم.....؟

ما لبث أن حدث نفسه بحزم أن يكف عن

ذلك ، فهذا ليس جزءاً من الخطة. وهو



سيعرف تصرفها عندما يعانقها في الوقت

المناسب.

قال بعفوية قدر إمكانه: ( أنظري إلي الأمر

من هذه الناحية ، طالما نحن ننكر الأمر ،

فإن لديهم قصة ، ولكن إذا أحطناهم علماً

بخطوبتنا ، نصبح مجرد خطيين مملين).

عضت شفتها السفلية بحركة لا إرادية.

تنهد في داخله ، لكن الأمر كان مشجعاً.  
حسناً ، ربما مشجع للنساء الأخريات. لكن  
فرانسيسكا هيلير ليست كغيرها من النساء.  
قال: ( ما أقترحه هو أن نعلن خطبتنا في  
حفلة المستشفى الراقصة ، ونتركهم يأخذون  
الصور التي يريدون. ثم ندع كل تلك الجلبة  
تهدم وتموت).

كانت مقطبة بعنف: ( وهل تظن حقاً أنهم  
سيتركونا وشأننا بعد ذلك؟).

لم يكن صادقاً تماماً ، لكن في هذه النقطة  
كان صادقاً تماماً فقال: ( ليس في البداية.  
ولكن في النهاية نعم.... وستأتي قصة أخرى.  
وفي نفس الوقت سيلتقون صور كثيرة جميلة  
لي ولك ولخاتم الخطوبة).

قفزت ونظرت إليه مجفلة. فقال: ( لا تقلقي.  
يمكن أن تعيديه إلي بعد ذلك إذا كان يشعرك  
بعدم الراحة).

هزت رأسها: ( ليس هذا هو الأمر).

سألها: ( ما هو إذن؟).

تصاعد احمرار خفيف إلي وجهها: ( لم  
أخطب قط من قبل ، ويبدو أن الخطبة لأول  
مرة تجلب سوء الحظ إذا كانت حيلة).  
فوجئ تماماً. ومضت لحظة لا يعرف ما يقوله.  
يبدو أنها لم تلاحظ. وقالت بصعوبة: ( منذ  
أسابيع قليلة فقط كنت ساء... حسناً ، هذا  
غير مهما).

لكنه فكر في أن هذا مهم فعلاً ، وأخذ ينظر

إلى أصابعها التي كانت تلوي الملعقة

البلاستيكية. هذا مهم كثيراً ، ولأول مرة

خطر في باله أن يتساءل عن الرجال السابقين

في حياتها.

ولم يعجبه هذا.

وبدا أنها لاحظت فجأة الملعقة ، وكيف أنها

فضحت توترها ، فألقت بها جانباً وكأنها

أحرقتها. ثم رفعت ذقنها بتمرد: ( أنا لست  
ماهرة في العلاقات).

وللمرة الثانية ، لم يجد كونراد ما يقوله.

وتابعت بعد لحظة: ( أنا عادة أقول ما أعنيه  
، أنا لا أقرأ لغة الأجسام ، كما أنني لست  
لبقة في الكلام أبداً).

فابتسم: ( يبدو أنك امرأة ممتازة).

نظرت إليه بنفور: ( أنت تضيع الموضوع وهو  
أنه يجعلني أبدو كذابة فظيعة. لن أعرف أبداً

كيف أظاهر بأني خطيبة فأنا سأنسي علي

(الدوام).

فقال: ( آه... ).

قالت: ( وإذا ألقى علي أي شخص سؤالاً  
محددًا ، مثل ما إذا كنا حددنا موعد الزفاف  
، أو أين سنعيش ، لن أستطيع أن أجيب ).  
نظر كونراد إليها ، كانت متكدره بشكل بالغ  
، وعيناها البنيتان غامضتين بشكل يثير  
الشك ، حتى خلف النظارات ، لقد سبق أن

رأى هاتين العينين غامضتين. لكنه ، أدرك في  
المرّة الماضية أن السبب هو عدم قدرتها علي  
الرؤية بشكل صحيح بلا نظارات ، أما الآن  
، فهو يظن أن وراء ذلك سبباً آخر.

وذهل وهو يري نفسه يمد يده ويضعها علي  
يدها. ثم يقول: ( ما هذا؟ لا تظهرى بهذا  
الشكل. لا أحد سيرغمك علي القيام بشيء  
لا تريدينه).

ابتلعت ريقها: ( آسفة).



فقال: ( لا تأسفي. المفروض فيك أن تقولي

الحقيقة إذا شئت).

ضحكت بجفاء: ( هذا عظيم منك).

قال بشكل لا إرادي: ( ليس لديك فكرة

كم هو عظيم).

شئت هذا ذهنها فنظرت بحذر: ( ماذا؟).

- لا شيء. حدثيني بدلاً من ذلك عن

الرجل الذي تريد أن تخطبي له.

والآن ، لماذا قال ذلك؟ أنه آخر شيء يريد

أن يسمعه ، وشعر بارتياح جنوني عندما

هزت رأسها وقالت: ( أريد أن يخطبني؟ باري

أصبح فعل ماضي. غلطة أخرى من

غلطاتي).

كانت تريد أن تمزح ، لكن كونراد رأى أن

الأمر أكثر من ذلك. وقاوم حافزاً لأن يأخذ

وجهها بين راحتيه مواسياً. وقال: ( أتريدان

أن نتحدثي عن ذلك الأمر؟).

هزت رأسها مرة أخرى ، وبعنف هذه المرة: ( لا . لقد تعلمت درساً . ووضعت خطأً تحته ثم انتقلت إلي الأمام ، هذه هي فلسفتي).  
لكن كلماتها الشجاعة تتناقض مع ما بدا في عينيها من كرامة مجروحة.

فقال: ( إذن ، فقد أصبح ذلك تاريخاً ، وأنت مستعدة للانتقال إلي الأمام).  
ابتلعت ريقها مرة أخرى: ( نعم).

– إذا كنت واثقة...

– بكل تأكيد. لم يعد اسم باري دي لا توش في قائمة بطاقات عيد الميلاد الدائمة عندي.

لاحظ الاسم ، وبدلاً من ذلك منحها

ابتسامة طويلة بطيئة فيها دعوة لها لتنضم إليه

في المكر.

وقال: ( أظن أن لدي حلاً).

قالت مجفلة: ( وما هو؟).

قال: ( انسي كل هذا الهراء عن التظاهر بأننا

مخطوبان والحكايات للصحافة. إننا الاثنين ،

راشدان ، ونحن الاثني عازبان ، ولسنا  
مرتبطين. فلنجعل الأمر حقيقة إذن).

نهاية الفصل الخامس

## الفصل السادس : قفاز التحدي

قالت فرانسيسكا: ( أنت مجنون).

استمرت في هذا القول إلي أن ذهب إلي إلقاء

محاضرة علمية في متحف علم طبقات

الأرض.

بعد أسبوع من الاتصالات التلفونية كل  
مساء قالت له ساخطة: ( ألا تتخلى عما

تريد أبداً؟).

فقال: ( وأنت؟).

فقالت: ( غالباً لا).

– هذا شيء آخر نتشابه به إذن.

فسأله ببرودة: ( وما هو الشيء الأول؟ يبدو

أنني نسيت ذلك).

ضحك بهدوء: ( القدرة علي تمييز التحدي).

لم تكن تثق به رغم طوله الفارع ، وظرفه  
وثقته بسحره. وقد نجح ظرفه هذا ، تبا له ،  
إذ جعلها تضحك في كل مرة.

بدلت فرانسيسكا جهدها لكي تمحو ابتسامة  
الغطرسة تلك عن شفثيه ، محدثة نفسها بأن  
ولي العهد كونراد هو رجل متكبر وانتهازي.  
كان يظنها عديمة الجمال قارصة اللسان إلي  
أن رأي مناسباً أن يتزوجها.



قالت بهزل خفي: ( آه ، أنا أميز التحدي  
فعلاً).

كان كونراد سريعاً كالقط ، حتى وهو في  
الناحية الأخرى من التلفون ، قال: ( يبدو  
أن هناك مؤامرة ، هل يمكنني المساعدة؟).  
أطلقت ضحكة سرعان ما كبحتها. فقال: (   
آه ، ما زلت متهماً ، لقد سبق لي أن علقت  
علي عدم تسامحك هذا من قبل).

نقلت المعركة إلي ساحتها: ( أتلومني؟ لقد  
كنت سافلاً طوال حفلة الغداء الفظيعة  
تلك).

فقال: ( أنت نفسك كنت حادة الطبع. علي  
الأقل أنا اعتذرت).

قالت بغموض: ( الكلمات رخيصة).

– آه.... تريدان أعمالاً أليس كذلك؟

كلفيني بمهمة.... فإذا أكملتها تتزوجيني.

موافقة؟

فقلت: ( آه... كبر عقلك).

ثم وضعت السماعة بعنف. ولكن عندما  
اتصل بها في الليلة التالية ، كانت قد دونت  
مسبقاً قائمة متطلباتها.

قالت: ( حسناً ، قبل كل شيء عليك أن  
تكون حسن الخلق مع أبي. أعني يشكل  
حقيقي ، لا أن تنظر إليه باحتقار وتأخذ في  
اللغو والتلميح إلي سياراته "الفيرواري").

قال متدمراً: ( أنت تضعين شروطاً صعبة.

سأحاول. ماذا بعد؟).

قالت: ( أعترف بأنك استغللت لقبك

الملكي لكي تنشر كتابك اللعين ذاك).

ساد صمت قصير قال بعده ببرودة ثلجية: (

لم أفهم؟).

- ذلك الشيء عن البركان مع الصور.

- أقترح عليك أن تقرئي الكتاب أولاً ، ثم

تسأليني ذلك مرة أخرى ، إذا جرؤت.

وكان دوره في خبط السماعه.

وهكذا وجدتها جاز في الصباح التالي تتسلل

خفية إلى ناحية العلوم المبسطة في المكتبة.

فقلت لها: ( إذا كنت تبحثين عن كتاب

الأمير الساحر ، فهو تحت الطلب. لأننا بعنا

كل ما عندنا).

أجفلت فرانسيسكا شاعرة بالذنب: ( لا لا.

كنت فقط مهتمة بما هو رائع حالياً).

واختطفت مجموعة من مواد القراءة واتجهت

بها إلى صندوق النقود.

قالت جاز ضاحكة: ( أراهن علي أنك

كذلك).

ثم عادت تقول: ( سأعيرك كتابي شرط أن لا

تبعيه بصمات أصابع شوكولا أو تمزقي

أطرافه. أنا قلقة علي الكتاب لأنك تعرفين

الرجل).

اعترضت فرانسيسكا علي ذلك لكنها مع ذلك قبلت العرض قائلة بغطرسة: ( من غير المحتمل أن أبكي لكتاب عن الزلازل).  
لكنها كانت مخطئة. لأن كونراد نقل معظمه عن يوميات رحلته. سرده الواقعي للحقائق والصور الفوتوغرافية المروعة جعل قلب فرانسيسكا يثب إلي حلقها.

وعندما اتصل بها تلك الليلة قالت له علي  
الفور: ( آسفة ما كان لي أن أقول ذلك عن  
الكتاب. إنه غير عاديا).

فقال بسرور صادق: ( شكراً. رغم أنني  
أعترف أن الناشر سر لأنني ولي عهد ، أنا  
فقط من يظن أن لا صلة للأمر بذلك).

تابع: ( والآن ، هل تتزوجيني؟).

أجابت: ( لا

فتنهد: ( ماذا علي أن أفعل غير هذا؟).



ضحكت دون أن يراها ، عليه ثانياً أن  
يتخلي عن رأيه في أنها عديمة الجمال قارصة  
اللسان. لكن سيأخذ وقتاً وجهداً من  
ناحيتها.

ما الذي يجعلها تشعر بنفسها عجينة بين يديه  
، كما كانت مع باري؟ وشعرت بالمدلة ، أية  
حمقاء يظنوها؟ وهجرتها كل رغبة في  
الضحك.

قال: ( فرانسيسكا.. أما زلت هناك؟).

انتبهت قائلة: ( نعم. أنا هنا).

فقال باهتمام: ( ما بك؟).

أجابت بعنف مختلقة عذراً: ( لا شيء. لقد

أوقعت لتوي كتاباً عن المنضدة).

لكنها أسرعت تغير الموضوع ، وبقيت تغير  
الموضوع في كل مرة يتجه الحديث إلي منحى

عاطفي ، صميم... حدثته عن وظائفها

العديدة التي زاولتها ، وعن والديها المتقلبين

، عن السرور الذي تجده في مكتبها الباز ،  
لكنها لم تخبره عن باري ، وهو لم يسألها أيضاً .  
حدثها ما معنى أن يكون خبيراً بالزلازل : ( )  
علي أن أكون بجانب الكمبيوتر معظم الوقت  
، ولا أخرج من المكتب إلا في أحيان قليلة .  
كان أبي يقول دوماً إن هذا لا مناص منه .  
مع أنها لا تفهم الناس جيداً ، إلا أنها واثقة  
من أنه كان يجب أباه كثيراً ، كان والداه قد  
غرقا في حادث غرق مركب عندما كان

كونراد في العشرين من عمره. لم يكن يتطرق  
إلي هذا الموضوع البتة ، وكانت فرانسيسكا  
أكثر خجلاً من أن تسأله. فالواضح أن ذلك  
يؤلمه ، وكانت هي ، كما تظن ، تفتقر إلى  
اللباقة في التعامل مع مشاعر الناس.

لم يلبث أن اتصل أبوها وقال إن كونراد دعاه  
للذهاب معه إلى كمبريدج. وأخذه في جولة  
سارة جداً في المدينة انتهت بعشاء في إحدى  
الكلبات ضيوفاً علي صديق لكونراد.

وقال: ( يا لهم من أناس ممتعين وأذكياء! لقد

دعوني للذهاب معهم إلي مسابقة في

الشطرنج).

قال أبوها هذا مسروراً: ( وأنت مدعوة أيضاً

، لقد طلب مني أن أدعوك بشكل خاص).

رأت فرانسيسكا أن هذا الشرط من شروطها

قد أنجزه كونراد ، وخفق قلبها ، هل من

الممكن أن ترى كونراد علي عتبة الباب وقد

أنجز كل شروطها؟ طالباً منها إتمام الخطوبة؟

وخطوبة حقيقية؟

لم يفعل هذا ، لكنه عرض عليها أن يحيي

أمسية في مكتبتها يحاضر فيها عن كتابه.

وعندما جاء ، أوضح بأن هذه خدمة خاصة

لفرانسيسكا. كانت هي المحاضرة الوحيدة في

سبيل دعم كتابه "رماد تذرّوه الرياح" ، وقد

أخبر كل شخص بذلك.

جذبت المحاضرة مجموعة ضخمة من الناس ،  
وقام عدة مصورين بالتقاط صور لكونراد  
وذراعه حول فرانسيسكا. وكانت هناك صورة  
له بشكل خاص وهو يتسم لها من فوق  
رؤوس المعجبين الذين كانوا يطلبون توقيعه  
علي دفاتر "الأوتوغراف".

رأت فرانسيسكا ذلك فتملكها الشك ، ما  
الفائدة من أن تخبر نفسها بأنهما ليسا علي

علاقة حميمة ، بينما هناك صور كهذه في كل

المجلات الشعبية؟

أرسل إلي المكتبة أزهاراً في اليوم التالي لتلك

المحاضرة ومعها بطاقة تقول ( تقبلي بعض

الأزهار التي لن تضطري إلي رفضها...

ويمكننا أن نتحدث عن البقية..).

قالت عندما رأت نظرة جاز الساخرة: (

فرحة سخيفة).



ومع ذلك أخذت الورود معها إلى البيت.  
وهي تضمها مثل دمية عيد الميلاد بيد طفلة  
، محاولة أن تكبح جماح حافز يدفعها إلى  
القفز.

ومع ذلك ، ذهلت عندما ظهر علي عتبتها  
تلك الليلة. لكنها ما لبثت أخذت تعنف  
نفسها. أي امرأة طبيعية تري هذا الأمر قادماً  
بطبيعة الحال.

وكانت فرانسيسكا بعيدة عن رؤية ذلك

الأمر قادماً.

لم يكن هناك تحذير من مكتب حارس المبنى ،

ولا صوت أزيز التلفون الداخلي من الخارج

بل كان مجرد ضغط علي الجرس في الممر.

فتحت فرانسيسكا باب الشقة. متوقعة أن

تجد الطارق أحد موظفي الصيانة. كان

مظهرها أشعث إلي أقصى حد ، وشعرها

البنّي مرفوعاً علي شكل ذيل حصان ،

ووجهها قدراً متوهجاً من أثر تنظيف البيت.  
وكانت أيضاً حافية تمسك بمكنسة ، ويداها  
في قفازات مطاطية.

كان ذلك بعيداً عن تلك الأزياء الباريسية أو  
الثياب الأنيقة التي رآها فيها من قبل....  
وبعيداً جداً أيضاً عما تعهدت به لنفسها فقد  
تعهدت لنفسها أن تفعل ما بوسعها ليراها  
جميلة رائعة ، رائعة إلي حد يعصف به ويجعله  
يندم علي أنه دعاها يوماً بعديمة الجمال ،

كانت صممت علي ذلك ، لكنها لم تعرف  
كيف تنفذه.

حمد كونراد مكانه لمظهرها هذا ، وارتفع  
حاجباه بذهول ساخر.

وصرخت فرانسيسكا نائحة: ( آه ، لا).

حاولت أن تخفي المكنسة والقفازات المطاطية  
وقدميها الحافيتين ، بحركة بهلوانية ملتوية.  
ففشلت وتقدم منها يأخذ المكنسة من يدها

ويضعها بعيداً ، وهو يقول باستسلام: ( ها

قد ذهبت افتتاحيتي).

أجفلت إلي حد توقفت معه جذب قفازيها

المطاطيين بعجز ، وقالت ذاهلة: ( ماذا؟).

فقال: ( كنت جاهزاً للقول ، أرجو أن لا

يكون وقتاً غير مناسب).

انفجرت ضاحكة وقد تملكها الارتياح وهي

تري نفسها عادت إلي طبيعتها.

كان يبدو بالغ الروعة وكانت عيناه  
تضحكان. واكتشفت أنهما خضراوان  
براقتان. كيف ظنت من قبل أنهما بنيتان؟  
قال: ( هل هذا تنظيف فصل الربيع الذي  
تحدث عنه الإشاعات؟).

– حسناً ، لا بد من التخلص من الفوضى  
بين الوقت والآخر.

كانت تثرثر ، وكانت تعلم أنها تثرثر ، ولكن  
كان هناك شيء ما في نظرات هاتين العينين  
الغريبتين الهازلتين هزها.

قالت فرانسيسكا ببشاشة مصطنعة وهي ما  
تزال تشد قفازيها دون جدوى: ( يقال أبدأ  
بإزالة الفوضى من بيتك.. وهكذا فكرت  
أنا..... لماذا لا؟.... آه ، ماذا تفعل؟).

كان قد أمسك بمعصمها ، فتسارع نبضها  
علي الفور ، وابتسم لها محققاً في عينيها ،  
فتملكها الدوار مما رآته في عينيه .

قال متهاكماً بلطف: ( أنتزع قفازيك ما داما  
يزعجانك كما يبدو).

نزع القفازين الفظيعين بسهولة ، ولكن ببطء  
جعل ضغط دمها يرتفع .

وسحبت يديها قائلة: ( شكراً).

فالتمعت عيناه الخضراوان: ( بكل سرور).



وأخذت تفكر أنها ليست في السادسة عشرة  
، وليست خيالية ، ولن تسمح لوجهها بأن  
يحمّر خجلاً.

قالت دون لباقة: ( حسناً ، ما دمت هنا ،  
فالأفضل أن تدخل).

ثم أغلقت الباب خلفه: ( أتريد شراباً.  
ليمونادة؟ كوكتيل؟).

قال بعفوية: ( لا بأس بكوكتيل الفاكهة).

وتبعها إلى المطبخ حيث أخذت تتفقد ما  
لديها من فاكهة.

قال عندما سكبت كوبين من الفاكهة: ( كنت أرجو أن أقنعك بالخروج معي للعشاء ،  
هل هناك فرصة لذلك؟).

ولم تكن هناك فرصة بالطبع ، فقد كان  
شعرها قدراً وأصابها سوداء.

– لماذا؟

كان الرجاء والشك في لهجتها تلك.

قال برباطة جأش: ( لأنني أريد أن تؤخذ لنا صورة أخرى وأنا أقنعك بأن تتزوجيني).

شهمت فرانسيسكا وهي ترشف الكوكتيل وتلا ذلك لحظات سيئة أخذت تكح فيها. أخذ يربت علي ظهرها. وعندما فشل هذا ، أحضر ماء في فنجان.

حاول أن يظهر العطف ولكن ضحكه أضعف ذلك. سعلت فرانسيسكا وسعلت حتى دمعت عيناها ، وقررت أنها تكرهه ،

وكانت واثقة من أنها لن تتوجه أبداً أبداً.  
وعندما استطاعت أخيراً أن تتكلم ، قالت : ( لا بأس قبلت دعوتك).

لكن قولها هذا كان أقرب إلي قول "لا" أكثر  
من أي قول آخر.

قالت نعم للخروج للعشاء رغم أن معدتها  
كانت ترفض أي طعام. حتى أنها أخذت  
"دوش" سريعاً رغم حاجتها إلي حمام ساخن

طويل ، وكان بإمكانها ذلك علي الأقل لولا شعورها البالغ بوجوده في الشقة.

وحدثت الوجه المتوهج في مرآة الحمام بأنه الآن يجوس بلا شك رفوف الكتب يحلل المواد التي تقرأها. ولكن عندما خرجت ، وشعرها ما زال مبتلاً ، لم يكن ما سأها عنه ذوقها في القراءة وإنما ربطة العنق الرجالية التي كان يرفعها بيده. لم يكن مبتسماً. وفجأة ، عاد لون عينيه عسلياً مرة أخرى.

قال: ( ظننتك قلت أنه أصبح فعل

ماضي؟).

اختطفت فرانسيسكا ربطة العنق من يده: ( ولكنني لم أقل قط أنني ربة منزل لائقة أيضاً ،

أين وجدتها؟).

فأجاب: ( خلف وسادة علي الأريكة).

فقالت: ( آه....).

فقد تذكرت كل شيء بوضوح الآن ، ليلة طلب منها باري الزواج به.. نزع ربطة عنقه

لأنها تضايقه... وعندما رحل بعد ذلك

بساعة نسي أن يأخذ معه ربطة عنقه.

سارت إلى المطبخ ودست ربطة العنق في

القمامة ، ثم استدارت. كان كونراد واقفاً عند

العتبة ينظر إليها برزانة. وقفت متمالكة

شجاعته وكأنها تواجه فرقة الإطفاء ورفعت

رأسها بتحد: ( حسناً؟ ).

فسألها: ( هل آملك؟ ).

فهزت كتفيها: ( ليس بشكل دائم ).

فقال بانزعاج: ( أما زلت تحببته؟ ).

كان أكثر انزعاجاً مما كانت تظن فسألته: (

وبماذا يهتك الأمر؟ ).

فقال: ( طبعاً يهمني. إذا كان قلبك محطماً

من أجل باري دي لا توش ، فهذا سيسبب

تعقيداً في الأمور ).

تعقيداً في الأمور؟ هل هذا كل شيء؟ ولكن

من الأفضل أن تعرف مسبقاً أسباب عرضه

الزواج عليها ، كيلا تعود فتتألم مرة أخرى .



فقلت: ( قلبي ليس محطماً).

جاء كونراد إلي المطبخ وأمسك بذقنها  
بأصابعه ورفع وجهها إليه متفحصاً: ( هل  
أنت واثقة؟).

فقلت بحدة: ( كل الثقة.... فأنا لست بطلة  
رومانتيكية وقلبي لم يتحطم ، لقد تألم قليلاً  
إنما ليس بقدر ما تألمت كرامتي).

ضحك لذلك ، لكنها بقيت تفاجئه وهو  
ينظر إليها باهتمام أثناء خروجها من الشقة

للعشاء ، وبقيت عيناه عسليتين قائمتين طوال  
الأمسية.

لا يعني هذا أنه لم يكن مرافقاً ساحراً ، لقد  
أخذها إلي مطعم فخم هادئ ، وأغدق عليها  
الأطعمة الشهية. وابتسمت لحكاياته عن  
نشأته الغريبة ، وعندما أخذ يصف تلاميذ  
صباح السبت العفاريث عنده ، أخذت  
تضحك بصوت عالٍ.

سألته: ( وما الذي يجعل الشخص أن يعلم  
أطفالاً صغاراً عن الزلازل؟).

فهرز رأسه: ( ليس الزلازل ، وإنما لغة  
مونتاسورو ، تراثنا الثقافي).

فقالت ذاهلة: ( يا إلهي! لم أعلم أن هناك  
مكاناً لتعليمها).

فقال: ( حسناً ، صباح كل سبت ، تتحول  
كنيسة سانت كاترين إلى قاعدة لمونتاسورو  
لمدة ثلاث ساعات).

فقلت: ( هذا عظيم ، ولماذا يهتم الناس؟ ).

ساد صمت قصير ثم قال بهدوء:

– اللاجئون ينقدون من تراثهم قدر ما

يستطيعون.

شعرت بتعنيف لنفسها ، وخفضت بصرها.

شعرت بأن عليها أن تعتذر ولم تعرف كيف ،

ولهذا لم تقل شيئاً ، وشعرت بكرهية لنفسها.

قال كونراد بصوت متزن: ( ستجدين أن

معظم المهاجرين يقومون بذلك. بعضهم ،

كجدي ، يأملون العودة ذات يوم ، والبعض الآخر يريدون فقط من أولادهم أن يحسنوا التحادث بلغة أجدادهم).

جاهدت للتفكير في شيء طبيعي تقوله: ( هل هذا هو السبب في تعليمك إياهم هذه اللغة؟).

– ليس هذا خيارى. فقد ورثت هذا الالتزام.

لم تستطع أن تفهم من لهجته ما إن إذا تقبل  
هذا بسرور أو باستياء. المرأة العادية  
الحساسة تفهم هذا عادة ، كما تظن.  
كان عليها أن ترفض نفسها ، أو تبكي ، أو  
تصرخ ، ولكن بدلاً من ذلك فعلت ما تفعله  
دوماً عندما تواجهها عدم كفاءتها ، فقد  
غيرت الموضوع.  
سألته: ( هل هي سهلة؟ أعني اللغة).

دهش إلي حد الضحك: ( المونتاسورية؟

بصراحة ، هي شيء من ديناصور ، ما دمت

تسألين. وديناصور هجين خمسون بالمئة منه

سُ لافي ، وأربعون بالمئة لاتيني).

– والعشرة بالمئة الباقية؟

فطوي فمه بمكر: ( رجل كهف خالص).

وسرعان ما توقفت عن كراهيتها لنفسها ،

نظرت إلي العينين اللامعتين وفكرت في أن

هذا الرجل جذاب بشكل خطير. ومن

الممكن أن أغرق في حبه.

ولكنني فعلاً غارقة في حبه الآن.

قالت بصوت مرتفع: ( لغة رجل الكهف؟ ).

- ربما في هذا بعض المبالغة ، لكن الجبال

بقيت مسكونة زمنياً طويلاً ، حتى أنه قيل أن

صوراً كانت هناك علي جدران الكهوف ،

لكنها ضاعت الآن. ليس لديك فكرة عن

مقدار التقاليد المتوارثة التي محاها الحكم



الشيوعي ، خصوصاً في سنواته الأولى. أرادوا  
أن يحددوا كل السواحل ويجعلوها عصرية ،  
يقول جدي إن ذلك كلفهم روح الجبال.  
أجفلت فرانسيسكا من هذه الجملة المأساوية  
وهتفت: ( روح الجبال؟ آه ، أرجوك).  
فتهد: ( أعلم هذا. وأنا لا يمكنني أن أتصور  
ذلك لكنه يعتقد ذلك حقاً ، والواقع أن  
الناس يريدونه).

توقف عن الكلام رغم أنه كان بإمكانه أن  
يستمر وبقي السؤال الذي لم يطرح معلقاً في  
الهواء.

بقي لها لتتلق به ، فقالت ساخرة: ( وتريد  
مني أن آتي للمساعدة؟).

مال إلي الأمام وقد بدت عليه لهفة المفاجئة:  
( هذه هي القصة ، سنعد خطبة حقيقية ،  
كما قلت. لا إدعاء فيها... سنأخذ الأمور  
كما تجيء).

وفكرت بشكل لا إرادي لو أن... صدمت  
لعنف ذلك ، ولم يلاحظ كونراد وهو يقول : ( )  
نذهب إلى حفلة المستشفى الراقصة. نعلن  
خطبتنا ، ثم نتابع حياتنا. لديك عمل ،  
ولدي عمل. أنا أسافر كثيراً وسأذهب إلى  
مونتاسورو لمدة شهر هذا الصيف حيث آخذ  
أول مستشفى متنقل إلى الجبال. ولكن عندما  
أكون في إنجلترا ، فسأخرج معاً كأي خطيبين  
عادين).

حدقت فرانسيسكا فيه غير مصدقة: ( كأي

خطيبين عاديين؟ ومن تراك تخدع؟ نحن غير

عاديين ، ونحن لسنا خطيبين).

لم يؤثر فيه كلامها بشئ: ( يمكننا أن نكون

كذلك ، ثم ليس هناك أي شخص عادي ،

إذا فكرت في ذلك).

فقلت ساخرة: ( يا لك من ماهر).

تقبل ذلك وكأنه مديح منها: ( كل ما عليك

أن تفعله هو القدوم معي إلي المناسبات

الرسمية. وسأدعك تأخذين مواعيد وبعض

الملاحظات قبل الوقت).

تمت فرانسيسكا: ( هذا عظيم! حفلات

مع بعض الملاحظات المختصرة. هل أنت

واثق من أن هذا فقط ما علي عمله؟).

- يعود الأمر لك في أي شيء آخر...

لم تشأ أن تتداول معه حول هذا الموضوع ،

فرفعت ذقنها متحدية وسألته: ( مثل ماذا؟).

تردد ، ثم ارتسمت علي شفثيه ابتسامه  
غريبه: ( حسناً ، أن تدعيني أخطب ودك ،  
طبعاً).

فكادت تقفز عن كرسيها: ( ماذا؟).

تلاشت ابتسامته وخفض بصره وعندما رفعه  
بدا السأم في عينيه: ( أنت التي قلت إنك لا  
تريدين خطبة زائفة).

فقال متلعثمة: ( لم أكن أعني أنني أريدك  
أن... أعني ليس عليك أن... حسناً ،  
الفكرة كلها غير عقلانية).

فقال: ( لا ، هي ليست كذلك ، يمكننا أن  
نتخذ خطبة زائفة ، أو أن أخطب ودك ،  
ليس هناك طريق وسط).

فقال بجدّة: ( يمكنني أن أنسى كل شيء  
وأعود إلي بيتي).

كانت مستاءة للغاية ، لا تدري لماذا.

رفع بصره: ( أيمكنك ذلك؟ ).

فكرت في صف اللغات صباح يوم السبت ،  
وفي الجرد فيليكس الذي يحاول أن يعوض عن  
هربه من بلاده منذ ستين سنة ، وفي رسوم  
الكهوف الضائعة. وفوق كل شيء ، في  
القرى الجبلية حيث لا عناية طبية وفي الرجل  
الذي سيسافر إليهم ليأخذ لهم المستشفى  
المتنقل. وقالت بشيء من الغضب والقنوط:  
( لا لا . لا أستطيع ذلك. أظن أن علي أن



أقوم بما يتوجب علي. فأنا نصف مونتاسورية  
علي كل حال).

ساد صمت قصير ، وتملكها شعور غريب  
بأنه يشعر بخيبة الأمل.

لكنه قال بنعومة: ( إذن فقد اتفقنا).

أدركت أنها لا بد أخطأت مرة أخرى!

مشي معها إلي شقتها. كانت السماء صحواً  
والليل منعشاً والشوارع خالية تقريباً. أمسك  
بيدها فقفزت وكبحت غريزتها في أن تنزعها

من يده... شعرت أنها حمقاء وأنها تحمر من

منابت شعرها إلى أخص قدميها.

حدثت نفسها بعنف بأن تتماسك ، وحمدت

الله لأن أنوار مصابيح الشارع تسلب كل لون

منهما هما الاثنيين. فهو ، علي الأقل ، لن

يري لونها القرمزي من الخجل. لكنه يمكنه أن

يشعر بتوترها ، فلا شيء يخفي ذلك.

قال لها هازلأً ، إنما بشيء من التوتر: ( لا تخافي... فأنا لم أقفز علي امرأة في الشارع حتى عندما كنت مراهقاً).

قالت: ( لست خائفة).

كان هذا شركا... وكادت تصدق ذلك.

لقد حاولت ذلك حقاً ، طلبت منه الدخول لتناول القهوة ، دعتة إلي المطبخ وثرثرت معه وكأنها تعرفه طوال حياتها. أخذت القهوة إلي غرفة الجلوس وتكورت علي الأريكة بعد أن

رفست حذاءيها من قدميها ، وكأنتهما علي

علاقة حميمة. لكنها لم تنظر في عينيه ،

وبقيت بعيدة عنه مسافة.

عند ذلك وقف كونراد يتحدث ، وضع كوب

القهوة من يده ثم تقدم نحوها إلي الأريكة: (

فرانسيسكا).

كانت تتحدث عن جاز ومخططاتها. فسكتت

تقول: ( نعم؟ ).

وبلطف بالغ انحنى وأنزل ساقها علي الأرض

ثم جلس علي الأريكة بجانبها: ( علينا أن

نبدأ في مكان ما).

بدا هادئاً بشكل فظيع. وقالت: ( أظن

ذلك).

مد ذراعه علي مسند الأريكة خلفها: ( هل

أنت واثقة من أن قلبك لم يتحطم؟).

حسناً ، بإمكانها علي الأقل أن تجيب عن

هذا السؤال بصدق. فقالت: ( كل الثقة).

- وليس لديك علاقة أخرى يجب أن

أعرفها؟

- لا..... لا.

نظر إليها متفحصاً: ( هل تعرضت لصدمة

أثناء المراهقة سببت لك عقدة نفسية؟).

ابتلعت ريقها: ( لا).

فابتسم. كان بالقرب منها بحيث شعرت به

يبتسم داخل رأسها ، وتابع يقول: ( ولا

خوف نفسياني من خبراء الزلازل؟ لا ينبغي أن تخافي. أنت تعلمين أننا لا نتسبب بزلازلنا).

أجفلت لكلامه إلي حد أنها أخذت تضحك ، تضحك من قلبها دون خجل أو كبت . تضحك عاليا . وكان هذا مهارة بالغة منه ، لأنها كانت تضحك عندما عانقها....

نعم ، مهارة بالغة ، لكنه علي كل حال ، ذو خبرة بالغة. حتى فرانسيسكا ، التي كادت

مشاعرها تعميها عن كل شيء ، أدركت  
ذلك.

كان ذلك في الطريقة التي أخذها فيها بين  
ذراعيه بحزم ولكن دون إرغام ، وفي الطريقة  
التي أمال بها رأسها ، وبهذا رفع وجهها ولكن  
دون ضغط علي عنقها. وفوق كل شيء ،  
كان في الطريقة التي أخذها فيها بين ذراعيه ،  
ما يجعلها تشعر وكأنهما اعتادا القيام بذلك  
منذ الأزل.



والتفتت إليه وكأنها زهرة دوّار الشمس عند  
الفجر ، كان عناقاً رقيقاً ، وكأنهما يقومان  
بلعبة يعرفان قواعدهما ، لكن ذلك الجزء من  
فرانسيسكا الذي كان قادراً علي التفكير ،  
فكر في أنها لا تلعب ، لأن معظم كيانها كان  
يتجاوب مع شيء هو أكثر عمقاً مما تصورت  
يوماً.

تمم يسألها: ( لماذا تضعين نظارات دوماً؟  
العدسات اللاصقة... أحسن).

كان قلبها مسروراً وكأنها أصبحت فجأة  
شهرزاد أو مدام دي بومبادور ، وقالت  
بصعوبة: ( شكل عيني... ).  
همس يقاطعها: ( عينان رائعتان ، بلون  
حلوى التوفي ).  
فشهقت : ( لا أستطيع... ).  
قال مشجعاً: ( ما الذي لا تستطيعينه يا  
فرانسييسكا الرائعة الجمال؟ ).

فقلت: ( لا أستطيع... لا أستطيع أن أضع

عدسات ، ماذا تفعل؟).

وتأوهت. ولم يحاول أن يجيب بل ضحك بركة

ونزع عن وجهها نظاراتها.

تخلت حتى عن المقاومة ، وطوقت عنقه

بذراعيها ثم سلمت نفسها للأحاسيس.

ولكنها ما لبثت أن قفزت مصدومة.....

انفتحت عيناها علي اتساعهما.... واسعتين

قصيرتي النظر ، كان بالغ القرب منها ، حتى

لم تستطع استجلاء ملامحه ، وشعرت فجأة  
بالضعف وبالبرودة أيضاً.

جاهدت لتبتعد ، وتتحسس نظاراتها ، ولم  
يدعها تذهب تماماً.

سألها: ( ما هذا؟).

– لا أستطيع أن أراك.

ووضعت نظاراتها علي عينيها ، وإذا بها تراه  
يبتسم ، وكانت ابتسامة انتصار.

قال: ( ضميني إذن).

ضمته فشعرت بدقات قلبه بطيئة منتظمة.

هل هو انتصار؟

ابتعدت عنه وكأن قربه منها أحرقتها بحرارته ،

وقالت بذعر: ( ما الذي أفعله؟).

ونظرت إلي كونراد ببطء ، لكنه لم ير هذه

النظرة وهو يقول ببطء: ( أتبعي قلبك

فقط).

جاهدت للابتعاد عنه: ( أرجوك. هذه...

ليست طبيعتي. أنا لا... ).

لكن فمه الهازل توتر ، ولم يعد هناك هزل ،  
إنما عزيمة عنيدة فقط.

أخذ يعانقها بعنف وأطلقت صرخة صغيرة.

صدمة؟ احتجاج؟

وهمس: ( أخبريني بما تريدن).

جعلتها كلماته تستيقظ بعنف من تصوراتها.

وعادت إلى الواقع بارتطام بدد كل شيء ،

وبشبه صرخة ، هتفت به:

( كفي).

أجفل مثلها ، ورفع رأسه: ( ماذا حدث؟

ماذا فعلت لك؟).

أخذت تضربه علي صدره بيدين بمثل ضعف

فراشة الضوء: ( لم أفكر قط... لم اقصد

قط... أنا لست بهذا الشكل... آه ، دعني

أذهب).

تراجع وكأنها طعنته. ثم قفز واقفاً: ( ماذا

حدث؟).

أدارت رأسها بعيداً عنه: ( أرفض أن أكون  
ألعوبة أحد).

لم يكن قولها هذا قريباً من الحقيقة. لكنه  
يصلح لحالتها الآن ، وساد صمت مؤلم. ثم  
سمعت صوتاً خفيفاً ، فأدركت أنه يهمهم  
بالانصراف.

– تريدني مني أن أذهب إذن؟



شعرت بفكها ينبض توتراً. فالتفت  
إليه..... آه ،بدا لها مجروح الكرامة للغاية!  
وصرخ قلبها بألم...لا.  
لكن فمها قال: ( نعم)  
ثم انغلق بحدة كفخ الجرذان.

تراجع خطوة. ولكن قبل أن يذهب نظر  
إليها طويلاً ورأت نفسها في عينيه مكومة

علي الأريكة وعيناها ذاهلتان غير مركبتين

رغم أن نظاراتها موجودة.

وقالت بذعر حقيقي: ( آه ، رباه).

وأجفل كونراد ، ثم خرج دون كلمة.

نهاية الفصل السادس

## الفصل السابع : تبكي أيضاً... وأيضاً

لكنهما اتفقا علي الخطة فربطها بذلك ،  
وكانت هي من الكبرياء بحيث لم تتراجع.  
وحدثت نفسها بأن بإمكانها التصرف في هذا  
الأمر. رغم إنها ، ليلة الحفلة الراقصة ،  
وقفت أمام مرآة حمامها وارتجفت.  
رأت نفسها غريبة ، كل شيء فيها كان  
جديداً ، ثوب مثير جديد ضيق التفصيل من

الساتان. طراز شعر جديد أكثر جرأة مما  
اعتادت عليه ، قرطان جديدان من الياقوت  
هدية من أبيها ، زينة وجه جديدة عمل عليها  
العاملون في أهم دار للتجميل في لندن ،  
هدية من أمها.

حتى عطرها كان جديداً ومثيراً للغاية فأصابها  
بالدوار. وهي لن تستعمله إلا في تلك  
المناسبة ، وهو أيضاً كان هدية من الملكة  
السابقة انجليكا.

لم يظهر علي جدة كونراد سوى التهذيب منذ  
أخبراها معاً بخبرهما لكنها استمرت تبدو  
متشككة حتى عندما أمسك كونراد بيد  
فرانسيسكا.

كل شخص آخر ظن أنه يحبها كثيراً إلا  
فرانسيسكا. وفرانسيسكا الآن لم تكن واثقة  
من أن ذلك العطر القوي ما هو إلا ازدراء  
غامض ، فهو مصمم لأجل امرأة غامضة

واثقة من ميولها ، وليس لبائعة كتب تافهة  
متعلقة بأمير فاتن صعب المنال .  
ولكنه لم يكن صعب المنال إذ يمكنها  
الحصول عليه علي طبق ، وقد أخبرها  
بذلك . ولكن فقط لأن لديها أباً ثرياً ، فهو  
لم يقع في غرامها من أول نظرة . وهي لن  
تستطيع أن تحصل علي قلبه .

هذا ما كانت تريده ، والأسابيع بين تلك  
الليلة في شقتها والحفلة الراقصة أوضحت

ذلك. كانت متلهفة إلي قلب كونراد كما لم  
تتلهف إلي شيء آخر في حياتها.  
لا انتهاء معارك والديها ، ولا البقاء في  
المدرسة أكثر من سنة في كل مرة ، ولا أن  
يكون لديها أب غير محترم... لا شيء من  
هذه الرغبات تماثل عنف رغبتها في أن يحبها  
كونراد ذات يوم. كانت أحياناً تحلم بذلك ،  
فتستيقظ مليئة بالحب والثقة... وعند ذلك  
تنظر إلي صورتها في المرآة... آه... نعم....

عديمة الجمال قارصة اللسان... كوني واقعية!  
وها هي ذي واقفة أمام المرأة بثوب متألّق ،  
وشفتين متألقتين وأظافر متألقة وفي إذنيها  
ياقوتتان ، كان ينبغي أن تكون كل شيء تحلم  
به لأجله..... من الجمال بحيث لن يستطيع  
أن يصفها بعدم الجمال بعد ذلك ، لولا أنها  
قط لا تشعر أنها جميلة ، كما أنها تشعر بثقل  
الرصاص في قلبها.



رن تلفون المدخل. منذ تلك الليلة ، لم يعد  
كونراد يفاجئها بظهوره فجأة عند العتبة مرة  
أخرى. ألقت نظرة ذعر علي مظهرها الأنيق  
، وابتلعت ريقها بصعوبة ، ثم رنت الجرس  
تدعوه للدخول.

وقفت عند باب الشقة المفتوح. تدق  
بأصابعها علي طلائه الأبيض ، تنتظره ،  
وحالما خرج من المصعد رآها ، فوقف جامداً  
مكانه.

وقال: ( تبيين..... رائعة).

لم يبد مسرورا تماماً لهذا ، كما كانت تتصور .  
لم يتراجع شاهقاً بذهول ، وهو يتذكر انتقاده  
الطائش لها ، وكانت خيبة الأمل ستتملك  
فرانسيسكا لو أنها لم تشعر مسبقاً بالذعر  
وقالت تصحح قوله: ( بل أبدو زائفة تماماً).  
وكان صوتها عالياً متوتراً كالطبل . فتقدم إليها  
يمسك بأصابعها المرتجفة يهدئها وهو يسألها:  
( ما الذي لا يعجبك؟).

تركته يمسك يديها ، شاعرة بالارتياح: ( لا

ينفك كل شخص عن إعطائي نصائح).

ضحك: ( يفعلون دوماً ذلك. ذلك جزء من

الطبيعة البشرية).

قالت: ( يخبروني دوماً كيف أفعل أشياء لم

أكن أعلم أنني بحاجة إلي التفكير فيها ، مثل

الركوع والنزول من السيارة ، وشكل الدخول

إلي قاعة الرقص. أمي تقول: أجعلني رأسك

مرفوعاً. جاز تقول أجعلني عينيك في أعين

المصورين ، وجدتك تقول لا تنظري إلي  
المصورين ، ولا أدري ما أفعل وياليتني لم  
أدخل هذا الأمر!).

أمسك بذراعها قائلاً: ( أبقى معي يا طفلي  
، وسأجعلك تجتازين كل هذا).

رأت نفسها تصدقه. وبدأ ذعرها يتبدد ،  
وعندما وصلا إلي الفندق الفخم حيث قاعة  
الرقص ، بدأت الكاميرات تعمل حالما

أخرجت قدمها العالية الكعب من سيارة

الليموزين المستأجرة لهذه المناسبة.

بدلت فرانسيكا جهدها كيلا تجفل وتخفي

عينها من وهج كاميرات التصوير ، وكيلا

تعبس. وهمس كونراد في إذنها: ( تمسكي بي

فأنا أعرف كيف أتعامل مع هذا).

وضع ذراعه حولها ، ثم صعدا معاً الدرجات

المنخفضة وهو يوزع ابتساماته علي

الكاميرات حوله. وتصاعدت الأصوات )

انظري إلي هذه الناحية ، يا عزيزتي ( امنحينا

ابتسامه ) ( من صنع ثوبك؟ ) .

رفع يده يطلب منهم السكوت فهدت

الأصوات .

قال : ( أشكركم لاهتمامكم بشأننا ، لكننا ،

أنا والآنسة هيلير ، هنا الليلة ، لمناصرة تمويل

مستشفيات مونتاسورو . هذه هي القصة

الحقيقية ، وهذا ما نحن ملتزمين به حقاً .

أليس كذلك يا حبيبي؟ ) .

ونظر في عينيها باسمًا

أحب المصورون ذلك ، وهذا طبيعي ، أنها  
الصورة التي كانوا يحاولون الحصول عليها منذ  
أدركوا فرانسيسكا هاربة من الأمير كونراد  
والدموع علي خديها ، ووجدت فرانسيسكا  
نفسها متكئة علي كونراد.

وإذا به يستدير نحو المصورين الذين كانوا  
يصيحون طالبين قبلة ويهز رأسه باسمًا: )

آسف يا شباب ، هذا عمل يلزمه انفراد

تام).

تبع ذلك صياح بالموافقة ، واشتدت ذراع

كونراد حول فرانسييسكا ثم همس في أذنها: (

ابتسامة سعيدة أخيرة لما حولك ثم نخرج من

هنا..).

لم يكن عليهما أن يضعوا حداً لذلك. فقد

كان مستخدمو الفندق متدربين تماما علي

ذلك ، هذا إلي أن سيارة ليموزين أخرى



كانت تقف خلفهما ، وهكذا هربا إلى قاعة

الرقص بشكل حسن.

قال كونراد: ( عمل جيد. لا أحد كان

سيفعل ذلك بشكل أفضل. أبقى معي

تصبحين أميرة رائعة).

ضحكت فرانسيسكا ، لكنها كانت ضحكة

جوفاء.

لم يكن لديها وقت للشعور بعدم الكفاءة

لذلك ، علي كل حال ، إذ سرعان ما كانت

تركع للملكة السابقة أنجليكا. كانت قد  
تدربت علي الركوع ، ولكن ما يزال عليها أن  
تركز انتباهها ، وعندما نهضت وجدت الملكة  
السابقة تلبس قفازين طويلين أبيضين ،  
وبدت أظافر فرانسيسكا الحمراء وقحة  
بالمقارنة.

وتمتت: ( يا لها من غلطة).

لكن كونراد تابع نظرتها ثم ضحك: ( زينة  
أصابعك؟ أنسي ذلك. جدتي سيخضر لوها

حسداً ، فهي ، منذ عرفتھا ، لا تنفك عن  
قضم أظافرھا).

ثم جرھا معه في القاعة. وبين الاستماع للناس  
الذين كانوا متلهفين للفت انتباه كونراد إليهم  
، وبين التحدث إلي أناس لم تعرفهم قط من  
قبل ، نسيت شكوكھا. لم يسمح لها الوقت  
بالشعور بأنها زائفة ، وعندما جلسا إلي رأس  
المائدة. كانت تشعر بأنها أمضت نصف  
حياتها صديقة لكونراد. كان شعبياً بشكل

ملحوظ ، وليس فقط من النساء ذوات

العيون الملتهبة ، كما كانت تخاف .

قالت امرأة فضية الشعر جالسة أمامهما

وهي تميل إلى الأمام تفضي إليها: ( يا له من

فتى حبيب! ما أحسن أن نراه وقد نسي

سيلفيا أخيراً).

قطب الرجل الجالس إلى يسار فرانسيسكا

وقال: ( كونراد رجل حسن ، وممتاز في

تسجيل الاهتزازات الأرضية. سمعت أنه

سيلقي محاضرة في مؤتمر المهندسين الدولي في  
الخريف).

فسألت فرانسيكا: ( ومن هي سيلفيا؟ ).  
فقال جازها لا يريد أن يتخلى عن موضوعه:  
( ومن الشرف الكبير لمن ليس مهندساً ، أن  
يطلبوا إليه ذلك ).

فنظرت إلي المرأة فضية الشعر : ( سيلفيا؟ ).  
فتهدت المرأة: ( آه يا عزيزتي. أظنهم لا  
يتحدثون عنها ، هذا ما كانت الأسرة تدعو

زوجته علي الدوام ، زوجته السابقة الآن ،  
طبعاً ، الأميرة "ماري إلينا". لكن أمه كان  
أسمها إلينا أيضاً وبعد أن قتلت مع أبيه لم يشأ  
أحد أن يتذكر ذلك. وهكذا نادوها دوماً  
باسم سيلفيا).

جمدت فرانسيسكا في مكانها. وقالت بعد  
فترة بدت لها ساعات طويلة: ( آه ، زوجته  
السابقة طبعاً).

كيف لم تعلم بذلك؟ كيف لم يخبرها أحد  
بذلك؟ لا أبوها ولا أمها. وفوق كل شيء ،  
كيف لم يخبرها به كونراد؟ وشعرت وكأن  
الثلج يغمرها من كل الجهات.

جلست تستمع إلي الخطب الرسمية ، مخدرة  
الجسم. وعندما أعلن فيليكس أن وقت  
الرقص قد حان ، صفقت كالبقية ، وفمها  
متيبس من الابتسام.

جاء كونراد في الحال ، ومد يده إليها باسمًا ،

وقد بدت عيناه خضراوان.

آه ، كان واثقاً منها للغاية ، كما رأت

فرانسيسكا ، وكان هذا شرخاً صغيراً في

الثلج الذي يغمرها ، وكانت تعلم أنها ، إذا

ذاب الجليد ، ستثور غضباً ، ربما من

الأفضل أن لا يذوب الجليد إلا بعد أن يخرجنا

من هنا إلي مكان منفرد حيث يمكنها قول

كل شيء.



أخذها بين ذراعيه ودار بها في قاعة الرقص ،  
ولا بد أنه أحس بالتوتر في ظهرها ، لأنه  
سألها قائلاً: ( ماذا حدث؟ ).  
لم تزايلها ابتسامتها: ( لا شيء ).  
فسألها: ( هل قال أحد شيئاً  
يكدرك؟ ). يكدرها؟ يا الله! وأجابت: ( لا ).  
فعاد يسألها: ( ألم يقل لك أحد شيئاً قدراً  
عن أبيك؟ ).

كان أبواها هنا الليلة ، جالسين جنباً إلى

جنب رغم الجفوة بينهما.

وقالت: ( لم يذكر أحد أبي).

فتنفس الصعداء: ( حسناً إذن. فلنمرح

ونبتهج).

\* \* \*

قالت فرانسيسكا: ( متى ستخبرني عن

زوجتك؟).

قال: ( ما الذي تتحدثين عنه؟).

أجابت: ( سيلفيا ، أليس هذا اسمها؟ متى

ستأتي علي ذكرها؟).

فقال بفروغ صبر: ( آه ، سيلفيا).

قالت وهي تعجب لفروغ صبره: ( نعم ،

زوجتك).

– بل زوجتي السابقة.

– ما أكثر السوابق في أسرتك. الملك

السابق... الملكة السابقة... الزوجة

السابقة..... أنتم لا تعرفون كيف تلمسكون

بالأشياء.

بدا عليه الارتباك: ( هذه ليست لباقة).

وافقته بغضب: ( لا . ليست لباقة).

ومنحته ابتسامة مشرقة غاضبة. فقال: (

وهذا ليس من صفاتك).

– آه ، بل هي كذلك. فأنا تلك التي تحب

أن تكون أمورها واضحة. هل نسيت؟

وهكذا ، أوضح لي أمر سيلفيا. متى ، وأين ،

ولماذا؟ وكم دام الزواج؟

نظر حوله بضيق وقد فارقه هدوءه: ( لا  
يمكننا أن نتحدث في هذا المكان عن ذلك).

فقلت بحدة: ( فلنذهب إذن إلي مكان

يمكننا التحدث فيه).

– لا بأس إذن.

– لا بأس.

وتبادلا النظرات كمتبارزين ، ثم خرج بها من  
باحة الرقص. وهبطا السلام ومن ثم إلي  
الشارع ، وكان ذلك من المدخل الخلفي  
للفندق ، وسألها الناظر عما إذا كان  
يريدان التاكسي.

أجابه كونراد باقتضاب: ( لا ).

وأمسك بيدها وركض معها إلي أسفل التلة  
عابراً الطريق إلي جدار رصاصي اللون. وكان  
نهر التايمز يعكس النجوم والأنوار المتألقة.

نظرت فرانسيسكا إلى المياه السوداء المتحركة

، وشعرت وكأنها علي حافة هاوية ،

واستدارت ، وكانت كتفاها العاريتان تلمعان

في أنوار الشارع.

وقالت: ( أخبرني بالحقيقة ، يا كونراد).

ارتد إليها واتكأ إلى حائط النهر. كان نسيم

الربيع يحرك شعره ، وبدا غير واع لذلك.

دأبت خياشيمها هبة من عطرة سرعان ما

تبددت كالنسيم ، وقال بملل : ( ظننت أن  
الجميع يعلمون).

– ليس أنا.

– ولماذا لا؟ أنت تعرفين كل شيء.

وتمالك نفسه وتابع يقول بهدوء: ( كنا  
صغيرين جداً ، وكانت هي مناسبة).

أجفلت فرانسيسكا خفية. ومنعت نفسها من  
أن تقول (أكثر مني).



وتابع يقول: ( كان أبوها وزير داخلية جدي  
فيليكس الملك السابق في المنفي ، ولنا نفس  
جدة جدة جدة الجدة ، وكانت تعلم ما هو  
منتظر وراء قرابتنا هذه).

كان من الكآبة بحيث شعرت فرانسيسكا  
بالعطف عليه. سألته: ( لماذا تزوجتها؟).

– أصبحت ولياً للعهد فجأة ، فقد كان  
والداي قد غرقا.... أنت تعلمين عن هذا ،  
أليس كذلك؟ كنت لا أزال في الجامعة. ولكن

، فجأة ، أصبحت شريداً دون وطن. نعم.  
كان فيليكس وأنجليكا ذكيين ، فأنشأ منزلاً  
هو بين مركز اللاجئين والبلاط الملكي ، لم  
يكن هذا منزلاً عالياً. وكنت في العشرين ،  
وبدا فيليكس يتحدث عن وريثة. وفكرت أنا  
.... في أن الأولاد سينشئون لي بيتاً مرة  
أخري. وكنت غيباً. ولكن ، في العشرين ،  
يري الفتى ما يريد أن يراه.

كان هذا أسوأ مما كانت تتوقع وتمتت: (

الأولاد؟).

– آه ، لا تقلقي. لم ترد سيلفيا أولاداً.

قال هذا بوحشية ثم سكت فجأة ، وتخلل

شعره بيده: ( آه ، وما الفائدة؟ ربما كانت

علي حق. فأنا كنت أصغر من أن أصلح

للأبوة. وكنت أيضاً متزمتاً كثيراً).

لم تستطع فرانسيسكا أن تتصور أن هذا

الرجل كان يوماً متزمتاً ، لكنها رأت أن هذا

ليس بالوقت المناسب للحديث عن ذلك.

سألته: ( وماذا حدث بعد ذلك؟ ).

قال بخشونة: ( اتخذت لنفسها رجلاً آخر ).

اقتربت فرانسيسكا منه تضع يدها علي

كتفه. وعندما أمسك بيدها بشدة كاد معها

يحطم أصابعها ، لم تنطق بكلمة.

لم ينظر إليها ، بل قال للنهر: ( أنا عاشق

ماهر... يمكنني أن أكون عاشقاً ممتازاً أحياناً ،

لكنني زوج فضيع ).

فأمسكت أنفاسها.

التفت إليها دون أن يترك يدها لكنه أيضاً لم يلمسها. ثم قال بصوت متهدج: ( تزوجيني.

تزوجيني الآن!).

ذهل كونراد. رباه ليس هذا ما كان مفروضاً

أن يحصل.... ليس هذا ما قرره علي

الإطلاق. كان يعلم بالضبط إلي أين كان

سيأخذها ، لقد استأجر جداه جناحاً في

الفندق لقضاء الليلة ، وفي الجناح حجرة

جلوس مترفة ملاءها بالورود مع الخاتم التراثي  
الذي غير حجمه ليناسب أصبع فرانسيسكا ،  
لقد وعدّها بخطبة حقيقية ، وطلب يد  
تقليدي.

وكان يريد أن تتذكر الوقت الذي طلب فيها  
يدها ، بينما هي تقول: ( هل جنت؟ ).  
كان يريدّها... أن تتذكر موسيقي وأزهاراً  
وشموعاً ، وليس هذا. وليس وهي غاضبة  
مجروحة الكرامة ، ترتجف بجانبه من البرد

وليس من المشاعر التي يوقضها فيها بعناقه.  
انتصب واقفاً جامعاً شتات نفسه بجهد. كان  
متلهفاً إلي عناقها. وكان هذا يسبب له ألماً  
جسدياً ، لكنه سيكون أسوأ غلطة يقترفها.  
وترك يديها ، وقال بهدوء: ( آسف ، أنسي  
أنني قلت هذا).

منحته إحدى ابتساماتها المتألقة وكان قد تعلم  
أن يخاف هذه الابتسامات: ( لا أدري. إنه  
أمر لا ينسي).

فقال: ( فرانسيسكا).

- هذا ما كنت تريده ، أليس كذلك؟ أليس

هذا ما هو مفروض أن تفعله خطبتك لي؟ أن

تمنحني شيئاً للذكري؟

رآها غاضبة ولم يعرف لماذا.

- نعم. لكنني كنت أرجو أن تمتعي نفسك

الليلة. ما الخطأ في ذلك؟

قالت وأسنانها تصطك: ( الخطبة هي أكثر

من مجرد إمتاع للنفس).



كان سيناقش هذا الأمر معها لولا شعوره  
بالقلق فقد أخذت ترتجف.

قال نادماً: ( أنت بردت. ما كان علي أن  
أحضرك إلي هنا أبداً).

وخلع سترته السوداء ووضعها علي كتفيها.  
فقفزت ، وصدر عنها صوت انزعاج خفيف.  
ففكر بضجر : آه. لا. أي خطأ سيحدث  
أكثر من هذا؟

لكنه قال بهدوء: ( هيا بنا ندخل).

قالت متعلقة بذراعه: ( لا . سأكون علي ما

يرام . دعنا تمشي).

حدق إليها محاولاً أن يفلح في قراءة التعبير

البادي علي وجهها ، لكن في وهج ضوء

مصباح الشارع الغريب ، لم ير سوى خط

توتر شفيتها وشعر بارتعاشها المستمر . من

الطبيعي أن يتعرضا ، هما الاثنان ، للبرد بقدر

الغضب أو... أجفل لهذه الفكرة: لجرح

الكرامة.

وضع ذراعه حولها يشدها إليه : ( لا بأس ،  
سنتمشي قليلاً ، إذا شئت ، ولكن حالما  
تشعرين بقدميك باردتين ، ندخل إلي الفندق  
صح؟).

فقلت : ( صح).

وأطلقت ضحكة مرتجفة ثم جرت طرفي سترته  
حول عنقها ، وكان الشارعان الرئيسان  
خاليين تقريباً ، ولم يكن علي الرصيف سواهما  
، ولم تكن فرانسيسكا تنظر ، فقد كانت

مطأطة رأسها. ثم قالت: ( والآن ، أخبرني

لماذا تحطم زواجك؟).

- لقد أخبرتك....

فنظرت إليه بعينين ملتهبتين أم لعل ذلك من

تأثير ضوء الشارع علي زجاج نظاراتها؟

وقالت: ( لا يمكن أن يكون السبب ترمتك

ورغبتك في ولد).

قال بمزيج من الغيظ والقلق: ( آه ، يا لهذا

الذهن المدقق!).

وخطر له فجأة أنها علي شفا البكاء.

فاشتدت ذراعه حولها ، لم يكن يحتمل أن

يري فتاته فرانسيسكا تبكي وهي المحاربة

القوية. هذا ليس عدلاً.

وقال بصدق: ( لا. كان الأمر أكثر من هذا

بكثير ، لكن الأساس هو أننا كنا صغيرين

جداً ولم أكن أفهم ما تريده).

وقفت فرانسيسكا ، ووقف بدوره ورددت

هي كلمته: ( ما تريده؟).

قال برزانه: ( أن تكون أميرة ، أن تذهب إلي  
موناكو تريد ثيابها من عمل مصمم خاص ،  
وحياة راقية. أرادت أن تكون شخصية  
مشهورة. لم تشأ أن تكون متزوجة من خبير  
زلازل لا يذهب إلا أماكن الزلازل).  
وسكت لحظة انتهى بعدها إلي القول: (( لم  
تكن تريدني).  
اتسعت عيناها خلف نظاراتها: ( ولكن ألم  
تخبرها...؟).

- لا ، لا ، لم أخبرها بشيء ، لم أفكر في  
أنني بحاجة إلي ذلك. فقد كانت أسرتها  
تعرفني طوال حياتي ، وظننتها تعرف كيف  
ستكون حياتها معي.

بدا ضجراً حتى لنفسه. كان يظن أن كل هذا  
انتهي فما الذي يجعله ما زال مجروحاً من  
ذلك؟ وما فائدة نبش هذه الأمور القديمة  
المخيبة للآمال ، الآن؟

أخذت تتفحص وجهه: ( قلت أنك كنت  
زوجاً سيئاً).

وتلعثمت فاشتدت ذراعه حولها: ( ولكن  
كنت عاشقاً جيداً فهل لهذا تركتك؟).

– أتعنين أنني كنت غير مخلص ، لا

وسكت قليلاً ثم أضاف بصدق: ( قالت أنني

متزوج بمهنتي أكثر مما كنت متزوجاً بها وأنا

أعترف أنني كنت مرتبطاً بعلمي جداً. فقد

كنت مثلاً استغرق في عملي في المختبر بحيث



أنسي أنا خارجان للعشاء في المطعم. كانت  
تقول أنني أفضل أن أتحدث إلي خبراء زلازل  
آخرين علي أن أتحدث إليها).

استوعبت فرانسيكا ذلك. وأخيراً قالت: ( )  
وهل كانت صادقة؟).

شعر بشيء من الضيق ، وكان قد تعهد  
لنفسه بأن لا يعيد نبش هذا الموضوع التعس  
مرة أخرى ، وقال: ( ما هذا؟ استنطاق؟ ).  
عادت تقول: ( هل كانت صادقة؟ ).

فتنهـد ساخطاً: ( ربهـ! نعم كانه صادهة.

سبق أن أهبرك... بأني كنت صغيراً علي

الزواج).

– ولماذا تزوجت إذن؟

ما زال صوتها جامداً دون مشاعر وكأنها وكيل

قضائي صغير السن يقوم بالإجراءات

القانونية ، أو قاضي.

وقطب جبينه: هل هي قاض؟ ولم يجب.

– كنت تحبها ، أليس كذلك؟

– أنا... .

فقاطعته: ( كنت صغيراً. وكنت قد فقدت

والديك ، وكانت هرموناتك في أوج

تفاعلها).

كانت نائية بعيدة كالقمر ، وكانت ذراعه

حولها. احتضنها بشدة شعر معها كل نفس

تتنفسه ، ومع ذلك كان يشعر أنه لا يستطيع

الوصول إليها ، وأنه لن يستطيع الوصول

إليها مرة أخرى.

قالت بذلك الصوت الفضي: ( كنت تحبها  
طبعاً).

كان بينهما ذلك الشيء الذي لم تقله وهو  
بثقل الرصاص (بينما أنت لا تحبني). التوى  
قلبه في صدره. لقد جرح هذه المرأة إلي حد  
كبير.

وقال دون وعي: ( أواه ، يا فرانسيسكا).

– لا بأس. أردت فقط أن أعلم.

لكنها ابتعدت عن دفع ذراعه: ( علينا أن

نعود الآن فلدينا خطوبة نعلنها).

تملك كونراد الذعر لما فعل ، وقال بعنف: ((

لا. هذا غير ممكنا إذا كنت تعيسة).

التفت إليه جامدة الوجه ، وهذه المرة كانت

الابتسامة عبوساً وقالت بأدب: ( آه ، لا ،

ولماذا أكون تعيسة؟ أنا أقوم بواجبي نحو

مونتاسورو ، وأنشر صورة خاتم خطبتي في

كل الصحف الشعبية في نفس الوقت. وهو  
شيء تزهو به أي فتاة).

تملكته صدمه. ما الذي فعله؟ ماذا فعل بها؟  
- لسنا مضطرين لإعلان أي شيء الليلة ،  
نحن غير ملتزمين.

أحكمت السترة حولها ، وقالت بعناد: ( بل  
نحن كذلك. فهذا سيضع تمويل مستشفيات  
مونتاسورو علي الصفحة الأولى من كل  
صحيفة في البلاد. دعنا ننهي الأمر).

وارتجفت متشنجة: ( أرجوك).

ماذا يمكنه أن يفعل؟ وهكذا عاد معها إلي

قاعة الرقص.

\* \* \*

شعرت فرانسيسكا وكأنها في كابوس ، بطانة

سترته علي كتفيها منحتها شعوراً بالدفء

ذكرها بشعورها عندما عانقها علي أريكتها.

أتراها ظنت أنه سيحبها؟ أتراها ظنت ذلك

حقاً؟ يا لها من فتاة مثيرة للشفقة!

كان هذا زواجاً تقليدياً للمصلحة وقد شرح  
تماماً من البداية. حتى إنها كانت هي نفسها  
البادئة ، حين أخبرت أباهما إنها تريد التعرف  
علي الأمير كونراد دوميتيو.

آه ، لقد ساهمت في تحطيم نفسها بنفسها ،  
ولا يمكنها أن تلوم أحداً سواها... عدة  
لقاءات ، عشرات من الاتصالات التلفونية  
المداعبة ، وإذا بها تقع في الحب رأساً علي  
عقب.



لا يمكنها أن تلوم كونراد ، فقد حدثها  
بالحقيقة منذ اللحظة التي عرف من تكون ،  
لم يحاول قط أن يدعي أنه يحبها ، لم يشأ أن  
يحطم قلبها. حتى الآن ، يحاول هذا الرجل  
أن يحررها من وعددها.

فلماذا لا تغتتم الفرصة وتهرب كالمجنونة؟  
وجرحها الجواب....

لأنني أحبه ، وأنا من الغباء بحيث أظن أنني ،  
إذا بقيت معه ، فقد يجبنني يوماً ما.

نعم. هذا صحيح ، وإلا ماذا؟ لأنني أحبه

وهو يحتاجني.

وما زالت تسمع ذلك الصوت المتهدج في

أذنيها: ( تزوجيني!) إنه عرض زواج من رجل

، علي حافة الانهيار ، ويمد يديه متوسلاً.

ومن هنا كان جوابها ، إنه يحتاجها.

حدثت نفسها عابسة ، وهي تنظر في مرآة

غرفة استراحة السيدات الفاخرة ، بأن هذه

سخافة ، وأن كلامها غير صحيح ، فهي لا

تخبه. لكنها أمسكت بياقة سترته وأخذت  
تتشمم رائحته. لم يسبق أن فعلت ذلك لأي  
من ملابس باري أو أي من الرجال الآخرين  
الذين كانت تخرج معهم. فهذا الرجل غير  
عاديا ، ويبدو أنه قدرها.

\* \* \*

كان خاتم الخطبة ياقوتة كبيرة مربعة محاطة  
بالماس وبدا كبيراً علي أصبع فرانسيسكا  
الصغيرة ، لكنه بدا متألّقاً بجانب تألق قماش

ثوبها ، والقرطين المتدلين ، هدية أبيها  
الفاخرة لها ، اللذين صمما خاصة ليتلاءما مع  
الخاتم.

كان مخبرو الصحف مغتربين ، وكذلك  
الأسرة المالكة ورجال البلاط الذين عرفوا  
كونراد وهو طفل.

استمرت فرانسيكا تبسم حتى آلمها فكها  
، أما كونراد الذي عادت سترته إليه ، فلم  
يفارقها. وكان يتجنب الكثير من الأسئلة ،

ولكن ، بالطبع ، كان هناك الكثير منها

عليها أن تجيب عليها بنفسها.

جاءت إلينا جدته ، وكان قفازاها ما يزالان

ناصعين ، وعيناها باردتين. لم تكونا عدائيتين

، وإنما حياديتين منتظرتين.

كانت هنا للحكم علي عروس ابنها التي

اختارها ، وسألتها الملكة السابقة من دون

تمهيد: ( هل ستذهبن معه إلي مونتاسورو؟ ).

أجفلت فرانسيسكا: ( حسنا ، نعم ،

بالتأكيد في النهاية).

قالت الملكة: ( أعني عندما يأخذ المستشفى

المتنقل إلي هناك).

قالت فرانسيسكا: ( لم نناقش هذا الأمر

بعد...).

قالت الملكة السابقة: ( ناقشاه إذن).

تحركت فرانسيسكا بضيق: ( شكراً

لنصيحتك ، ولكن...).

– كونراد مثل جده ، صادق وذكي ومجد في

العمل والنوم معه كالأحلام.

شهقت فرانسيسكا واحمر وجهها. وتنهدت

الملكة السابقة: ( المفروض أن يكون جيلكم

منطلقاً علي سجيته ، ولكن إذا كان فيه

عيب ، فهو تركيزه علي هدف واحد. هذا ما

لم تفهمه سيلفيا. تركته يلاحق أماكن الزلازل

دون أن تدرك أن هذا يعني أنه ينسي كل

شيء عنها طوال شهر كل مرة).

– أظنين أنه سينساني عندما يذهب إلي

مونتاسورو؟

– أظن أن أمام كونراد تجربة جيدة للغاية ،

إنه يتضايق من العلاقات الحميمة وإظهار

الألفة.

أخذت فرانسيسكا تفكر في سترته حولها ،

وفي صوته المتهدج وهو يقول ( تزوجيني!).

ونظرت إلي حيث كان يقف ، كان ظهره إليها

، حاني الرأس وهو يستمع إلي رجل أعمال.



وعندما شعر بعينيها عليه ، نظر إليها وابتسم

، والتوى فمها دون وعي منها.....ألا يقوم

كونراد بحركات أليفة؟

وأجابتها: ( أحقأ؟).

فرفعت الجدة حاجباها: ( قد يكون تغير. فلا

تدعي ذلك يشيك عن التقرب منه).

– أحقأ؟ ولماذا؟

– الأسابيع الأولى من أي خطبة ، تكون  
عادة متأزمة عندما يكون الفريقان سلبيين ،  
وبجانب ذلك ...

وبان الدهاء في عينيها: ( ألا تريدان أن  
تذهبي معه؟ إنه طويل أسمر وسيم وكله لك ،  
ألا تريدان أن تري ما يحدث؟).  
وانحنت بطريقة ملكية ثم تركتها.  
بقيت فرانسيسكا خرساء ، وعندما عاد  
كونراد إلي جانبها رآها كذلك.

فسألها باهتمام: ( ما الأمر؟).

- إنها جدتك.....

تابع نظراتها وهو يقول بسرعة: ( ما الذي

فعلته جدتي الآن؟).

أجابت بغضب: ( قالت لي ، تقريباً ، أن

أتقرب منك بطريقة حميمة قبل أن ترحل).

فهقه ضاحكاً ، وعندما استطاع أن يتكلم ،

قال: ( لا بد أنك أسأت الفهم. إن جدتي

عضو في جمعية ( البكارة قبل الزواج).

- لا.... إنها ليست كذلك. طلبت مني

الذهاب معك إلي مونتاسورو و....

فقال مداعباً: ( ونتغازل في كل خطوة من

الطريق؟).

- نعم...أنا....

ثم أدركت ما كانت الملكة السابقة تقوله. إذا

كانت تؤمن بالبكارة قبل الزواج ، فهي تعني

" نامي معه ولكن لا تتزوجيه! لا تفسدي

حياة حفيدي" لكن فرانسيسكا تريد أن  
يجبها.

كل تلك الثقة الجميلة الذهبية تلاشت في  
ثانية واحدة ، وتملكها الارتباك. وشعرت  
فرانسيسكا بأعضائها ثقيلة كالرصاص.

وابتسمت له متوترة: ( آسفة. شعرت بإرهاق  
مفاجئ ، متى يمكننا... أعني يمكنني أن  
أعود إلي البيت؟).

– يمكننا أن نذهب حين تشائين.

– لست مضطراً لتأخذي إلي بيتي بنفسك.

أمسك بيدها وقال بهدوء: ( بل سأفعل).

كانت رسالة الجدة واضحة تماماً: ستستمتعين

بوقت رائع. لكنه لن يدعك تتقربين إليه ،

ولن يحبك.

وكان ذلك ما قاله هو نفسه ، عاشق ممتاز ،

وزوج فظيع.

وهي تريده زوجاً... زوجاً يحبها ويرغب فيها.

حاولت أن تقول شيئاً... أن تخبره بشعورها.

وطبعاً ، رآها كونراد تتراجع علي الفور ،  
فقال بملل ، تاركا يديها: ( أريحي نفسك ،  
لست مضطرة إلي أن تحاربيني . سأخذك إلي  
البيت ثم أتركك).

فقالت: ( أنا...).

– أليس هذا ما تريدينه؟

لم يكن هذا ما تريده. قالت مستوحشة: (

نعم).

– فلنذهب إذن.

تركها عند باب شقتها ، دون أن يعانقها حتى  
عندما ذهب ، وأمضت ليلتها ، لأول مرة في  
حياتها ، دون نوم.

علي أن أقوم بشيء ما في هذا السبيل ،  
حدثت نفسها بذلك وهي تجلس في مطبخها  
، منتفخة الأجنان ، في الساعة الخامسة  
والنصف صباحاً.

كيف سأخبره بأنني اقترفت غلطة؟ لقد بدا  
مجروحاً تماماً ، كان ذلك حين تذكرت بقية



رسالة جدته لها ، ربما كان هناك شيء ما في

تلك النصيحة.

وفي ذلك الصباح بالذات ، حالما وجدت الوقت مناسباً ، اتصلت برقم تلفون كونراد في كمبريدج ، وتركت له رسالة. وكانت قد راجعتها وراجعتها إلي أن حفظتها تماماً ، كانت تعني العالم بالنسبة إليها.

" أول مرة تقابلنا فيها قلت أن بإمكانك أن

تتخذ في فريقك عضواً دقيقاً في حساباته

مثلي. حسناً ، ها هي ذي فرصتك قد  
أقبلت..... أريد أن أذهب معك إلي

مونتاسورو"

\* \* \*

نهاية الفصل السابع

الفصل الثامن : أميرة حكايات الجن

انطلقا بعد ذلك بستة أسابيع. استطاع  
الوكلاء أن يجهزوا ثلاثة باصات بمواد  
الإسعاف الأولى الأساسية وعلاج الطوارئ ،  
ومستشفى متنقلاً. لم تكن فرانسيكا تحمل  
رخصة لقيادة أي منها. بعكس كونراد الذي  
قال لها:

- عليك أن تكوني أنت قارئة الخريطة.  
قال ذلك بتلك الطريقة الساحرة الهادئة التي  
أخذ يستعملها معها منذ ليلة الحفلة تلك ،

وكانت طريقة ودوداً. مع أن أبقثها بعيدة  
عنه. فقد عاملها بالضبط كما يعامل أي  
شخص في فريقه هذا.

وكانت جاز قد قالت لها مواسية وهي  
تساعدنا علي حزم أمتعتها: ( لا تقلقي. إنه  
يحميك حقاً. فالصحافة ما زالت في أثركما ،  
لا أظنك تريدين صوراً لكما متعانقين في كل  
الصحف الشعبية. أليس كذلك؟).

قالت فرانسيسكا بارتياب: ( هل هذا ما  
تظنيه؟ لا أشعر بأنه يفعل هذا لحمايتي. بل  
أظنه ، بكل بساطة ، يدفعني عنه بعيداً).  
قالت جاز: ( فليكن لك قلب. لدي الرجل  
قافلة سيجتاز بها نصف القارة ، ثم يصعد بها  
في أكثر الطرق الجبلية وعورة وفضاعة في  
أوروبا وربما ذهنه مركز علي هذا الأمر أكثر  
من أي شيء آخر).

عزت فرانسيسكا شفتها: ( نعم ، طبعاً).

– اصبري عليه حالياً حتى يسلم مواد  
المستشفى ، وبعد ذلك يتحول إلي دور أمير  
العشاق "كازانوف".

فقلت ولكن دون اقتناع: ( نعم).

والواقع أنها كانت تفقد اقتناعها ، ولو لم  
تبدل جاز جهدها في تنسيق الأمور لتراجعت  
فرانسييسكا ربما عن وعددها. لكن جاز  
وجدت روائية ناشئة تحل مكان فرانسييسكا  
مؤقتاً في المكتبة أثناء رحلتها. وبجانب ذلك ،

كان كونراد قد أندر كل شخص بأن يسافر  
خفيفاً ، وكانت فرانسيكا قد عملت  
بنصيحة جاز ، الخبيرة بحقائب الظهر فإذا  
النتيجة كانت معجزة في توفير المساحة  
بشكل رائع.

وقالت جاز باستمتاع: ( أغسلي ما  
تستطيعين كلما وجدت فرصة لذلك ولا  
تضيفي شيئاً إلي الحقيبة إلا بعد أن تتخلصي  
من شيء فيها أولاً).

وقبل أن تذهب قدمت لها أمها اللايدي ثوباً

طويلاً أسود.

وقالت جاز: ( هذا ينفك لأي شيء حتى  
لحضور عشاء رسمي ، اشترى بعض المجوهرات  
من هناك لتلبسها معه ، وهكذا تساعدين  
الاقتصاد الوطني وتبدين وكأنك تبدلين  
مجهوداً في سبيل ذلك).



أما والدها فقد أهداها سكيناً من النوع الذي  
يستعمله الجيش السويسري ، وقائمة بأسماء  
أشخاص نافعين يمكنها الاتصال بهم.  
أما الملك السابق فيليكس فقد قدم لها  
كتاب جمل باللغة المونتاسورية ، ومباركته.  
وبدا كأن صوته أختنق وهو يقول ذلك. كما  
أعطتها زوجته نصيحة هي: ( لا يمكنك ،  
وأنت تذهبين في هذه الرحلة الاستكشافية ،

أن تتصرفي وكأنك إنسان عادي مجهول ، لأن  
أعين الناس ستكون عليك).

فقلت فرانسيسكا وقد أتعبها عداء المرأة لها:  
( حسناً ، إنها عيناك أنت ، علي كل حال).  
قالت الجدة: ( كونراد حفيدي وأنا أريد أن  
يكون سعيداً).

غضبت فرانسيسكا: ( أتظنني لا أريد  
ذلك؟).

ضمت الملكة السابقة شفيتها: ( سنري).

ولكن عندما خرجت فرانسيسكا ، سمحت  
الملكة السابقة لنفسها بابتسامة لا تليق  
بالمملوك. وهكذا التحقت فرانسيسكا  
بالقافلة.

عاملها كونراد كواحد من الفتيان. طوال  
الطريق عبر أوروبا ، رآته كما لم تره من قبل  
قط. كانت العجلات تنفجر فيستبدلها  
بنفسه. يتشاجر السائق مع دليل القافلة ،  
فيقنعهما بإقامة هدنة بينهما.

ثم دخلوا مونتاسورو ، فكان الأمر أسوأ ،  
الطرق مسدودة ، فكان عليه أن يجد  
طريقه حولها. مناظر البراري الرائعة لم تتناسب  
تماماً مع خريطتهم. أخذ كونراد يجول في  
الحقول مفتشاً عن دليل محلي ، وطوال  
الوقت كان كفؤاً واسع الحيلة..... دبلوماسياً  
وهادئاً للغاية.

بدأت فرانسيكا تري ما اشتبهت فيه من  
قبل وهو أن كونراد رجل جاد للغاية. فامتلاً

قلبها زهواً أما عقلها فكان يسألها في الوقت  
نفسه ألم تفكري بعد لماذا يهتم رجل كهذا  
بامرأة لم تستقر في عمل قط أكثر من ستة  
أشهر؟

وكان الجواب واضحاً ، طبعاً ، فهي ابنة أغني  
رجل في مونتاسورو .

وفي نفس الوقت ، اتبعت نصيحة جاز حرفياً  
حتى إنها ظفرت من كونراد بثناء مختصر  
قائلاً: ( كنت أعلم أنك ستكونين نافعة).

كان ذلك وهما يستعدان لتناول العشاء علي

مائدة خشبية خارج فندق في قرية في الجبال

، ذات ليلة.

فقلت فرانسيسكا: ( نافعة...آه ، إنه

مديح حقيقي).

التمعت عيناه راضياً: ( ليس لديك فكرة عن

مبلغ ما أنت عليه من صواب).

قالت مازحة: ( نافعة وعلي صواب؟ سيتورم

رأسي).

لامس خدها ، أنها أول مرة يضع يده عليها

منذ ليلة الحفلة. وقال برقة زائدة: ( ليس

أنت من يحصل له ذلك).

ووقفت جامدة. ولكن جاء من يستدعيه

ليعطي قراره لرجلين كانا يتأملان الخريطة.

هزت رأسها وذهبت لتجلس مستندة إلى

جدار المبني ذي الطابق الواحد. حدثت

نفسها بأن تصبر علي ذلك ، فالرجل هو  
قائد حملة معقدة. وفي كل مكان كانوا بحاجة  
إلي إرشاداته ، واتصالاتهما ببعضهما البعض  
لن تكون أكثر من كلمات سريعة مبتورة إلي  
أن يسلموا هذه الشاحنات.

رفعت وجهها تنظر إلي النجوم. كانت متألقة  
قريبة بشكل محير في أجواء الجبال العالية. ما  
أجمل أن يكون كونراد معها ينظر مثلها إلي  
تلك النجوم! أن تكون نافعة هو شيء حسن



، وأن تجعله يعترف بأنها علي صواب أحياناً ،  
هو شيء حسن ، لكن فرانسيسكا لا  
تستطيع أن تمنع نفسها من أن تتمني لو  
تبهره.....ولو قليلاً!

ما لبثت أن حدثت نفسها بأن تكون واقعية.  
إنها فتاة تملك مفتاحاً للعلاقات العامة  
وللكثير من المتبرعين الأغنياء. إنه يكن لك  
إعزازاً وتقديراً أيضاً ، وهذا أكثر كثيراً مما

يتمتع به معظم الناس..... لكنني أريده أن

يجبني!

هذا في أحلامك فقط.

نهضت فرانسيسكا واقفة ، وشغلت نفسها  
عن هذه الأفكار إلي أن كادت تنهار إرهاقاً.  
وأخيراً وصلوا إلي أكبر مدينة في الجبال حيث  
سيقام المستشفى ، لم تكن أكثر من قرية  
كبيرة ذات سوق مربع ومجموعة من المنازل  
حوله. جاء لاستقبالهما طبيبان محليان ،

فأفسح لهما الرجال الطريق. وكانا في منتهي  
اللهفة للحصول علي المعدات الجديدة.  
لم تكد تبرد محركات الشاحنات حتى كانا  
يقومان بعملية الزائدة الدودية لصبي. هذا ما  
كتبه كونراد في تسجيله للأحداث اليومية.  
كان يجلس تحت مظلة في أحد المقاهي الثلاثة  
القائمة في الشارع الواسع المشجر. وقرأت  
فرانسيسكا ما يكتب من فوق كتفه. فسألته

وهي تجلس: ( هل تحتفظ دوماً بمذكرات

يومية؟).

فرغ بصره إليها: ( لا. في الرحلات فقط).

وأطبق الدفتر ودفعه عنه بعيداً.

– كان هذا في الأساس نافعاً في تنظيم

الأحداث ، فالواحد منا لا يتذكر دوماً تتابع

الأحداث بدقة وما لبثت أن أخذت بالكتابة

عن انطباعاتي الخاصة ، عن القليل منها فقط

للتسلية.

استند إلي الخلف في كرسية. كان يبدو كسولا  
سمرته الشمس ، وجذاباً للغاية.

ذكرت فرانسيسكا نفسها بأنها لن تسمح بأن  
ينشغل بالها إلا بعد انتهاء الرحلة ، فسألته  
بصوت حاولت أن تجعله مؤدباً: ( هل هكذا  
كان كتابك عن البركان؟).

– نعم. لقد جاء كله من دفتر المذكرات  
لكنني وضعت التعليقات فقط تحت الصور.

أومات: ( وعندما قلت إنك ألفتها لأجل  
المال؟).

نظر إلي الشاشة التي تجر المستشفى عبر  
السوق ، وأجاب: ( اشتريت بالمبلغ الذي  
دفع لي مقدماً ، جهاز التصوير بالأشعة  
المتنقل. وهو يبقى للتذكر بأن الأسرة المالكة  
يمكنها أن تقدم شيئاً).

– هل ذهب كل شيء لتمويل المستشفى؟  
فهمت.

فهز رأسه: ( أنا لا أهتم بالمال في الحقيقة  
فأنت فهمت الأمر خطأ. لم أهتم بذلك قط.  
وإنما أحب القيام بالأشياء).

استوعبت فرانسيسكا ذلك ، ثم قالت: ( نعم.  
يمكنني أن أرى ذلك. ولكن لأجل  
مونتاسورو.....).

فقال: ( سأقوم بالكثير لأجل بلادي. لكنني  
لن أضع نفسي في المزاد العلني).

تذكرت فرانسيسكا حين قال لجدته ( لا أريد  
أن أقدم نفسي قرباناً بشرياً).

ربما يريد لها لأكثر من إرثها واتصالاتها العملية  
، ولكن ما الذي سيجعلها تعرف الحقيقة؟  
فتأملت وجهه ، فقابل نظراتها بهدوء. عضت  
شفتها وقالت: ( لا تريد ذلك؟ لكن ماذا  
عن ترشيح جدك نفسه للانتخابات؟ إنك  
ستفعل الكثير لأجل جدك ، أليس كذلك؟).  
مال علي المنضدة ووضع إصبعه علي فمها.



– لماذا تعضين شفتك؟ ستتقرح.

قفزت فرانسيسكا وقلبيها يخفق بعنف ،  
وشعرت وكأنها استحالت حجراً. وعندما  
انفرجت شفتها ، تغيرت عينا كونراد وبدأ  
فيهما العزم ، فمال نحوها وقد تسارعت  
أنفاسه.

وإذا بصوت من الساحة ، فتمتم غاضباً: ( )  
تباً لذلك).

برزت مجموعة رجال من خلف المنعطف.  
رجال في بذلات ، وكاميرات تصوير ، ورجل  
يسير إلي الخلف حاملاً ، مع شخص أمامه ،  
شيئاً غامضاً فوق الرؤوس. وقال كونراد  
بسأم: ( التلفزيون. كنت أتساءل متى يبدأ  
السياسيون بالعمل).

ووقف وعيناه علي المجموعة وهي تتقدم.  
نظرت إليه فرانسيسكا. لم تكن تفكر في ستر  
ما يبدو علي وجهها من تعبير. إن نظر إليها

فسيري قلبها في عينيها ، وسيري فيهما كل

شيء.....ارتباكها وهفتها إليه ورجاءها

العنيف ، وعدم تصديقها

نظر إليها قائلاً: ( آسف. أنا مضطر

إلي...).

جمد في مكانه: ( فرانسيسكا!).

أجفلت: ( ماذا؟).

قال بصوت متهدج: ( لا تنظري إلي بهذا

الشكل).

ودار حول المنضدة بحيث حجبها جسمه عن  
الشارع. لم يعانقها ، وإنما لامس وجنتها  
بحنان. ثم لمس ذقنها ، وكأنما يقوم بنوع من  
الطقوس الدينية الرقيقة. وضغطت هي  
شفتيها علي ظهر يده بقبلة خاطفة.  
خاطفة لكنها حقيقية. هما الاثنان أدركا ذلك  
، وتأوه ، وقال بضحكة منفعلة: ( تمسكي  
بهذا الشعور).

كان القادمون الجدد قد جاءوا بطائرة

هليكوبتر مع حاشية ضخمة. ألقى

السياسيون أحاديث ، لكن الصحافة كانت

مهتمة بكونراد ولي العهد. أهدقوا به

بأسئلتهم وتعليقاتهم وطلباتهم. ثم أرادوا أن

يروا فرانسيسكا.

السياسيون عانقوها والموظفون الرسميون طلبوا

نصيحتها ، ورجال البلاد المحترمون طلبوا

دعمها للمؤسسات الخيرية. الأمهات وضعن

أطفالهن بين ذراعيها ، والبنات الصغيرات  
قدمن لها باقات الزهر وهن راكعات. واستمر  
ذلك أياماً.

وبما أنها كانت نافعة جداً للفريق ، أصبحت  
أشبه بالجنية التي يضعونها علي قمة شجرة  
عيد الميلاد ، كما قالت خفية لكونراد. وقد  
جعلها هذا تشعر بالضيق.

قالت له بكآبة: ( قالت لي جاز أنني سأمضي  
وقتي بين الأطفال وباقات الزهور لكنني لم

أصدقها. لكنها كانت علي صواب ، أليس  
كذلك؟).

قال ضاحكاً: ( عملك ممتاز).

- لكنني أحب جداً أن أذهب معك إلي  
القرية في باص الإسعافات الأولية.

قال بدهشة: ( أتخبين ذلك؟).

كانا يتمشيان خارج الجدران العتيقة عند

مغيب الشمس. كان الحر طوال النهار

يضغط عليهما ، وكانت فرانسيسكا تلجأ إلي

ظلال البيوت كلما استطاعت. أما كونراد  
فكان يذهب إلى القرية مع فريق الإسعاف  
الأولي.

لأول مرة منذ أيامهما وحدهما.

قال لفرانسيسكا وهما يتوقفان لينظرا إلى  
المنظر الرائع: ( علينا أن نذهب إلى حفلة  
استقبال كبري في "فيلناغراد" ، لقد وعدتهم  
بجلسة هناك يلقون فيها ما يريدون من أسئلة  
ويأخذون ما يشاءون من الصور. وهكذا



سيتركونا ، هذين اليومين القادمين ، وشأننا ،  
وفي هذه الأثناء نسلم آخر باص للإسعاف  
الأولي).

لم يعجبها ذلك ، وقالت بقلق: ( هل سيكون  
ذلك مؤتمراً صحفياً كبيراً؟).

احتضنها قائلاً: ( لا تقلقي علي هذا).

قالت مستسلمة بهزل: ( أعرف هذا.

سألتصق بك وستبقي أنت معي إلي النهاية  
صحيح؟).

فقبل قمة رأسها: ( علي الدوام).

شعرت بالدفء: ( كونراد هل أنت واثق؟).

فقال بعدم اهتمام: ( إذا كنت أستطيع

التعامل مع فيليكس ، يمكنني التعامل مع

مجموعة من كتاب المواضيع التافهة).

صدقته فرانسيكا ، وتمت بمكر: ( ما

أجمل أن أكون بين يدي خبير!).

اشتدت ذراعه حولها: ( الأفضل أن تصدقي

ذلك).

وضعت يدها علي كتفه. لكنها عادت تتمتم:

( حذار. قد تكون عقدت هدنة مع

الصحافيين ، إنما هناك صبي يتسلق ذلك

المرتفع ، وفي أي لحظة سيندفع نحونا بباقة

زهر أو دفتر اوتوغراف).

توقف كونراد ونظر إليها وقال بفضاضة: ( تباً

لكل الأولاد).

عانقها بقوة ، فتنهدت مستسلمة باستمتاع ،

غابت الشمس وراء الأفق ، مرسله أشعتها

ذات اللون المشمشي المحترق ، محيلة الوادي  
إلى ذهب.

وصل الصبي ، كما تنبأت ، كان في حوالي  
الثامنة ، وكان يحمل بيده كاميرا رخيصة.  
رفع كونراد رأسه مكرهاً ، ثم قال شيئاً باللغة  
المونتاسورية بحدة. هز الصبي كتفيه ولم  
يتزحزح من مكانه.

سألته فرانسيسكا: ( ماذا قلت له؟ ).

– قلت له أما كان ينبغي أن يكون نائماً

الآن؟

وإذا الصبي المتسكع قادر علي التحدث  
بالانجليزية كما يبدو ، إذ قال: ( أريد صورة  
، وسأدفع لكم فيها ثمنها جيداً جداً ).  
مضت لحظة ظنت فيها فرانسيكا أن  
كونراد سينفجر ، ثم جلس علي صخرة ،  
ووضع رأسه بين يديه وأخذ يضحك  
ويضحك حتى دمعت عيناه.

لم تستطع فرانسيسكا أن تمنع نفسها من  
القول للصبي المتسكع: ( خذ له صورة الآن  
وسأشترى منك الفيلم كله).

وفي النهاية أستعمل الصبي الفيلم بأكمله في  
تصوير ولي العهد وهو يطارد حبيته.

وقالت للصبي وهي لا تتمالك نفسها من  
الضحك: ( أحضر لي الصور غداً إلي "تافيرنا  
سان سيمون" فستتحقق هذه أي ثمن).

لكن الصبي تأخر. وباص الإسعاف الأولي  
تحرك باكراً ، وهكذا لم تستلم الصور قبل  
ذهابهم في آخر رحلة للتسليم.

كانت السحب المحيطة بالجبال في الليلة  
الماضية نذير شؤم فقد هبت العاصفة قبل أن  
يقطعا نصف الطريق إلى القرية العالية.  
وأغرقت الأمطار الطريق.

كانت فرانسيسكا مع آخرين ، في سيارة  
جيب. وكانوا قد تأخروا إلى الخلف كي

يفسحوا للباص الثقيل حرية التحرك. ولا بد  
أنه كان بينهم ربع ميل حين رأوا الباص ينزلق  
في الطريق.

وإذ كانت تجلس قرب السائق في الجيب ،  
فقد كانت أول من رأيت ذلك ، فصرخت  
بالرغم عنها ، ورأت كونراد يكافح بالعجلة  
الضخمة بينما أخذ الباص ينزلق ثم يشب  
كسفينة في بحر هائج.



أوقف سائقها سيارته ، ثم أخذوا ينظرون

عاجزين عن القيام بأي شيء.

شبكت يديها لكي تمنعهما من الارتجاف.

وحدثت نفسها بأن بإمكانه أن يحمي نفسه ،

فإذا استسلمت للرعب فلن تفعل سوى

تحويل انتباهه.

وما لبث الباص أن أخذ يتوقف بشكل خطر

قريباً من هوة عميقة. وما إن توقف عن

الاهتزاز ، حتى اندفعت فرانسيسكا من

سيارة الجيب وركضت صاعدة المنحدر ،  
كانت واثقة تقريباً من أن واحدة علي الأقل  
من عجلات الباص علي الحافة.

كانت الحصى تفرقع ناحية الجبل ، وقد  
زحزحها من مكانها انهمار المطر. ولن يطول  
الوقت قبل أن تتبع الصخور الحصى... بهذا  
أخذت فرانسيسكا تفكر وقد تددت راحتها  
بالعرق رعباً.

انفتح باب الباص البعيد عن الرصيف. ونزل  
الطبيب والممرضة والموظف الذين مع كونراد  
، نزلوا بحذر إلى الطريق. ثم انضمت إليهم  
فرانسيسكا. وقال الطبيب: ( سيحاول أن  
يجعل الباص يقفز إلى الخلف من الطريق. أما  
نحن فسنحاول تثبيته بسرعة بشيء ما...  
ماذا لديكم في الصندوق الخلفي؟).

ولحسن الحظ كان هناك قطع من الحبال  
المستعملة في الصناعة... أخذوا جميعاً يعملون

بسرعة ، فربطوا الباص إلى أشجار عتيقة  
تاركين الحبال غير مشدود جيداً لكي تشتد  
حين يتحرك الباص ، ووصل الطبيب أطول  
حبل بصخرة هناك حول الانحناء. وجاءت  
فرانسيسكا بوسائد مقاعد الباص الجديدة  
فوضعتها بين الحبل والصخرة كيلا تنشر  
الحبل فتقطعه. وعادوا يجتمعون أمام الباص  
مرة أخرى.

قال الطبيب مناديا: ( ماذا لو قطرنا الجيب  
بالباص ليجره؟).

قال كونراد: ( لا أريد أن أجازف).

دفعت فرانسيسكا شعرها المبتل عن عينيها  
وقالت عابسة: ( بل جازف ، وسأسوق أنا  
الجيب).

قال كونراد: ( فرانسيسكا! لا).

نظرت إليه. كانت تقطر ماء ، وشعرها  
ملتصق برأسها. لم تهتم ، ربما هذه آخر فرصة

لها. عليها أن تخبره ، واضطرت إلي أن

تصيح: ( أنا أحبك).

نفضت شعرها المتكتل إلي الخلف ، ورفعت

ذقنها بعزم: ( ولن أدعك تسقط من فوق

هذا الجبل اللعين ما دام بإمكانني ذلك).

نظر إليها كونراد لحظة طويلة. قابلت عينيه

مباشرة بينما المطر يصفع زجاج نظاراتها ثم

يسيل علي وجنتيها ، ودون اهتمام بالآخرين

، أشارت إليه بشفتيها قائلة بصمت: (

أحبك).

رأته يتقبل ذلك بترحيب ، ثم أخذ يضحك ،

يضحك فحيرها... إنه يحبني... وأنزاح من

قلبها ثقلا كبيرا. ونادي يجيبها: ( لا بأس.

عند الإشارة ، يا دكتور).

بدا وكأنه تلميذ. وكأنه يستمتع بهذه المعركة

مع عناصر الطبيعة.

ركضت عائدة إلى السيارة الجيب. تفحصت الآلات غير المألوفة لديها ، بلحظة ، وفجأة ، ووبرودة الثلج ، أخذت تستوعب كل التفاصيل بسرعة ودقة. ربما لأنها تعلم أن هذه فرصتها الوحيدة. وربما لأنها دقيقة بطبعها إلى حد ممل...

أدارت المحرك ، وأشارت بيدها من النافذة إلى الطبيب بأنها جاهزة. كانت مركزة مشاعرها علي الطبيب ، منتظرة إشارتها له بالتحرك.



وإذا بكونراد يدير محرك الباص. فسقطت يد  
الطبيب ، وأدار كونراد عجلة القيادة بجهد  
بالغ فقدفت فرانسيسكا بالجيب في الاتجاه  
المعاكس. شعرت بالباص ينجذب فزادت  
إعطاء البنزين بحذر ، ليس الوقت مناسباً  
للاندفاع بذعر طلباً للنجاة.  
وتصاعد صرير هائل للمعدن وأخذ كونراد  
يصارع عجلة القيادة.

تصاعد صوت انسحاق ثم تمايل الباص عائداً  
إلى الطريق. وبدأت سرعة الجيب تزداد  
فخفت فرانسيسكا البنزين علي الفور. ثم  
أوقفت الجيب وسط الطريق بهدوء.  
جلست فيه تتنفس بصعوبة. كل الخطر الذي  
محته من ذهنها عاد فاكتسحها ، وأخذت  
ترتجف.

قفز كونراد من الباص ، وعاد إليها راكضاً ،  
وفي ثوان جعل المطر قميصه شفافاً ، ولم يبد

عليه أنه لاحظ ذلك. فقد فتح الباب بعنف

، هاتفاً: (

فرانسييسكا..... حبيتي.... حبيتي).

جذبها من السيارة إلى ما بين ذراعيه وعانقها

بوحشية تقريباً: ( أنت بخير ، يا إلهي ، أنت

بخير! الحمد لله لأنك بخير).

قال هذا وهو يعانقها بلهفة وكانت ذراعاها

تضغطان عليها فكادت أن تمنعها من التنفس

لكنها لم تهتم.

كان عناقها له بمثل عناقه لها تشنجاً ، قالت  
تعنفه: ( إياك أن تفعل ذلك مرة أخرى).

ثم أخذت تنشج باكية. فهتف بها: ( لا ، لا ، لا  
يا حبيتي ، لا تبكي ، لا شيء يستوجب  
البكاء ، أنت بخير ، أنا بخير ، والباص اللعين  
بخير. وسنكون جميعاً بأحسن حال).

لكن الدموع استمرت تتدفق.

نظر حوله عاجزاً: ( ليس لدي ما أمسح به  
دموعك).

اختنقت فرانسيسكا بالضحك بالرغم عنها.  
وقالت: ( في هذا المطر؟ من يمكنه أن يجفف  
شيئاً؟).

تمالكت نفسها بشكل ملحوظ. فنظر إليها  
بحذر. وسألها: ( هل أنت بخير؟ علينا أن نتابع  
سيرنا كما تعلمين).

أومأت: ( نعم ، أنا بأحسن حال. دعنا  
ننتهي من تسليم ذلك الباص).

وعندما عادت تجلس في الجيب بجانب  
السائق ، لم تلاحظ دموعها التي جفت علي  
خديها ، وهي تفكر في أنه يحبها ، محدثة  
نفسها ما بين الخجل والسعادة: إنه حقاً حقاً  
، يحبني .

\* \* \*

أكملوا بقية الرحلة ببطء شديد. حتى بعد أن  
هدأ الرعد وتوقف المطر ، بقيت الطرق  
لزجة.

لم تهتم فرانسيسكا. فقد نجوا ، وكونراد يحبها.  
والمشاهد المتألقة بعد أن غسلها المطر هي  
أجمل من كل ما رآته في حياتها. ولم تشعر قط  
من قبل بمثل هذه السعادة.

في القرية القائمة في قمة الجبل ، جاء الجميع  
لتحيتهما ، وكان احتفالاً كبيراً. كانت هناك  
فرقة موسيقية صغيرة وكثير من الرايات.  
وحتى مكان وقوف الباص الأولي كان مخططاً  
بخطوط خضراء وذهبية.

قالت: ( أريد مكاناً أخير فيه ملابسي ،  
وبسرعة).

أوما السائق وقاد الجيب حول منعطف إلى  
منزل من طابق واحد ذي سطح صيني  
الطراز. وقال: ( الكنيسة).

نزلت فرانسيسكا من السيارة واتجهت إلى  
الباب وحقبتها علي كتفها. لم يكن هناك  
كاهن ، وإنما امرأة أخذتها إلى غرفة صغيرة  
فيها مرحاض ومرآة مكسورة.



استغرق منها ارتداء الثوب الأسود وتمشيط  
شعرها وتنظيف وجهها ويديها ، ست دقائق.  
أخيراً سحبت نفسها عميقاً ، ورسمت علي  
وجهها ما ظنته ابتسامة الأميرة. ثم خرجت  
لتلتقي الفرقة الموسيقية.

رآها كونراد حاملاً جاءت من خلف الزاوية  
وأدركت أنه كان يفتش بعينه عنها في ساحة  
القرية ، فعم الدفء قلبها فذهبت إليه.

اشتبكت أيديهما دون أن يحول أي منهما  
عينيه عن عيني الآخر ، كان ذلك أشبه  
بالمغناطيس. لقد عثر الواحد منهما علي  
الآخر لأن ذلك كان لا مناص منه. وابتسم  
في عينيها وقال: ( تبتدين رائعة).  
قالت برزانه: ( شكراً. وأنت أيضاً).  
وكان هذا صحيحاً أيضاً ، فالقميص الرطب  
قد أبرز عضلاته التي كانت البذلة تخفيها  
عادة.

قالت: ( لا بد أن الأخطار تلاؤمك).

اشتدت أصابع يده علي يدها خفية: ( أنت

تلائميني).

احمر وجهها وشعرت بالبهجة والتسلية. في

هذا الوقت التقط لهما شخص ما صورة

فوتوغرافية ، وعزفت الفرقة النشيد الوطني.

تأبط ذراعها ومن ثم بدأ الاحتفال بالترحيب

بهما.

استغرق هذا وقتاً طويلاً فكل شخص أراد أن  
يلقي كلمة ، وبعضها كانت طويلة مملة .  
فهمت أنهم شاكرون لهذه المساعدة الطبية ،  
شاكرون الانتباه العالمي لهم ، مسرورون بولي  
العهد كونراد وأصدقائه . وتصاعد تصفيق  
طويل . وجاءت فتاة صغيرة بياقة زهر وشرايط  
في شعرها ، فكادت تسقط عن المنبر الخشبي  
المهتز لولا أن كونراد قبض من الخلف علي  
ثوب الطفلة المطرز الذي ترتديه ، بينما

ركعت فرانسيسكا علي ركبة واحدة تأخذ

منها الباقية.

عند ذلك رأّت أصابع الطفلة ، كان هناك

من أعطائها شوكولا ، يا للمصيبة! كان الثوب

ناصع البياض ذا تطريز يدوي رائع الإتقان ،

كان واضحاً أنه من صنع أم محبة أو جدة ،

وهو الآن معرض للاتساخ.

تملك فرانسيسكا الاهتمام ، ودون تفكير ،

أمسكت بمعصم الطفلة ، ثم أخرجت واحدة

من فوط الأطفال مسحت بها الشوكولاتة عن  
يد الصغيرة ،

وقفت الصغيرة جامدة تنظر إلى العملية  
باهتمام خفيف لكن كلمة "آههه" تصاعدت  
من المجموعة الصغيرة في صوت واحد.  
أجفلت فرانسيسكا. ثم ابتسمت وهي تمد  
يدها لتأخذ باقة الأزهار.

لكن الطفلة قررت ألا تعطيها الباقة ، وبدأ  
شجار صغير ، وإذا بثلاثة أشخاص يظهرون

إلي جانب المنبر ، يهمسون للطفلة بإرشادات  
تخلت الطفلة بعدها مكرهة عن الزهور .  
جادلت لحظة ، ثم نظرت إلي مشيرها بتردد ،  
ثم إذا بها تطبع قبلة خاطفة علي وجنة  
فرانسيكا المجفلة .  
وكادت قرانسيكا تفقد توازنها من الدهشة .  
وهمس لها الأشخاص الثلاثة بالمونتاسورية : ( لا ، بل أركعي ) .

قال كونراد بسرعة: ( لا تدعوها تفعل ذلك

، فسترتبك).

وبسرعة الصقر ، حمل الفتاة الصغيرة ،  
ورفعها بين يديه ليناولها إلى أسرتها المنتظرة.  
كانت القبلة التي منحته إياها أكثر حماساً  
بكثير لاحظت فرانسيسكا.

وتصاعد الضحك مع بعض التصفيق.



قال كونراد ضاحكاً في عينيها: ( ما كان لك

أن تكوني جميلة إلي هذا الحد يا أميرة

حكايات الجن).

ولكن كان في صوته أكثر من

الضحك.... كان فيه طلب خفي.... يقول

فيه: تعالي معي. تعالي معي إلي ما وراء

الأفق.... إلي مشاعر لا يمكن تصورها.

وقبل يدها.

أنا في الفردوس ، والليلة في حفلة الرقص  
التي أقيمت لعيد ميلاده سيعلم مبلغ حيي له.  
وسأعرف ماذا أعني له!

عندما ذهبا إلي مدينة الجبل الصغيرة لكي  
يحضرا أمتعتهما ، قال كونراد: ( هناك حفلة  
استقبال لنا في "فيلناغراد" الليلة ، وعلينا أن  
نذهب).

قال ذلك بعد أن تحدث إلي بعض الرجال في  
الترفون الخلوي.

كانت فرانسيسكا ، حينذاك ، مستعدة لأن  
تذهب معه إلى نهاية العالم. ولكن لغتها  
المونتاسورية البدائية خذلتها وهكذا أمضي  
كونراد الليل في اجتماع خاص. علي الأقل  
هذا ما افترضته.

بقيت جالسة وقتاً طويلاً تنتظره. وكانت قد  
تمكنت من الحصول علي الصور التي  
التقطتها لهما الصبي الليلة الماضية. وهكذا

أخرجت مصباحاً إلي شرفتها وأخذت

تتصفحها.

كونراد يضحك. كونراد يطاردها. كونراد

يرشقها بالعشب.

كونراد يحب؟

كانت واثقة من ذلك من الطريقة التي نظر

إليها فيها في طريق الجبل.

ولكن عندما بزغ القمر وهمدت الضجة في

المدينة البعيدة أولاً ثم صوت صراصير

الأجسام ثانياً ، أخذت ثقتها بذلك تتناقص  
شيئاً فشيئاً.

وفي اليوم الثاني ، رغم أن كونراد ابتسم لها  
عبر قاعة الاستقبال ، لم يأت إلي جانبها. كان  
مرتدياً بذلته مرة أخرى ويحيط به رجال  
يحملون تليفونات خلوية. وابتسمت له ،  
ولكن كان في داخلها شيء من الصقيع.  
تمسكت بثقتها بما حدث في ذلك الطريق  
المغرق بالمياه أثناء العاصفة الرعدية. لكن

الأمر أصبح أسوأ ، فهو مشغول ، لأنه يمهد  
الطريق لعودة جده فيليكس إلى انتخابات  
الرئاسة.

ثم سأل إن كان بإمكانه القدوم لرؤيتها ، كان  
نهاية يوم برنامج عمل حافل ، وكانت قد  
رأت المتحف الوطني ، قابلت موظفين من  
وزارة الثقافة وزارت مدرسة حديثة ، رأت  
عرضاً رياضياً ، وجالت في أنحاء كروم عنب ،

وأرهبها استحسان وتقدير أشياء لا تعني لها  
شيئاً ، وآلمتها قدمها.

لكنها قفزت حاملاً انفتح الباب ، وقلبها في  
عينها.

دخل كونراد ومنحها قبلة سريعة علي خدها  
ثم قال بسرعة: ( لم أتأخر).

كان قد أحضر لوح الكتابة الخاص به. أتراه  
يضع قائمة بالأمور التي سيناقشها معها؟  
وتابع يقول: ( يريدون منا أن نتحدث إلي

الصحافة. هل نقيم الزواج هنا؟ هل هذا  
يناسبك؟).

فهمت ذاهلة: ( ماذا؟).

فقال: ( إنهم يريدون استعراضاً جيداً يعرض  
حول العالم ، ويعطي صورة جيدة وينفع في  
السياحة).

فجأة ، شعرت بالصقيع في قلبها يكبر  
ويعظم. وقالت له بهدوء: ( هل هذا ما  
تريده؟).



قال غائب الدهن تقريباً: ( دخل الدولة

بحاجة إليه. إنه يشجع الخدمات).

امتد الصقيع إلي مكان ما خلف عينيها ،

وتساءلت عما إذا كانت ستستطيع

إغماضهما مرة أخرى. وقالت بألم: ( كونراد.

لا نستطيع أن نتزوج لمجرد تشجيع اقتصاد

البلاد).

لم يبد عليه أنه فهم: ( طبعاً لا. لكنهم

سيرحبون بنا حقاً).

– علينا أن نتحدث عن ذلك....

– وهم يريدون أن يعلموا ما إذا كنا سنعيش هنا. وقد قلت لهم لا. فنحن الاثنان إنسانان عاملان. ولا نستطيع البلاد أن تطيق ملوكاً لا يعملون. لكننا سننشئ بيتاً هنا ، وسأعلم فترة في السنة في الجامعة ، أترين هذا معقولاً؟ بدا مشغولاً جداً ، وعملياً للغاية ، ومنطقياً تماماً. إنه يحول حياتهما الخاصة إلي بنود علي

التقويم الوطني ، فلم يلاحظ حتى أنهما فقدوا

القدرة علي لمس بعضهما البعض.

قالت ببساطة: ( لقد أخبرني جدتك بأنك

جاف غير ودود).

رفع بصره عن قائمته: ( ماذا؟).

– لا تشغل بالك ، تجاوز عن ذلك.

ونظر إلي ساعته: ( والآن ، بالنسبة إلي

مهنتك....).

قاطعته ساخرة: ( أنا لست مؤهلة للتدريس

في الجامعة).

فضحك: ( ربما هذا صحيح ، ولكن

بإمكانك أن تديري روضة أطفال ، كما بدا

من الدور الذي مثلته أمس).

آملها ذلك إلي حد بقيت لحظة لا تستطيع أن

تتكلم. وعندما استطاعت ، قالت: ( آه ،

إنني أمثل جيداً أمام الكاميرا).

قطب جبينه: ( آسف ، لم أفهم؟).

نفضت إلي درج فتحته وأخرجت الصور التي  
التقطها الصبي ، قائلة: ( ربما عليك أن  
تعرض هذه ، فهي تنفع في إعطاء صورة. ألا  
تظن ذلك؟ فكر فيما سيفعل هذا للدخل  
الوطني).

أخذ كونراد يتصفح الصور: ( فهمت ما  
تعنيه).

بدأت فرانسيسكا ترتجف ، وقالت بمرارة: (   
آه ، أنا نافعة حقاً).

مر علي جبينه بيده: ( إذا كانت لديك وجهة  
نظر ، فاعرضيها يا فرانسيسكا. ليس لدي  
وقت لحل الألغاز).

صعد غضبها فجأة إلي الذروة: ( عندما قلت  
إنني سأتزوجك ، لم أكن أدري أنني وافقت  
علي الارتباط ببرنامج عمل وعقد مؤتمر معك  
مرتين أسبوعيا ، أريد الخروج من هذا  
الاتفاق).

هتف: ( ماذا؟).

لو هددت بالوثوب من النافذة لما كان أقل  
ذهولاً.

وتمنت لو يأخذها بين ذراعيه. لكنها قالت: ( هذا ليس زواجاً ، يا كونراد. هذا عمل في العلاقات الاجتماعية).

ارتجف: ( إنه زواج بالنسبة إلي).

آملها ذلك حتى تمت الموت: ( آسفة يا كونراد! أنا لست المرأة المناسبة لهذه الوظيفة).

فقال بلهفة: ( بل أنت كذلك ، أنت علي

الفطرة ، وتصرفاتك ذكية للغاية).

تمنت لو تصرخ. تمنيت لو تزحف إلي الزاوية

وتموت. إنه يحاول أن يقنعها بالبقاء معه لكنه

حتى الآن ، لم يستطع أن يضع ذراعيه حولها.

ابتلعت ريقها وتمالكت نفسها ، ثم قالت: (

آسفة يا كونراد ، أنا واثقة من أن لديك

أشياء هامة عليك أن تقوم بها. لكنني لست



الشخص المناسب لتفعل معه هذه الأشياء.

أنا أطلب أن نتوقف الآن).

أخذ فقط يحدق إليها. وتابعت بهدوء مؤلم: (

سأوافقك علي كل ما تريد أن تفعل بالنسبة

إلي إعلان ذلك. أنت تختار التوقيت. دعني

أعلم فقط ما تقرره).

كان بالغ الشحوب: ( ولكن...).

بان الألم في عينيها. لكن ما زال لديها

كبرياءها: ( كان يوماً شاقاً ، وأنا بحاجة حقاً

إلى استحمام وراحة. إذا كنت تسمح...).

فقال: ( فرانيسكا...).

قالت بصوت متهدج: ( أنا متعبة يا كونراد).

لأن لديه اجتماعات ومؤمراً صحفياً عليه أن

يرتب أمره ، قال بحزم: ( سنتحدث عن ذلك

غداً).

أومأت وهي متسعة العينين ، لم تثق بصوتها  
كي تقول شيئاً.

وقال بغضب: ( أنت أردت المجيء ، لا بد  
أنك كنت تعلمين ما سيكون عليه الأمر  
هنا).

فهزت رأسها وقد آلمها حلقها: ( لا . لكنني  
أعلم الآن .... أريد أن أرحل).

نظر إليها متأملاً بألم ، لكنها لم تلتن . وأخيراً  
أذعن قائلاً: ( أراك غداً).

# وخرج

\* \* \*

وفي اليوم التالي لم تره.. لكنها رأت كل ما  
نشر عنها. صورتها وهي تمسك بفوطة تنظيف  
الأطفال تمسح بها أصابع البنت الصغيرة وقد  
دارت حول العالم ، كما يبدو. وفجأة ، إذا  
بصورها مع كونراد في كل صحيفة رأتها.  
هناك شخص ما ، وتمنت ألا يكون كونراد ،  
قد سرب صور عبثهما عند الغروب إلي وكالة

للصور. " أخيراً وقعا في الغرام " كان هذا هو  
العنوان الرئيسي في مجلة فرنسية. وضعت  
المجلة قائمة بأسماء السيدات اللاتي صاحبهن  
كونراد قبل وبعد زواجه ، وكانت هناك صور  
لهن.

وكن ، جميعاً ، هادئات رائعات محنكات  
أنيقات. وطبعاً ، كانت هناك سيلفيا ، تصلح  
كمملكة وراقصة بالية وهي امرأة. في الواقع ،  
أنه أحبها علي عكسها هي.

وتقلصت ثقة فرانسيسكا بنفسها إلي حجم  
رأس دبوس. تمنى لو أنها لم ترقط هذه  
المقالة. ولكن ، هناك شخص ما تطف  
بإحضار نسخة لها أرسلها إلي غرفتها في منزل  
الضيافة الرسمي.

خلال أيام لم تره سوى في حفلة رسمية وكان  
يعد عنها بثلاثة مقاعد.

بدأ الإنهاك يبدو علي ثوبها الأسود ، ولكن  
ليس بقدر ما هي عليه. وأخيراً ، تمت لو أنها  
في الوطن.

لكن ذلك كان ميئوساً منه ، العالم كله كان  
مغرمًا بالعشاق ، وكان فيليكس وانجليكا  
قادمين إلي "فيلناغراد" للالتحاق بهما.  
امتنعت عن النظر في الصحف ، فالصور  
تجعل كونراد يبدو سعيداً جداً وعاشقاً جداً.

ربما كان عاشقاً في تلك الفترة القصيرة من  
الزمن ، كما أخذت تحدث نفسها ، ولكن  
شؤون البلاد وترشيح فيليكس نفسه للرئاسة  
، قد ذكره بالحياة الحقيقية ، فتبخر كل  
شيء.

أرسلت إليه خيراً. هذا ما انتهى إليه الأمر. لم  
تكن تستطيع ، في الواقع ، أن تسير في الممر  
وتقرع بابه ، رباة! هي لا تعرف حتى أين هي  
غرفته. وكان عليها أن ترسل رسالة مع



المترجم إلي مديرية التشريرات لكي ترسلها  
إليه.

كتب: ( لقد فعلت ما جئت لأجله ، وأنا  
بحاجة إلي العودة. لدي أعمال في لندن ، هل  
يمكنك ترتيب هذا من فضلك؟).

ترددت كثيراً فيما إذا كان عليها أن تكتب  
(مع جي). لكنها لم تكن واثقة مما سيفعله  
بهذه الرسالة ، ربما سيعيدها مباشرة إلي أحد  
مساعديه الرسميين ليتصرف بها.

لم تشأ أن ترسل حبها إلي مديرة التشريرات  
، لم تتوقع أن يأتي كونراد ليراها مرة أخرى ،  
طبعاً لم تتوقع ذلك ، فهو مشغول جداً حالياً  
، ولكنها كانت تأمل بشكل ما....  
ولم يأت ، بل أتصل تلفونياً: ( مرحباً  
فرانسيكا ، هنا كونراد).

كانت تسمع الناس يتكلمون حوله ، وتلفوناً  
آخرين ، ونقرأ علي آلة كاتبة. وسألها: ( ما  
هذا الكلام عن العودة إلي الوطن؟).

كان واضحاً أنه محاط بالمساعدين ، وشعرت  
بنفسها متطفلة ، ووحيدة.

وهكذا قالت بمرح: ( آه ، أنت تعلم. لقد  
قمت بما وعدت بالقيام به. والآن حان  
الوقت لأتحرك ، وأري الأماكن ، وأري  
الناس).

ساد صمت ، كانت واثقة تقريباً من أن  
شخصاً ما ألقى عليه سؤالاً فأشار إليهم

بالانتظار. وقال وقد بدا الهمود في صوته: (

لم تقولي من قبل أن وقتك محدود؟).

فانفجرت تقول: ( ولم أقل أيضاً أنني قدمت

حياتي لمدة غامضة غير محدودة).

قال بحدة: ( هل هذا لأجل باري دي لا

توش؟).

قالت: ( ماذا؟).

– لقد حصل علي مقابلة مع تلك المجلة

اللعينة ، قال إنك تركته لأجلي وإن قلبه

محطم ، أنت لا تصدقين ذلك الهراء ، أليس

كذلك؟

أمسكت فرانسيسكا بذلك وكأنه جبل

النجاة فقالت: ( ربما غير رأيه).

قال بغضب شديد: ( لا يمكن أن تكوني

ساذجة إلي هذا الحد).

شعرت بطبعها يثور ، فقالت: ( لا . لكنني

لست عديمة القيمة أيضاً. أريد أن أذهب).

وقبل أن يجيب ، خبطت السماعة بعنف .  
اكسبها هذا كثيراً من الانتباه ، إذ حصلت  
فجأة علي كثير من العون من مديرية  
التشريعات وعدة وزراء طلبوا رؤيتها . حتى إن  
الملك السابق فيليكس أتصل بها من لندن .  
وكانت علي وشك أن تصرخ بأنها لا تريد منه  
أن يهتم بها وكأنها طفلة مدللة .

وأخيراً جاء بنفسه . لم تكد تعرفه في البداية  
بذلته الرمادية وربطة عنقه الرصينة . وفكرت

فرانسييسكا ساخرة بأنها ما زالت تغسل  
ملابسها في الليل ، لتستطيع ارتدائها في  
النهار.

وسألته: ( هل خرجت للتسوق؟).

بدا عليه الارتباك للحظة ، كما أنه ، كما

لاحظت بأسى ، متعب جداً.

هز كتفيه: ( آه ، لقد اشتراها لي شخص ما ،

نعم).

تبدد ارتيابها علي الفور: ( حسنا ، أنت  
ترهبهم. بينما أنا ما زلت أجاهد بين البنطلون  
الجينز و ثوب أمي الأسود).

بدا عليه فروغ الصبر وقال: ( دعيهم إذن  
يشترون لك ثوباً آخر. وهذا ليس صعباً ،  
هناك متاجر للملابس في "فيلناغراد" كما  
تعلمين).

فقلت: ( أليهم حقا؟).



وسكنت لحظة ثم عادت تقول: ( أنت تعلم  
يا كونراد أن هذا الهوس الملكي قد تملك  
عقلك حقاً).

دفع شعره إلي الخلف بضجر: ( آسف. كل  
ما في الأمر أن الملابس آخر اهتماماتي  
حالياً).

شعرت بإغراء في أن تسأله عما هو أكبر  
اهتماماته ، لكنها عادت ففكرت أنه كان  
قادراً علي الإفضاء إليها بذلك في أي وقت

من الأيام الستة الأخيرة لو شاء ، فهو يعرف  
مكانها ، أكثر مما تعرف هي مكانه. وهكذا  
قست قلبها ، وقالت: ( آسفة لذلك. وهذا  
غير مهما علي كل حال. أريد أن أعود إلي  
لندن في أقرب ممكن).

فتردد: ( لكنني ظننتك تستمتعين بوقتك).

قالت بحدة وقد ظهر ألمها أخيراً: ( هل  
ظننت أنني سأقع في غرام كل تلك الدعاية  
الزائفة؟ هل ظننت مرة أن علي أن أصبح

أميرة خرافية للصحافة فيبهري ذلك ؟ حسناً  
، أنا لست كذلك ولن أكون).

– أنا لم...

ارتفع صوتها بشبه صراخ: ( سأجن إن لم أعد  
إلى أصدقائي الذين يعلمون حقيقتي).

نظر إليها مصعوقاً ، فقالت بلهفة: ( هل  
تفهم ؟).

قال: ( نعم).

قال ذلك دون أن يفتح أسنانه تقريباً. ولم  
يكن في صوته أية مشاعر: ( كل شيء كان  
زائفاً وأنت تريدين أن تعودني إلي الحياة  
الحقيقية. هذا واضح جداً. سأرتب الأمر لك  
حالاً).

ربما فعل ذلك. لم تعلم. لأن الزائر التالي  
الذي استقبلته عقب عودتها كان فيليكس  
الملك السابق وقد جاء من المطار مباشرة  
مثقلاً بالحقائب ومبتسماً بنفاق.

قال لها وهو يضمها إلي صدره: ( يا طفلي

الحبيبة. يا له من نصر!) .

لم تكن مستعدة لعناق ملك سابق في الخامسة

والسبعين ، ملك دمر حياتها بمكره.

فخلصت نفسها منه وسألته بضجر: ( ماذا

تريد؟).

– سمعت أنك قلقة لأن ليس لديك ملابس

ملائمة....

– ماذا؟

– هذا ما قاله كونراد.

لم تصدق ذلك. ملابسها؟ هل ظن حقاً أنها  
كانت قلقة بشأن الملابس؟ وفكرت في أنها  
ستقتله.

ولم يلاحظ الملك السابق ذلك ، من الواضح  
أن انعدام الحساسية هو شيء متوارث.  
واستمر يقول: ( هناك بالتأكيد حفلة راقصة  
الليلة ، ولا بد أنك لم تحضري شيئاً لتلبسيه  
لهذه المناسبة ، وهكذا طلبت المساعدة من

أملك فقط. ومن شريكك المسلمية في  
المكتبة!).

وأشار إلي الحقائق.

حدقت إليه غير مصدقة: ( هل قلبت  
ملايسي؟).

بدا مذهولاً: ( ليس أنا بل صديقتك جاز).  
- كيف تجرؤ...

وسكنت فجأة وكأنها فهمت الآن ما قاله: ( )  
أية حفلة؟).

فابتسم مشرق الوجه: ( الاحتفال بمنتصف  
الصيف... عيد سان جون... هناك دوماً  
احتفال كبير في هذا العيد. ولكنه سيكون  
هذه الليلة أكبر. فأنا أقدم حفيدي إلي  
شعبه).

هزت فرانسيسكا رأسها لكي تفهم ، وقالت:  
( أنت مجنون! نحن في القرن الواحد  
والعشرين).



– أبدأ. إن للقصر قاعة رائعة للرقص ، وقد

سبق أن دعوت الضيوف....

تمت: ( أراهن علي ذلك).

تظاهر بأنه لم يسمع: (( كل شيء قد رتب في

آخر لحظة وأحضرت بذلة كونراد الرسمية

وأثواباً لك لتختاري من بينها).

– لكنني راجعة إلي الوطن.

أمسك فيليكس بيديها ، فحاولت أن

تخلصهما منه ، لكنه كان قد أمسك بهما ،

وبدا جاداً للغاية: ( فرانسيسكا ، عزيزتي .

يجب أن تصغي إلي . عليك أن تكوني هنا ،

كونراد بحاجة إليك).

فوجئت بذلك وعاد إليها الأمل مرة أخرى

وسألته: ( أحقاً؟).

– طبعاً ، إنه لا شيء من دونك .

ارتجفت فجأة: ( هل قال ذلك؟).

– ليس مضطراً لأن يقول ذلك وكل شخص

يعرف هذا .

قالت: ( آه!).

وتشبت بهذه الكلمات. إنه بحاجة إليها ، إنه

لا شيء من دونها. كل شخص يعرف هذا.

وقال: ( أنت شيء نافع لا يقدر بثمن).

حاولت فرانسيسكا ألا تجفل ، لكن

ابتسامتها أصبحت جافة....

وتابع قائلاً: ( أنت ودود للغاية وطبيعية غير

متصنة ، وتحبين حبيبي كونراد ، صدقيني

إنك أحسن سفيرة يمكن أن نختارها).

تلاشت ابتسامتها فجأة. وعاد هو يقول: ( )  
أعترف أنني شككت فيك في البدء ولكن في  
هذه الرحلة... كنت رائعة إلي حد فاق كل  
توقعاتنا).

توقعاتنا! توقعاتنا! هل هذا يتضمن توقعات  
كونراد أيضاً؟

وفجأة ، بدأت فرانسيسكا تشعر ببرد شديد  
، لفت ذراعيها حولها رغم أن غرف القصر

دوما دافئة في شمس العصر. وقالت بصوت

خطر: ( آه؟).

لكن الملك السابق فيليكس استمر في حديثه

، وعلي أي حال ، لم يكن ماهراً في استشعار

الخطر. وقال: ( لأجلك فقط وافق المسئول

عن المتحف الوطني علي الإفراج عن التاج).

شعرت فرانسيسكا بالارتباك. فسألته: ( أي

تاج؟).

– حسناً ، ليس تاجي ، فذلك يعني خرقاً  
للدستور ، ولكن تاج ولي العهد ، وتاج آخر  
نسائي صغير سيكون لك بالتأكيد.

نظرت إليه خرساء. وشعر بأنه لم يؤد دوره  
كما يجب ، فقال بلهجة لوم: ( إنه شرف  
عظيم).

– إنه أعظم مما يلزمني. فأنا عائدة إلي  
الوطن.

انتبه أن هنالك شيء ما ، لا يعرف الصفح.

– لا يمكنك ذلك.

– سنري.

وكان ، علي كل حال ، دبلوماسي خبير.

– وماذا عن كونراد؟

– عمل كونراد ممتاز تماماً من دوني.

– هذه هي النقطة. لم يصبح عمله ممتازاً حتى

حصل عليك.

نظرت إليه بتمرد ، ولم تقل شيئاً.

فكر فيليكس في كل تلك المجلات التي كان  
يقرأها بغبطة في الأيام القليلة الماضية ، وقال  
بإخلاص: ( يا عزيزتي. لقد أعدته إلي بلاده).  
أشاحت بوجهها: ( أنا مسرورة لأجله. وبهذا  
يمكنني أقول أن وظيفتي انتهت).

– أبدا فقد جلبت إليه سعادة لم أرها من  
قبل.

وأدرك فيليكس فجأة أن هذا صحيح. فأفاق  
من غفلته ، وتخلي عن التكلف في حديثه.



وقال: ( أنا أعلم إن هذا ليس من شأني ،  
ولكن لا تتركه الآن. أظنه بحاجة إليك  
حقاً).

التفت فرانسيسكا وأخذت تتفحصه وقد  
ضاقت عيناها. لأول مرة منذ وصوله ،  
توقف عن الابتسام. فقالت ببطء: ( أتعني  
ذلك؟).

– لقد عرفته زمناً طويلاً ، فلم أره قط يعبث  
مع فتاة. لا تكلفيني بما يفسد الأمر  
عليه.... أو بالأحرى عليكما أنتما الاثنين.  
ترددت ، فقال متملقاً: ( الليلة فقط أبقى  
هنا الليلة وتحديثي معه في الصباح).  
رآها مترددة. فتملكه اليأس: ( ألا تريدان أن  
تمنحيه فرصة أخري؟).  
لكنها لم تجب ، فأذعن وخرج من الغرفة.  
وعندما انفردت بنفسها ، سارت إلي النافذة

وأخذت تنظر إلى الحقائق المنظمة. لم يكن  
القصر كبيراً ، ولكن في الحقائق كل ما يتوقعه  
المرء: النافورات ، أحواض الزهور بهندستها  
الجميلة ، والطرق الممهدة ، لكنها لم تر أياً  
من ذلك.

أتراها تريد أن تمنح كونراد فرصة أخيرة؟ أتريد  
ذلك حقاً؟

ومن أعماق ذاكرتها جاءها صوته ، وقد أدفأه  
الضحك والمودة. فيجذبها... يجذبها إلى بحر

من المشاعر المتلاطمة ، ثم: ما كان لك أن  
تكوني بهذا الجمال ، يا أميرة حكايات الجن.  
ارتجفت بالرغم عنها. آه ، إنها تريد أن تمنح  
كونراد فرصة أخيرة. تريد أن تمنحها لهما ،  
هما الاثنيين. لا تريد فقط ، بل ترغب وتحتاج  
إلي ذلك.

وقالت بصوت مرتفع: ( إذا في ذلك فرصة  
تريني أنه يحبني ، فسأجازف بأي شيء).

نهاية الفصل الثامن

## الفصل التاسع : ورداً.... وحباً

وفيما بعد في ذلك المساء ، جلست أمام  
المرآة في غرفتها تنظر بكآبة إلي التاج الماسي  
الجميل وهو يصر علي أن يميل نحو أذنها  
أليسري.

وقالت بيأس للمرأة القادمة من وزارة الثقافة  
المونتاسورية: ( لدي شعر غير مناسب ،  
ورأس غير مناسب التكوين ، وأتحرك دوماً. لا  
أدري ما أفعل. آه ، أنا لا أستطيع ليس هذا  
الشيء).

قالت المرأة بعطف: ( لا يمكن أن تساعدك  
في ذلك وزارة الثقافة ، لأن لا أحد من  
الأحياء يتذكر طريقة لبسه. ربما يضعون تحته  
ما يمسك الشعر؟ رشاش للشعر؟ جيلاتين؟).

وأخيراً ثبتته في مكانه وبقي كذلك ، علي  
الأقل ما دامت تسير بخطوات قصيرة جداً  
وما دامت لا تلتفت بسرعة. وتمنت بحقد ،  
أن يكون كونراد يعاني نفس الانزعاج من تاج  
ولي العهد.

ولكن عندما تقابلا في الغرفة الصغيرة المبطنة  
بالمرايا ، في انتظار مؤتمرها الصحفي ، لم  
يكن كونراد يضع علي رأسه أي نوع من

التيجان ، كان شعره أسودا لامعا ومغسولاً

حديثاً.

ومن ناحية أخرى ، كان يرتدي بنطلونا أبيض

وعلي جانبه خط ذهبي. وسترة عسكرية

ضيقة باللونين الأخضر والذهبي ، ذات

حواش وأكتاف ذهبية ، وسيف ، وملامح

جامدة ، وفجأة شعرت فرانسيسكا بالفرح.

أشارت إلي سترته الضيقة: ( أحببت السترة.

لا تخبرني بأنها ألوان العلم الوطني).



لم تشرق أسارير كونراد وهو يقول: ( إنها بذلة  
فرسان الجبال).

ربما لا يحبها ، فهو قد استغلها ويريد أن  
يستمر في استغلالها ، بكل تأكيد ، فهو يراها  
شيئاً نافعاً وقابلاً للبيع ، ومع ذلك ما يزال  
يبدو رائعاً في بذلته المشابهة لبدلات  
الموسيقيين.

شعرت بحافز للضحك بصوت مرتفع ، لكنها  
لم تفعل ، فما زال لديها ذلك الشعور باحترام

الذات ، وقالت : ( أحمد الله لأن جسمك  
مناسب لها ، لو كان فيليكس في بدلتك هذه  
لبدا كالمهرج).

لوي كونراد شفتيه : ( أترك تفكيرين في كرمز  
للرجولة؟).

وبدا في صوته الاشمئزاز فقالت مخفية  
ابتسامتها : ( نعم).

ألقي عليها فجأة نظرة جانبية مآكرة من تحت  
أهدابه: ( هذا رائع ، إنه أحسن شيء سمعته  
هذا الأسبوع. أبقى علي تفكيرك الجيد هذا).  
فاختنقت فرانسيسكا.

كان المؤتمر الصحفي لجنة حقيقية. كان دفتر  
الملاحظات ومختصرات مما عليها أن تقوله ،  
أمامها علي المنضدة ، ولكن إذا هي نظرت  
إلي أسفل ، فسيسقط هذا التاج اللعين فوق  
عينها بكل تأكيد ، وهكذا ركزت اهتمامها

علي جعل أجوبتها قصيرة قدر إمكانها  
موجهة أي شيء صعب نحو كونراد.

وهكذا سمعته يقول إنه مسرور لإحضاره  
معونات طبية إلى مونتاسورو ولرؤيته كثير من  
مناطق البلاد لم يعرفها من قبل. نعم ،  
فرانسييسكا ستتابع العمل لأجل تمويل  
مستشفى مونتاسورو. لا ، إنه لا ينوي أن

يتدخل في سياسة مونتاسورو. نعم ، إنه

سيتابع العمل خبيراً في الزلازل.

سأله صحافي: ( هنا؟).

فأجاب: ( ربما. لماذا تظني مهتماً بالزلازل؟

ذلك لأن مونتاسورو عانت من الكثير منها

علي مر القرون ، ربما هناك عيب في خط

الزلازل لا ندري شيئاً عنه بعد).

وجاءه سؤال: ( هل سيطالب بالعرش يوماً

ما؟).

- لا .

وسؤال آخر: ( هل سيقبل العرش إذا عرض عليه؟ ) .

فأجاب: ( هذا غير محتمل . ولكن سيكون علي أن أسأل زوجتي ، ليس هذا قراراً يمكن لرجل متزوج أن ينفرد بالجواب عليه ) .

وتصاعدت أصوات التأييد والتعاطف ، ولي العهد كونراد كان يثبت أنه رجل عصري ، كما فكرت فرانسيسكا وقد عاد إليها حنقها

، لولا خوفها من أن يسقط التاج من مكانه  
، لأخذت تقذف الأشياء.

تحولت الأسئلة إليها ، فأجفت. وقالت: (

اسمعوا. كل صحافي هنا رأي صورتي وأنا

أمسح الشوكولا عن أصابع الطفلة. ولهذا

قررتم كلكم أنني ملاك في البيت. أنا هنا

لأخبركم أن هذه ليست شخصيتي ، فأنا

صاحبة مكتبة ، ولدي صديقة ماهرة لديها

خطط تتضمن تجنب الأصابع المتسخة. وقد

تلقيت منها نصيحة بذلك ، وهذا كل

شيء).

وانفجر المكان بالضحك. فقالت بجد: ( أنا أعني ذلك ، لقد استمتعت كثيراً وتعلمت في مونتاسورو ، لكنني لا أتمتع بالخصال اللازمة لكي أكون أم البلاد. أما اختيار مهنة كونراد فيعود له وحده).

ثم تركا القاعة وسط التصفيق.



وفي الممر قال لها: ( شكراً لبقائك ، فقد كنا  
فريقاً جيداً متلائماً).

وسكت لحظة ثم عاد يقول: ( كالعادة).

بقيت نظراتها إلي الأمام. حسناً ، هذا يمنع  
التاج من السقوط. وهكذا لم تكن تنظر إليه  
عندما قالت: ( أمام الناس فقط).

جمد مكانه: ( ماذا؟).

لكنها استمرت في سيرها: ( أعني أن عمل  
الفريق هو فقط للاستهلاك العام ، أنت خير

في تحقيق الأهداف ، ومزاياي نافعة. لذا أنت  
تستغلني ، أليس كذلك؟).

لحق بها قائلاً بذهول: ( لا يمكن أن تعتقدي  
ذلك).

فقلت: ( هل هذا غير صحيحا؟ ألسنت  
نافعة؟).

قال بفروغ صبر: ( بل أنت كذلك ، لكنك  
أكثر من هذا بكثير. عليك أن تعلمي  
ذلك).

قالت وهي تقترب من قاعة الرقص: ( هذا  
ما لا أعلمه. وما زلت أريد العودة إلى الوطن  
حالما تهمد الجلبة).

أوسع كونراد خطواته ، ومن خلفهما أخذ  
مساعده يهرولون.

قال: ( لكنني أحبك).

استدارت علي عاقيها لتواجهه. ومال التاج  
بشكل خطر ، لكنها تجاهلته. وهبت في  
وجهه: ( أثبت ذلك).

فقال مفكراً: ( من الأفضل أن تخلعي هذا).

ثم أزاح التاج عن رأسها ، وتخلل شعرها غير

المنظم بحنان.

أدركهما أحد مساعديه ، فناوله كونراد التاج

دون أن ينظر إلي الرجل أو الماسات: ( أعد

هذا إلي المتحف من فضلك يا توني ، ليس

علي الأنسة هيلير إلا أن تعطس فيطير التاج

فيفقأ عيني شخص ما).

قال توني ضاحكاً: ( نعم يا صاحب السمو).

فقال كونراد: ( هل نحن إذن جاهزون جميعاً

للدخول؟ حتى جدي).

- نعم يا صاحب السمو.

وفي الواقع ، كان هناك فيليكس ، وكان يبدو

أهدأ من كونراد ، في بذلة سوداء لا يلطف

سوادها سوى صفيين رائعين من الميداليات.

لكنها لم تهتم بفيليكس ، ذلك أن كونراد لم

يجب علي تحديها. وأخذت تنظر إليه عندما

جاء أحد المساعدين يعرض عليه ما يتطلبه  
منه البروتوكول.

وقالت لكونراد بصوت خافت: ( يبدو لي  
هذا كروضة أطفال. لن أستطيع أبداً أن أفهم  
طريقة العمل فيها. ما الذي ستفعلونه؟).  
قال مفكراً: ( لست واثقاً بعد ، ولكن أولاً  
علي أن أرافق السيدة زوجة رئيس الوزراء إلى  
مائدة العشاء وأحاول أن أمنع فيليكس من  
تقديم نفسه للترويج).

أجفلت وقد تذكرت ذلك الحديث الذي  
وصل إلي سمعها منذ أسابيع. أنا أعرف ،  
أنت لا تحب القربان البشري. ولكن في  
مطبخ جدته سمعت كونراد يقول لجدته إنه لن  
يدع فيليكس يرغبه علي الزواج بها ، وبدأت  
عليه التسلية: ( وأنت ابنة أبيك...يمنعك  
الحقد من أن تصفحي ، كما قلت مرة لي).  
ولامس خدها بسرعة خاطفة تصورت معها  
فرانسيسكا أنها تخيلت ذلك لولا أنها كانت

تقفز كجراد العشب كلما لمسها. وقال لها

باسماً: ( لا تقلقي يا عزيزتي ، سأفكر في

طريقة تقنعك).

كان العشاء والرقص محنة. وهكذا ، عندما

أشار فيليكس بأنه مستعد للذهاب كادت

تصرخ قنوطاً. فلم يكن يفصلها عن كونراد

سوى ثلاثة مقاعد ، ومع ذلك كان الوصول

إليه كالوصول إلى القمر.



وحالما أصبحوا خارج قاعة الرقص. وضع  
فيليكس يده علي الكم العسكري الأخضر  
وقال: ( تعال معي إلي غرفتي ، أريد أن  
أحدث إليك).

ألقيا علي فرانسيكا تحية المساء بذهن  
غائب ثم أسرعاً خارجين.

وعادت إلي غرفتها ورفست وسادة الأقدام  
المطرزة ، ثم أخذت تحزم أمتعتها بحركات  
شرسة حاقدة. ثم أخذت تنظف أسنانها

بشكل جعل معجون الأسنان ينتشر علي  
المرآة. ثم قذفت بنفسها علي السرير  
وحاولت أن تنام ، ولكن عبثاً ، فكلما  
أغمضت عينيها رأت نفسها وهي تقوم بإفناء  
وتدمير كونراد ، ثم .. فجأة أنصفق مصراعي  
النافذة بعنف ، هذا كثير. ونزلت من سريرها  
ثم سارت نحو النافذة المستطيلة حيث  
خرجت منها إلي الشرفة.

أمسكت بالمصراعين المفتوحين وحاولت

إغلاقهما وهي تقول حانقة: ( لماذا لا

يصنعون أبوابهم متماسكة؟).

فجاءها صوت هازل يقول: ( نعم ، لماذا؟).

كادت فرانسيسكا تسقط عن الشرفة.

وانفتح مصراعي الباب علي اتساعه في يدها.

وأمسكها كونراد بذراعه القوية ، وأقفل

المصراعين ، ثم ابتسم لها.

قالت متلعثمة: ( ما... ما الذي تفعله هنا؟).

قال برودة: ( جاءني إلهام).

ثم حملها. وصرخت بشكل غير رومانطيكي

لكنه لم يخل من مشاعر....

– أنزلي ، فأنا ثقيلة.

وتشبثت به متشنجة. فسألها باهتمام: ( ثقيلة

بالنسبة لماذا؟).

وجدت نفسها تحمر حتى منابت شعرها ،

لكنها أجابت: ( بالنسبة للعبث الأحمق).

فضحك: ( لا أظن ذلك).

ثم عاد بها إلي غرفتها. وقال مسروراً: ( أنت  
لم تستطيعي النوم كما أري).

رفعت بصرها إليه. كانت ترتدي قميصاً  
مقفلأ قديماً. لم تشعر في حياتها قط بانعدام  
الأناقة والجمال كما تشعر الآن. وقالت  
بعنف: ( إياك أن تجرؤ علي الضحك مني).

– ومن يضحك.

وعانقها... كان عناقاً حاراً جارفاً... وكان  
كونراد واثقاً مما يفعل. وجذبتة بين ذراعيها

بعنف بالغ ، وكان تجاوبها غير محدود ، كما  
كان حب كونراد أشبه بغابة مشتعلة...  
كان يحتضنها وكأن هذه المخلوقة خلقت من  
أجله فقط. شيء في أعماقها ميز كل ردة  
فعل منه ، وكل نفس محبوس ، وكل آهة.  
وشعرت بقلبها يفيض من بين يديها إلى قلبه.  
وشعرت فجأة بالخيبة: ( هل هذا لأجلي؟ ).  
ضحك وهو يجيب: ( ومن غيرك؟ ).

أزاح شعرها عن وجهها بيد غير ثابتة وهو

يتمتم: ( حبيبي. ظننتك لا تريدني).

تنفست بعمق شاعرة فجأة بالشجاعة: ( أنا

أريدك ، ولكنني أرفض العلاقات العابرة ،

وأنت تعلم هذا. لا يمكنني أن أستسلم إلي

مشاعري ولو أردت أنا ذلك).

رفع رأسه وقال برقة: ( إذن أسألك لآخر مرة

، هل تتزوجيني؟ زواجاً حقيقياً).

حملت فيه بمكر: ( وهل تعدني بالسعادة؟).

لكن كونراد لم يضحك ، وبدلاً من ذلك أخذ

يمر علي شفتها السفلى الحساسة بإبهامه

فأرتجف جفناها تجاوباً.

وأجاب: ( سأجعل حياتك ورداً وحباً إن

استطعت).

– وكيف؟

أخذ يتأملها. ثم همس الكلمات التي يقوها

الكاهن عادة أثناء عقد الزواج: ( في الغنى



والفقر ، في المرض والصحة. هذا هو الزواج  
الحقيقي).

لم تستطع فرانسيسكا احتمال ذلك. فرفعت  
نفسها نحوه تضمه إلى قلبها ، كانت هذه لفتة  
بعمر الزمن. لفتة تقول أحبك... أثق  
بك..... أنا ملك لك....

وتنهدت: ( أرجوك).

عانقها برقة بالغة ، قائلاً بحنان: ( أحبك  
بقلمي وروحي وجسدي... لن تندمي أبداً  
علي هذا يا فرانسيسكا ، أتعهد لك).

\* \* \*

## الخاتمة

تزوجا ثلاث مرات ، مرة في احتفال هادئ في كنيسة صغيرة في قرية أمها "كوتسوولد". وكان أبواها مسرورين طبعاً ، لكنهما فقداهما اهتمامهما بتنظيم شؤون زواجهما إلى حد كبير. لأنهما انشغلا كثيراً بالتفاوض بشأن العودة إلى بعضهما البعض.

ومرة أخرى في "قاعة المدينة" في "فيلناغراد"  
وكان فيليكس والملكة السابقة أنجليكا  
شاهدين. كان لديهما حينذاك شقة في  
فيلناغراد. ولكن أي منهما لم يتخلي عن  
عمله فارتاح السياسيون لمعرفة ، أن كونراد ،  
بعكس جده ، لا يريد سوى تمديد إقامته في  
بلاد أجداده.

فقد قال كونراد لهم: ( في الأساس ، نحن نريد  
، ككل العرسان ، الانفراد ، لكننا سنقوم  
بأي من المناسبات الرسمية التي تريدون).  
وأضاف بنظرة ماكرة: ( إن زوجتي مخلوقة  
لتلبس التاج).

ومرة ثالثة ، كان الزواج علي قرع الأجراس  
وموسيقى الفرقة النحاسية ، حضرها من  
المصورين أكثر من أي عرس آخر ، وذلك في  
كاتدرائية سان سيمون.

وقالت فرانسيسكا: ( أعتدت الآن علي  
الكاميرات).

وكانت وهي تقول ذلك تصعد إلي العربة  
المكشوفة والمزخرفة بشعارات النبالة. لفت  
بيدها تنورة ثوبها الأبيض الساتان تبعدها عن  
طريقها أثناء صعودها ، وقال زوجها وهو  
يأمر السائق بالسير:

- لكنك لم تتعودي علي التاج.

لكن فرانسيسكا كانت تنظر إلي الخلف  
حيث الجمهور المحتشد علي درجات  
الكاتدرائية فقالت: ( قف. إن فيليكس يريد  
شيئاً ، فهو يشير إلينا ملوحاً بيده).  
نظر كونراد ناحية جده دون اهتمام. وقال: (   
تجاهليه. إنه يتمرن علي الإشارات الملكية ،  
لا تهتمي بأمره فتشجعيه علي ذلك).  
ضحكت قائلة: ( يا للمشعوذ العجوز!).

قال وهو يضع ذراعه حولها: ( حسناً.....  
سيكون مفيداً بالنسبة للسياحة علي الأقل ،  
والأفضل لنا أن نشير لبعضنا البعض).  
مالت علي كتفيه ، دافئة حباً وثقة. وإذا بها  
تشعر بتاج شعرها ينزلق بشكل فاضح.  
وهتفت منزعجة: ( تباً لذلك. ها إن التاج  
ينزلق مرة أخرى ، آه ، حسناً ، أظن أن هذا  
سيعطي الصحف شيئاً تكتب عنه).



وشعرت به يكتم ضحكة وهو يقول ببرودة:

( أظن أن بإمكاننا القيام بشيء أفضل).

وتحت غطاء القبلة التي سرت كل رومانطيكى

في العالم ، همس يقول: ( أنت كل شيء

كنت أحلم به. لم أكن أعلم أن ذلك

سيسعدني إلى هذا الحد).

فتألق وجهها: ( هذا أسعد يوم في حياتي).

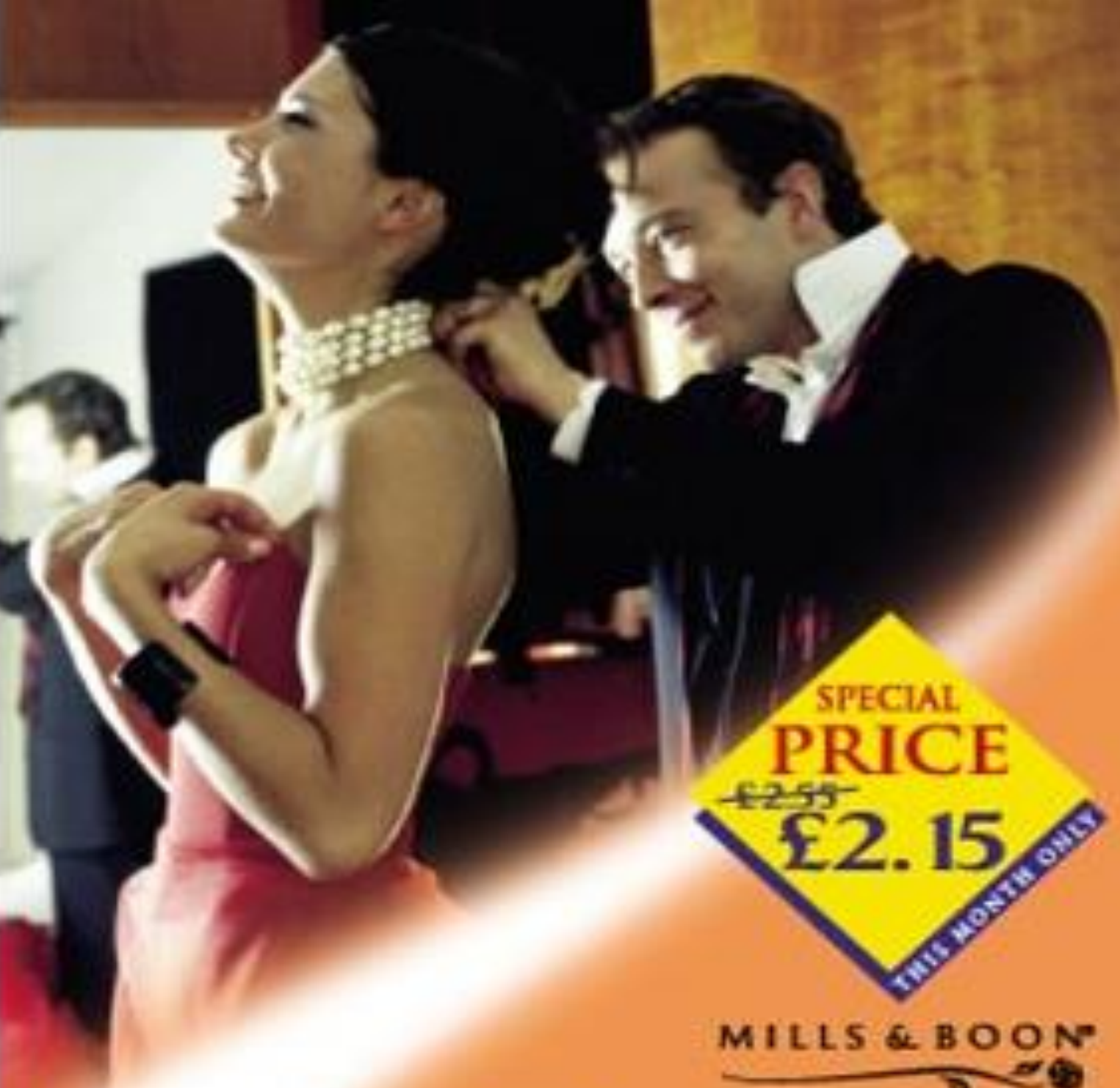
انخفض جفنا كونراد بنظرة الدعابة الماكرة

المألوفة منه تلك ، وقال:

( حتى الآن... حتى الآن ) .

\*\* \*

تمت



SPECIAL  
PRICE  
~~£2.55~~  
**£2.15**  
THIS MONTH ONLY

MILLS & BOON

# The Prince's Proposal

Sophie Weston

Tender Romance™